

تاريخ الشيعة

(في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

هذا الكتاب هو ترجمة أمينة عن الأصل الفرنسي لـ:

Recherches historique medievales sur les
Shiites du Liban, de Syrie et de la Djazira

البريد الإلكتروني
Dr.jaafarmohajer@gmail.com

المؤلف: الدكتور محمد حماده.

المترجم: الشيخ محمود الزين، بإشراف الشيخ د. جعفر المهاجر.
راجعته وعلق عليه الشيخ د. جعفر المهاجر.

الناشر: دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع

بعلبك هاتف (٠٠٩٦١٨٣٧٧٧٥٦)

تاريخ الشيعة

(في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

د. محمد حمادة

تمت ترجمته ومراجعته بإشراف الشيخ

د. جعفر المهاجر



فهرس الموضوعات

| | |
|----|--|
| ١١ | هذا الكتاب..... |
| ١٥ | المقدمة..... |
| ٢٣ | الجزء الأول : التشيع في سوريا المسيحية والسنية..... |
| ٢٥ | الفصل الأول : التشيع..... |
| ٢٥ | ١- الكلمة وتاريخ استعمالها..... |
| ٣٥ | ٣- الفرق الشيعية..... |
| ٣٥ | أ- الزيدية..... |
| ٣٧ | ب- الإسماعيلية..... |
| ٣٩ | ١ - القرامطة..... |
| ٣٩ | ٢- الدروز..... |
| ٦٥ | ٦- القيسيون المؤيدون لمعاوية..... |
| ٧١ | الفصل الثاني : التشيع في سوريا الراشدية وفي سوريا الأموية..... |
| ٧١ | ١ - سوريا العربية قبل الفتح..... |
| ٧٦ | ٢- الطابع القبلي لسوريا أثناء وبعد الفتح..... |
| ٨٤ | ٣- الشيعة في سوريا في العصر الراشدي..... |
| ٨٤ | أ- المدينة الآمنة..... |
| ٨٧ | ب - أسباب غياب الشيعة عن سوريا في عهدي أبي بكر وعمر..... |
| ٨٨ | ج- الشيعة على عهد عثمان..... |
| ٩٤ | د- الشيعة في سوريا على عهد علي..... |
| ٩٥ | ٤ - الشيعة في سوريا في العصر الأموي..... |

٦ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

| | |
|-----|--|
| ٩٥ | أ- السفينانية:..... |
| ٩٥ | ١- السفينانية السورية..... |
| ٩٧ | ٢- السفينانية خارج سورية..... |
| ٩٩ | ب- المروانية ونهاية الأمويين..... |
| ١٠١ | ج- الشيعة..... |
| ١٠٥ | الفصل الثالث: سوريا العباسية السنية |
| ١٠٥ | ١- سوريا العباسية: السياسة القبلية..... |
| ١١٢ | أ- العباسيون والشيعة..... |
| ١١٤ | ب- سوريا في حال تحول..... |
| ١١٥ | ١- الخوارج..... |
| ١١٦ | ٢- النصاري..... |
| ١١٦ | ٣- الشيعة..... |
| ١٢٢ | ٢- سوريا الطولونية..... |
| ١٢٧ | أ- القرامطة..... |
| ١٣٣ | ب- محاولة عباسية أخيرة..... |
| ١٣٣ | ج- القرامطة أيضاً..... |
| ١٣٧ | د- الاثنا عشريون..... |
| ١٤٠ | ٣- سوريا الاخشيدية..... |
| ١٤٠ | أ- الاخشيدون..... |
| ١٤٥ | ب- حقبة ابن رائق..... |
| ١٤٩ | الجزء الثاني: سوريا الشيعية |
| ١٥١ | الفصل الأول: الحمدانيون |
| ١٥١ | ١- التغلبون..... |
| ١٥٣ | ٢- الحمدانيون: شيعة٩..... |

- ٣- مُحاولَةُ للبحث في تاريخهم القبلي..... ١٥٣
- ٤- التشيع في العصر الحمداني..... ١٥٧
- أ- قبل تأسيس الإماراتين..... ١٥٧
- ب- الحسين بن حمدان الحمداني..... ١٥٨
- ج- أبو الهيجاء الحمداني..... ١٥٩
- ٥- تشيع حمدانيي الموصل..... ١٦١
- أ- ناصر الدولة حسن..... ١٦١
- ب- أبو تغلب..... ١٦٤
- ٦- تشيع إمارة الموصل في العصر الحمداني..... ١٦٧
- ٧- تشيع حمدانيي حلب..... ١٧١
- أ- تشيع سيف الدولة..... ١٧٢
- ب- بناء مشهد الدكة..... ١٧٤
- ج- تشيع سعد الدولة أبي المعالي..... ١٧٩
- ٨- الحمدانيون والفاطميون..... ١٨١
- ٩- تشيع إمارة حلب..... ١٨٢
- أ- القرامطة..... ١٨٣
- ب- الاثنى عشريون..... ١٨٤
- ج- حلب..... ١٨٦
- د- بانكوزة..... ١٩٠
- هـ- قنسرين..... ١٩٠
- و- سروج وحران..... ١٩٠
- ز- حمص..... ١٩١
- ح- النصيريون..... ١٩٢
- ١٠- الشيعة والبيزنطيون..... ١٩٥

| | |
|-----|--|
| ١٩٧ | الفصل الثاني: الشيعة في سوريا في العهد الفاطمي |
| ١٩٨ | ١- الشيعة في سوريا الجنوبية والوسطى |
| ١٩٨ | أ- القرامطة |
| ٢٠٢ | ٢- سوريا الوسطى والجنوبية: تشيع ومعارضة التشيع |
| ٢٠٢ | أ- دمشق |
| ٢١٢ | ب- لبنان |
| ٢٢١ | ج- فلسطين |
| ٢٢٣ | د- الرملة والجراحيون |
| ٢٢٤ | هـ- يمانيون |
| ٢٢٤ | و- مع القرامطة |
| ٢٢٥ | ز- مع الفاطميين |
| ٢٢٧ | ح- مع سوريا الشمالية |
| ٢٢٨ | ط- مع البيزنطيين |
| ٢٢٩ | ي- بعض الملامح التي تعكس تشيع الجراحيين |
| ٢٣٣ | ٣- سوريا الشمالية والجزيرة |
| ٢٣٥ | أ- الإمارة المروانية: السكّان |
| ٢٣٩ | ب- السياسة المروانية في الميزان |
| ٢٤٨ | ٤- عُقيليوا الموصل |
| ٢٤٨ | أ- استمرار الإمارة الحمّانية في الموصل |
| ٢٥٠ | ب- السياسة العُقيلية في الميزان |
| ٢٦٨ | ٥- سوريا الشمالية في عصر المرديسيين |
| ٢٦٨ | أ- تشيع المرديسيين |
| ٢٦٩ | ب- المرديسيون والفاطميون |
| ٢٧٠ | ج- الضغط الكلابي |

| | |
|----------|---|
| ٢٧٣..... | د- المرداسيون والأتراك..... |
| ٢٧٦..... | هـ - بنو كلاب والمرداسيون..... |
| ٢٧٨..... | و- المرداسيون والحلبيون..... |
| ٢٨١..... | ز- ملامح أخرى من تشييع المرداسيين..... |
| ٢٨٢..... | ح- سُكَّان الإمارة المرداسية..... |
| ٢٨٦..... | ٦- إمارة بني عمَّار في طرابلس..... |
| ٢٨٧..... | أ- تشييع بني عمَّار..... |
| ٢٩١..... | ب - بنو عمار والفاطميون..... |
| ٢٩٣..... | ج - بنو عمار والسَّلاجقة..... |
| ٢٩٨..... | د- بنو عمَّار والصليبيون..... |
| ٣٠٠..... | هـ- سُكَّان إمارة طرابلس في العصر العُمَّاري..... |
| ٣٠٧..... | خاتمة..... |
| ٣١٣..... | مكتبة البحث..... |
| ٣٢٧..... | الفهارس التحليلية الشاملة..... |



هذا الكتاب

جعفر المهاجر

في وقت ما من السنة ١٩٧٤، إن لم تكن قد خاتمتي
الذاكرة، اتصل بي الطيب الذكر الأستاذ الدكتور نقولا
زيادة ليقول لي أن لديه كتاباً جديداً بالفرنسية هام جداً
في الموضوع الأثير لدي يعني تاريخ الشيعة. وعند أول
لقاء به أهداني الكتاب وعليه إهداء مؤلفه، مشفوعاً بوصية
منه هو بضرورة العمل على ترجمته.

كان ذلك بداية علاقة حميمة بيني وبين الكتاب لم تنقطع.
ساهمت بتكوين حدسي الشخصي على لغز انتشار التشيع
في المنطقة الشامية خلافاً لكل تهيواتها الذاتية، وبالتالي
بقيادة أبحاثي الكثيرة على الإشكالية نفسها. في تلك الأثناء
لم تفارقني فكرة العمل على ترجمته. ولكم يسعدني الآن
أن أراه بحلته الجديدة. وهذه مناسبة للتوحيه بالجهد
الصادق الذي بذله الصديق العزيز فضيلة الشيخ محمود

الذين في ترجمة الكتاب.

إنَّ أهميّة هذا الكتاب هي في أنّه أوّل دراسة عملت على تحرير تاريخ الشيعة من الأسطورة، التي تُقدّم لنا بشكل أبطال وهميين، يُفسّرون حركة تاريخ أكبر منهم بكثير. ومن هنا فإنّ الكتاب ما يزال جديداً بعد أربعين سنة من تصنيفه. وهذا أفسى امتحان يخضع له أيّ كتاب.

الفكرة الأساسية التي قادت عمل المؤلف هي إقامة الصّلة بين التركيبة السّكانية لمنطقة عمله (لبنان وسوريا والجزيرة) وبين ظهور التشيع فيها. وقد نجح في ذلك، على الرّغم من أنّه لم يلتفت إلى نقطة منهجيّة سابقة منطقياً، هي بيان العلاقة بين الحركة السّكانية وبين التركيبة السّكانية التي وصفها وتتبع تاريخها في أشكالها ومراحلها. وإن يكن قد أشار إشارات سريعة إلى العلاقة بين الهجرات الإسلاميّة الكثيفة خصوصاً إلى السواحل الشاميّة، وبين امتلاء الشام سكانياً. لقد كان بيان تلك العلاقة المُفترضة نقطة ضروريّة جداً، هي التي قادت عملنا في كتابنا (التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية)، وإلا سيكون علينا أن نقبل أنّ التشيع وأنّ تلك الجماعات التي حملت لواءه أصيلة في المنطقة، ولم

تحمله إليه حركات سُكَّانِيَّة قادمةٌ إليه من خارجه، وهذه فكرةٌ غير سديدةٍ بالتأكيد.

طبعاً، وكما في أيّ كتاب، فإنّ هناك أفكاراً تفصيليّةً قابلةً للنقاش. من ذلك مثلاً تفسيرُ ضَعْفِ الحضور الشيعي في المكتبة التاريخية الإسلاميّة بسلوك الشيعة مسلكَ التقيّة. هذا بمثابة إصبع يُحاولُ أن يُخفي وراءه جبلاً. وكأنّ المؤلف لم يُعانِ الكثير من عقليّة مؤرّخين السُلطويين، الذين وجّهوا عيناً عوراء إلى شؤون العباد، وبذلك غيّبوا كل ما له علاقة بالتاريخ الإنساني. ومنه طبعاً تاريخ الشيعة. هذا إلى جانب أمثلة أخرى نَبّهنا عليها في بعض ما علّقناه على متن الكتاب. ومع ذلك كلّهُ، فإنّ هذا الكتاب يبقى مُميّزاً جداً، بل فريداً في بابهِ. وإنني لأرجو أن يجد القراء الكرام فيه مثل ما وجدته من فائدةٍ ومُتعةٍ.



المقدمة

إن هذه الأطروحة «بحوث تاريخية على الشيعة في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى» هي محاولة للاضائة على تاريخ الشيعة أثناء القرون الوسطى. وكنت قد بدأت منذ عدة سنوات بحثاً آخر على تاريخ التعليم الشيعي في جبل عامل (جنوب لبنان) أثناء الحقبة العثمانية. واطن أن عملي الحاضر يذهب في الاتجاه الأول نفسه.

أسباب عديدة دفعتني لاختيار موضوع هذه الأطروحة، منها نصيحة أستاذي كلود كاهن، الذي لاحظ مثلي غياب الدراسات التاريخية على المنطقة أثناء القرون الوسطى. وخاصة على موضوع التشيع في لبنان وفلسطين. غياب يزيد من خطورته أن الشيعة كانوا فعالين، منخرطين دائماً بتاريخ المنطقة، وبالأخص في تاريخ لبنان، حتى أيامنا هذه، بالرغم من محاولات عديدة لإلحاق تاريخهم بأي ثمن بتاريخ العراق وإيران. إضافة إلى ذلك، فإن للشيعة أهمية في حياة لبنان الحالية والمستقبلية، لأنهم على الأقل

يمثلون أكثر من خمسَي مجموع السَّكان. إنَّ الموضوع الشيعي، وإن تكن له أبعاد دينيَّة، فإنَّ له كذلك قواعد اجتماعية واقتصادية وسياسية، لذلك فهو يُطرح الآن ضمن إطار الحضور الرسمي داخل السلطة وتحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي داخل البلد، حيث يرتبط هذا الوضع بقوة بالدين وحتى بالطائفة. أخيراً، ومنذ عدة سنوات، فإن الموضوع يُطرح في سوريا على صعيد النصيرين. كل هذا ناتج بدون أدنى شك عن تاريخ الشيعة أثناء القرون الوسطى.

ولكن تحقيق هذا العمل، قد اصطدم بعدة صعوبات هذه البعض منها:

حرائق المكتبات: يجِدُ المؤرِّخ نفسه أمام أربعة قرون ونصف من الظلمة وعدم الثَّقة، تمتد من الفتح العربي حتَّى وصول الصليبيين^(١). يعودُ ذلك بعض الشيء إلى ثلاثة حوادث مهمة في تاريخ الشيعة في منطقتنا أدَّت إلى خسارة مكتبات الشيعة: الأولى هي مكتبة حلب (١٠٠٠) كتاب) التي احترقت بعد العام ٥٤٦٠ / ١٠٦٨ م؛ الثانية

(١) فيليب حتّي: لبنان / ٢٩٧ هـ. لأمّنس: سوريا / ٩.

هي مكتبة طرابلس (١٠٠٠٠٠ كتاب) احترقت أيضاً سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م؛ والثالثة هي مكتبة جبل عامل حيث أحرق أحمد باشا الجزائر كل الكتب الشيعية في افران عكا بعد معركة يارون ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م^(١). هذه الخسائر كانت نتيجتها عدم كفاية التوثيق الضعيف والمبعثر في آن. نظرية التقيّة: التي من خلالها كل شيعي حقيقي يجد نفسه ليس فقط مأموراً، بل مضطراً في يقينه لأن يُخفي مشاعره الحميمة. فبين أعداء معتقداته يجب عليه ان يتكلم ويتصرّف كما لو انه واحد من أتباعهم، هرباً من اضطهادهم الذي كان رائجاً في تلك الحقبة، الذي جعل من التاريخ الشيعي تاريخ الشهداء. إنّ من نتائج هذه النظرية سكوت معظم المؤرّخين المسلمين في القرون الوسطى بالرغم من كون معظمهم شيعة^(٢). تركيز الحياة الثقافية في تلك الحقبة على العلوم الدينية وإهمالها التاريخ^(٣).

(١) يمكن ان نذكر على سبيل المثال مكتبة آل خاتون التي كانت تضم ٥٠٠٠ كتاب .

(٢) حتّي: سوريا II / ٤٢.

(٣) صفاء: تاريخ جبل عامل / ١٥-١٧.

صغر حدود المنطقة ومع ذلك خصوصيتها بالأحداث المعقدة المتأثرة بعدة عوامل.

وجود عيوب في البحث حول الجذور اليمانية للتشيع. مما سبب استحالة تحديد هوية كل الشخصيات الموجودة في كتاب «البحار» للمجلسي. كما توجد ثغرة أخرى على صعيد البحث تكمن في عدم كفاية المعايير المعتمدة في التصنيف وفي الزمن.

صعوبة الوصول الى الوثائق التي تقدمها منذ سنتين مكتبة مدرسة اللغات الشرقية الحية، التي تمثل المستودع الرئيسي والخدمة الرئيسية لإعادة الاعمال الضرورية للفهم الجيد لحقبتنا هذه.

وللخروج من هذه اللوحة السوداء، يجب التركيز الآن على الطابع الايجابي لعملنا والقيام بنظرة إجمالية مختصرة للطريقة التي قادتني.

قسمت كتابي إلى جزئين أساسيين. يحتوي الأول على ثلاثة محاور/ فصول: الأول هو عام نوعاً ما، معالجاً التشيع: كلمة، ولادة، بحثاً قَبلياً، بينما يعالج الاثنان الآخران مسألة انتقال سوريا من المسيحية الى السُّنية الرّسميّة. ويمكن

اعتبار هذا المحور / الفصل تحضيراً للأرضية، أو تحوّل سوريا للمرحلة المستقبلية، وإن لم يكن الطابع العام شيعياً أبداً. فقد أردتُ مع ذلك كشف بعد التحضيرات الأكثر تعبيراً خلال عصر الخلافة الراشدية والأُموية مثلة رحلة أبي ذر الغفاري الى بلاد الشام او تاريخ أسعار... لكن المحور الثالث المتعلّق بسوريا العباسية السُّنّية هو الأكثر أهمية: فهنا يتضح التحوّل الواضح لسوريا، إن على صعيد الانتفاضات السياسية - القبليّة، أم على صعيد التيارات المضادّة للعباسيين، التي كان التشيع جزءاً منها. فنشاهدُ في هذه الفترة هجرةً شيعية نحو سوريا ومناطق أخرى فيها الإسماعيليون والشيعة الاثنا عشريون. أمّا الفئة الأولى^(١) فإنها أثبتت عدم القدرة على الحلول مكان السُّنّة. لذلك فإن الفترة التالية ستكون فترة الحمدانيين ثم الفاطميين.

أمّا الجزء الثاني: سوريا الشيعية، فإنه يعرض الوصولَ الى التحوّل السابق. في سوريا الشيعية هذه عالجتنا محورين: الحمدانيّون في الجزيرة وفي سوريا الشمالية حيث تحدثتُ عن التشيع الحمداني، الذي لم يستطع البقاء مخبئاً بالرغم من

(١) على الأرض السورية.

الاعتدال وتطبيق سياسة غير مُستقرّة. فقد ركّزت على تشييع الحُكّام والشعب، مسألة احترامها في هذا الجزء الثاني كاملاً. لأن الحُكّام اذا حاولوا الحفاظ على أنفسهم من خلال التغييرات التي تلقّتها بغداد، فان الشعب (بالأخصّ الطبقات الشعبية التي لم يكن لديها شيء تخسره) لم يفهموا التشييع بهذا الشكل. أمّا المحور الثاني الذي اعتبره أساسياً، فقد قُسم إلى ثلاثة اجزاء حيث يعالج الجزء الأول والثالث التشييع في سوريا الجنوبية (فلسطين) والوسطى (دمشق ولبنان). هنا عولجت معظم المعلومات حول التشييع، حول نجاحاته واخفاقاته، في دمشق كما في مختلف المُدن اللبنانية، وبالأخصّ مُدن الجنوب. مع دراسة لسياسة بني الجراح الطائنين لتحديد الى أي مدى كانت على علاقة مع التشييع الذي اجتاحت سوريا. نفس الدراسة المعتمدة مع بني جراح، طُبقت على بني عمار الذي كان تشييعهم لا نقاش فيه كذلك رعاياهم. الجزء الثاني من هذا المحور يعالج التشييع في سوريا الشمالية والجزيرة حيث عولج تاريخ الامارات الثلاثة: المروانية والعُقيلية والمرداسية، حيث خضع تشييعهم وتشييع رعاياها لدراسات على حده.

هكذا نصلُ الى إظهار سوريا شيعية جديدة، اثنا عشرية في معظمها. والتي بالرغم من احتلالها من قبل الفاطميين في الجنوب، السلجوقيين في الشرق والصليبيين في الشمال، استمرّت بالحفاظ على طابعها المذهبي حتّى التحرّر من الاحتلال الصليبي.

لقد كان بوّدي إطالة عملي هذا ليشمل المراحل التالية: السلجوقية والزنكية والأيوبية والمملوكية والصليبية، فالأبحاث على هذه المراحل قد تَمّت، والبطاقات قد استُجمعت وصُنّفت. لكنني آثرتُ بالاتفاق مع أستاذي الحفاظ على هذه الابحاث لعملٍ لاحقٍ أرجو أن يكون أكثر تعمّقاً.

إنني أتمني أن يكون هذا العمل قد حاز بهذا الشكل على الدقّة والكثافة المطلوبة.





التشيّع في سوريا المسيحية والسُنّيّة





الفصل الأول

التشييع

١- الكلمة وتاريخ استعمالها:

إن كلمة شيعة ^(١) تعني المُحَازِبِينَ لشخص ما، الذين يقبلون آراءه ومنهجيته ويساهمون في تحقيقها. يمكن لهذه الكلمة أن تُستعمل بصيغة المذكر والمؤنث، بالمفرد والجمع. يقال هو أو هي شيعي، كما يقال هم أو هنّ شيعة. وجمعها شِيع أو أشياع.

ضمن هذا المعنى الممتدّ، أخذت الكلمة معنى أكثر تخصيصاً في الاسلام، مع صيرورتها إسم علم لأنصار آل النبي وبالاخص الامام علي بن ابي طالب والذين اعتقدوا إمامته بعد النبي ^(٢)

(١) محمد كرد علي: خطل الشام VI / ٢٥١٠ : طه حسين. الفتنة الكبرى، II / ٧٣، محمد جواد مغنية: مع الشيعة الامامية / ٢٤

(٢) حسين محفوظ: طريق الشيعة / ٨. I. A. H. Lammens- la Syrie. ١٧٩، محمد جواد مغنية: مادة «أهل البيت» في موسوعة البستاني.

إن أقدم تاريخ لاستعمال هذه الكلمة في تاريخ الاسلام هو عصر النبي ^(١)، فقد كانت مستعملة بعدة أشكال ولم يكن لأي منها استعمالها التخصيصي:

- لتسمية أربع من الصحابة: سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، المقداد بن الاسود الكندي وعمار بن ياسر.
- لتمييز المسلمين، فقد سمّاهم النبي شيعتي أي انصاري.
- لتسمية المجموعة التي سوف تُشكل من قبل التميمي ذو الكويسرة بعد يوم حنين.

فضلاً عن ذلك، فإن المعنى الآخر للكلمة سوف يظهر أيضاً في عصر النبي، فقد استعملت الكلمة لتسمية علي وانصاره. وبالأدق فإن الاستعمال الأول في هذا المعنى كانت عبارة للحسن بن علي لدى أبي مخنف ^(٢).

نلاحظ - إذن - أن المؤرخين والكتاب الشيعة يركّزون على أن استعمال كلمة (شيعة) معاصر للنبي. ليستنتجوا وجود التشيع منذ ذلك الوقت. وليخلصوا إلى إرادة النبي في تكوّنه.

(١) محمد كرد علي: خطط الشام: ٤ / ١٥٢.

محمد جواد مغنّية: الشيعة والتشيع / ١٤ و ١٠٨.

(٢) أبو مخنف: مقتل الامام أبو عبد الله الحسين / ١.

فمن الممكن جداً ان نجد الكلمة في عصر النبي أو في عصور أكثر قدماً. لكن ذلك لا يفسر في أي حال استعمالها للإشارة إلى التشييع أو أنصار علي. فللإشارة إلى هؤلاء يجب ان تكون كلمة شيعة مُلحقة باسم علي. وهذا ما لم يستطع ان يتحقق منه طه حسين من أي مصدر في العصر السابق لاجتيال عثمان^(١).

فبعد اغتيال عثمان ومبايعة علي من بعده^(٢)، كان لأنصار الخليفة الجديد اسم (شيعة علي). ولقد كان من الطبيعي أن يكون لعلي شيعة. إذ أنه كان مدعوماً من قبل الذين أوصلوه إلى سُدة الخلافة. لكن من المؤرخين من انتظروا مناسبات أخرى لاستعمال الكلمة، فالبعض منهم قال أن تسمية شيعة لأنصار علي أعطيت لهم حين خروج الخليفة ورجاله لمطاردة ناكثي بيعته طلحة والزبير. هذه المجموعة من المقاتلين لأجل الشرعية سُميت الشيعة، وأسماءهم علي «شيعتي»^(٣). أما البعض الآخر من المؤرخين^(٤) فقد جعلوا

(١) طه حسين: الفتنة: II / ١٧٤.

(٢) بويج علي من قبل مجموعة من محازبيه.

(٣) حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام / ٣٨.

(٤) محمد كرد علي: خطوط: VI / ٢٥١، ح الآمين: لمحات من تاريخ الشيعة، العرفان ١٩٧٠، مجلد ٥٨ ص ٧٩٩.

من معركة صفين وظهور الخوارج تاريخاً للاستعمال الاول للكلمة للإشارة إلى أنصار علي.

قد يبدو أنه من بداية حكم علي حتى موت معاوية، لم يكن لكلمة شيعة وحدها الاستعمال الشائع للإشارة على نحو الحصر إلى أنصار علي، فقد كانت مستعملة مضافاً إلى اسمه: شيعة علي^(١). وبعد معاوية أخذت كلمة شيعة معناها الخاص في التاريخ الاسلامي وأشارت إلى أنصار علي^(٢).

مؤرخون آخرون أنكروا حتى استعمال كلمة شيعة مضافة الى اسم علي في تلك الحقبة^(٣). فهم يتبنون تسمية انصار الخليفة المقتول (الذين طالبوا بالقصاص من قتلته) بـ (العثمانية)، وأنصار الخليفة الجديد بـ (العلوية)^(٤). واستمر ذلك طوال الفترة الاموية.

لكن هذا الحال تغير مع قدوم العباسيين، ففي أيامهم، فيما يبدو، سُميت العثمانية بالسنة والعلوية بالشيعة.

(١) استعملت الكلمة وحدها بعد صفين وقبل موت معاوية: تاريخ الطبري: ٤ / ٦ و ١٤٤ و ١٤٨.

(٢) الأمين: لمحات، العرفان ١٩٧٠، مجلد ٥٨ - ص ٧٩٩.

(٣) بين اغتيال عثمان وموت معاوية.

(٤) الموسوعة الاسلامية الشيعية: ٥ / ١٣ : مغنية الشيعة والتشيع / ١٠٨ - ١٠٩.

أما محمد جواد مغنية، فقد وجد حلاً معتدلاً^(١)، فهو لم ينف وجود كلمة الشيعة مع العلوية فاصبحت التسمية: الشيعة العلويون. بينما قلص علي الزين فترة استعمال كلمتي (علوية) و(عثمانية)^(٢) ووضع مكانهما، بعد الصلح بين معاوية والحسن: السنة والشيعة.

يبقى ان نَمَعَن كلمة اخرى مهمّة في تاريخ التشييع، وهي كلمة (متوالي) وجمعها (متاولة)^(٣). والكلمة تأتي من فعل تولّى اي اتخذ أحداً فتولّاه. كما يمكن ان تُشتق الكلمة من فعل توالى، التي تحمل معنى التابع، لتعني بهذا الشكل أنّ هؤلاء الناس تابَعوا لدعم آل النبي.

البعض الآخر ادّعى أن متاولة كانت اشتقاقاً من صرختهم الحربية: مُتْ وَلِيَا لِعَلِي. وقد كانت هذه الكلمة مستعملة للإشارة إلى شيعة لبنان (جبل عامل، بعلبك وشمال لبنان) في القرن الثاني عشر للهجرة. كما يمكن أن نجد شيعة يحملون الاسم نفسه خارج الحدود اللبنانية. إنهم المهاجرون اللبنانيون. هذا هو حال الشيعة الدمشقيين في

(١) مغنية: الشيعة والتشييع / ١٠٨.

(٢) علي الزين: الشيعة في التاريخ / ٣٠.

(٣) الموسوعة الشيعية: ص ١٤ - ١٥ : محمد كرد علي: خطلط: ٦ / ٢٥٢-٢٥٣ : شكيب ارسلان: العرفان ١٩١٠ مجلد ٢ ص ٤٤٥ : لورته: مشاهدات / ١٥٣.

٣٠ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

الصالحية الذين قدموا من بعلبك.
هكذا يكون التفسير المعطى لكلمة متاولة قد أُملِي علينا
لتلافي الالتباس في استعمال كلمتي (الشيعة) و (المتاولة)،
ولإظهار أن الثانية لا تدخل ضمن عملنا هذا.

ولادة التشيع:

ما من تاريخ مُحدّد لولادة التشيع. مع ان الكثير من الكتابات قد عالجت هذه النقطة. لكن كل واحدة جعلت من حَدث ما نقطة انطلاق لهذا المذهب الاسلامي. من بين هذه الكتابات واحدة أرجعت بداية التشيع إلى عهد النبي، حيث بايع كثير من الصحابة علياً ليكون من يلي أمورهم بعد موت النبي^(١)، واجدين فيه الخليفة الأكثر أهلية لقيادة الأمة. في الخلاصة، يمكن القول جزمًا أنه كان لعلي أنصاره إبان حياة النبي^(٢).

أما الكتابات الاخرى. فإنها تضع ولادة التشيع في عصور مختلفة بعد موت النبي:

١- يوم السقيفة: حيث ظهرت الأطراف والتيارات الإسلامية والتنافس بينها جلياً بعد موت النبي مباشرة. وهذا هو التاريخ الاقدم لظهور شيعة علي^(٣)؛ فقد ظهرت عدّة

(١) من المحتمل انهم بايعوه على حياة النبي.

(٢) نويختي: فرق / ١٥ : الصدوق: علل / ١٥٦ - ديلمي: ارشاد: ١ / ١٩٣، ٣٠٠ Cahen: Revue Historique

(٣) ص ٣٦٢-٣٧١ جزء ٤، طبعة ١ R.Strothmann:art. shia

اطراف من بينها اصحاب علي ومن بينهم ابن الزبير^(١) وعدد من المهاجرين والانصار^(٢).
 ٢- اعتبرت مجموعة أخرى أنّ نهاية عهد عثمان^(٣) هو تاريخ ولادة التشيع نتيجة لفشل السياسة العثمانية، ممّا برّر الانتفاضة ضد الخليفة في ذلك العصر، وكان المصريون المؤيدون لعلي على رأس هذه الثورة.
 بالنسبة للمجموعة الثالثة، فإن ولادة التشيع تقع يوم الجمل، مما يعني ان هذه الحركة وُلدت أثناء حكم علي: كانت تلك ولادة الحركة الشيعية. بينما فكرة أحقية قضية عليّ قد بشت على الأرجح قبل حكم علي، بشهادة أنّه أسمى رجاله عندما كان في الطريق لملاقاة طلحة والزبير «شيعة»^(٤).

فرضية رابعة تُعيد ولادة التشيع الى ما بعد صفين. لقد تميّزت هذه المعركة بولادة الشيعة المسلمين الذين وضعوا في دائرة الضوء حزب الخوارج. ثم أن الشيعة أصبح الجواب الطبيعي للتطرف الخارجي. فقد التفّ مؤيدو علي

(١) الطبري: تاريخ: ٢ / ٤٤٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ: ٢ طبعة النجف ١٣٥٨ / ١٠٣.

(٣) محمد ابو زهرة: مذاهب: ٢ / ٤٧.

(٤) ابن النديم: فهرست / ٢٦٣ طبعة القاهرة.

حول مستعدين للدفاع عنه في كل الظروف^(١).
 مهما يكن، فإن تداخلاً بين التشيع الروحي^(٢) والآخِر
 السياسي^(٣) ظهر على الأرض وجعل من الصعب تحديد
 موضوع ولادة التشيع.
 منذ عهد النبي لم يكن التشيع الروحي موضع نقاش،
 بالرغم من التفسيرات المتعددة والشرسة للأحاديث التي
 تُشير إلى علي كخليفة للنبي على رأس المسلمين. وقد كان
 هذا التشيع ثابتاً من خلال:
 وجود عدد من الصحابة الذين أيدوا علياً أثناء حياة
 وحكم الخلفاء الثلاثة الأول. فقد نودي بحق علي وذريته
 في عدة مناسبات^(٤).
 وجود عدد من المسلمين الذين يعتمدون فقه علي
 حتى قبل فترة حكمه. أن تعتمد فقه علي يتطلب بالضرورة
 مساندة إمامته.
 لقد بدأ التشيع السياسي يوم السقيفة لفترة معينة، ثم

(١) الطبري: تاريخ: ٤ / ٤٦.

(٢) الذي قاعدته الاعتراف بوصية النبي، بإمامة علي، وما هذا التحقيق للارادة الالهية .

(٣) الذي قاعدته الاعتراف بحق علي بالخلافة والعمل على اعاده حقه دون الاعتقاد التام بإمامته
 بالوصية النبوية.

(٤) الحسيني: تطور النقود... ص ١٦-١٧.

توقف، ثم استعاد نشاطه مع نهاية عهد عثمان، ووصل الى ذروته أثناء خلافة علي. إن الدليل على الدعم السياسي لعلي يأتي من كونه قد سَمِيَ جماعة من المسلمين «شيعة» في الاجتماعات الضيقة؛ بينما كان يقول «المسلمين» في مخاطبة أو حين يعني الكل.

إن يكن الدكتور طه حسين^(١) قد جعل من خلافة الحسن بن علي سنة ٤١ هـ / ٦٦٣ م التاريخ الأبعد لولادة الفرقة الشيعية، فانه يبدو لنا بكامل الوُضوح أن مأساة كربلا كانت المُحرِّك الحقيقي لولادتها^(٢). ذلك لأن كلمة (فرقة) قد بدأت منذ ذلك الأوان تتخذ معنى دقيقاً في التاريخ والثقافة الإسلاميين، بحيث كانت تشمل الناس (شيعة) والافكار (تشيع).

إن بذور التشيع، إن صحَّ القول، بدأت تنمو وتكبر بعد شهادة الحسين، وأيضاً بعد السياسة العميقة للأمويين والزُبيريين، كذلك بعد فشل الأمويين في كسب ود القُرَّاء والفقهاء، وسياستهم الخاطئة تجاه غالبية سكان الامبراطورية الاسلامية بنحو عام والموالي منهم بنحو خاص.

(١) طه حسين: الفتنة ص ١٦ - ١٧.

(٢) Encyclopedie de la pleade. جزء ٢ / ١٩١١ (index historique).

الفرقُ الشيعيّة:

لقد ولدت الفرقُ الشيعيّةُ بعد فترة زمنية عدداً كبيراً من الفرق الشيعيّة تطرّق إليها النوبختي. لكن هدفنا في هذا المقطع هو تعريفٌ سريعٌ بالفرق الشيعيّة المعتدلة. يُذكرُ هنا ثلاث مجموعات أساسية: الزيديون، الاسماعيليون والاثني عشريون.

أ- الزيدية^(١): من اسم زيد بن علي بن الحسين، أخو الامام الباقر. ينادي الزيديون بزید إماماً بعد جدّه الحسين. وقد استشهد زيد سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م في العراق أثناء معركة ضدّ جيش الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. والزيدية هي الفرقة الأكثر اعتدالاً بين فرق الشيعة، والأكثر قرباً من السُّنة. ويمكن ان نلخص وجهات نظر الزيديين على النحو التالي:

(١) ص ١٢٦ - ١٢٦٦، مجلد I، art. al Zaidiyya، R. Strothmann، IV،

Lammens، Syrie، ١٨٢ / ١،

أمين: فجر / ٢٧٢ - ضحى: ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦،

ابو زهرة: مذاهب: ١ / ٥٠ - ٥٤،

Laoust، schismes، P ١٣٦ - ١٣٥،

- تؤول السلطة لأيّ متحدّر من سلالة فاطمة يستولي عليها بقوة السلاح. وبالتالي لا خلافة بالارث.
- يضعون السرّ الالهي في الإمام. ويرفضون الفيض الاستثنائي لأيّ جزء من النور الالهي في أيّ شخص بعينه من أبناء علي.
- لا يقبلون أي علم خفي للأئمة، فهو يجب أن يكون لديه المعرفة الضرورية.
- لا يؤمنون بوجود الامام الغائب.
- يرفضون فكرة المهدي المنتظر وبإمام سوف يعود^(١).
- يرفضون شتم ابي بكر وعمر ويقبلون خلافتهما.
- يمنعون الزواج المتعدّد كما انهم لا يبيحون زواج المتعة.
- يقبلون بوجود إمامين بوقت واحد في مكانين مختلفين. بحسب بعض الشيعة، الزيديون مذهبٌ على حده، مستقلّ عن السّنة والخوارج والشيعة، ولكن في جميع الاحوال لا يُمكننا نكران التشييع السياسي للزيدية. مهما يكن، فان الزيديين لا يفيدون موضوع هذه

(١) ابو زهرة: مذاهب: ٢ / ٥٠٣ - ٥٠٤

الاطروحة لأنهم يؤلفون دولاً بعيدة عن الإطار الجغرافي المقصود.

ب- الإسماعيلية: من اسم إسماعيل ابن الامام السادس جعفر الصادق. ومنهم فرقة سُميت بالحشاشين لكون رجالها- فيما يُقال- يتعاطون المخدرات في قلاعهم للتكيف مع تنفيذ المهمات. يعترف الاسماعيليون بإسماعيل كآخر إمام مرئي، فهو المهدي الذي سوف يعود يوماً لإقامة العدل في هذا العالم. بعد إسماعيل المتوفى سنة ١٤٥ هـ، هناك سلسلة لا تنقطع من الأئمة ينقل فيها الأب للابن البكر الجانب الالهي ويكملون الدعوة.

يمكن ان نلخص الاحكام الإسماعيلية ^(١) على النحو التالي:

- ليس لله أي وصف، لا يدركه العقل، غير مفهوم، يمثل العقل الكلّي من خلال أمره.
- خلق الكون: لقد خلق العقل الكلّي النفس الكونية، اي الحياة، التي انتجت بدورها المادة الاولية التي كوّنت الارض والكواكب متلقية أوامر أشكالها من العقل.

(١) هوار: art إسماعيلية، E.I. - جزء II / ٥٨٧ - ٥٨٨

حشي: اسماعيليون ص ٤١ - ٤٤

كائنات بدائيات وُجدا إذن هما: المكان والزمان.
 - خمسة كائنات ناشطة تنتج حركات الكواكب والعناصر.
 وكان الانسان من باب الضرورة مختبراً من قبل النفس
 الكونية ليقترّب من العقل الكلّي عن طريق اكتساب العلم
 الكامل. والوصول إلى هذا الهدف يقود إلى إيقاف كلّ
 حركة.

ولكن بأي وسيلة يُكتسب العلم؟

- نحو اكتساب العلم: هنا يأتي دور الامام. أمّا الانبياء:
 موسى وعيسى ومحمد، فقد كانوا التجسيد الارضي
 للعقل. وانتقلت هذه الميزة للأئمة المتوالين الذين فسّروا
 العلم. يساعدهم الحجّة على نشرها، وهو المكلف
 باعطاء الأثبات لدعوة الامام والداعية.
 - العالم الآخر وقَدَرُ الأنفس: الجنة تعني حال
 الأنفس التي وصلت إلى العلم الكامل، بينما يعني
 الجحيم الجهل. لا يُحكم على أي نفس بالجحيم
 الابدي، فهي تعود الى الارض من خلال التَّقْمُص،
 إلى أن تتعلم من إمام العصر العلوم الضرورية للخروج
 من الجحيم والمصير إلى الجنة. إنّ تَمَثُّل كل الخلق

بالعقل الكلي سيجعل الشر يختفي.
 قبل الانتقال إلى المجموعة الشيعية الثالثة الأساسية، يبدو
 لي أن من الضروري التوقف عند فرقتين من الإسماعيليين:
 القرامطة و الدروز.

١ - القرامطة^(١): واسم هذه الفرقة مُشتق من اسم زعيم
 للحركة، قيل أن اسمه حمدان قرمط. وقد وُلدت
 هذه الحركة من رحم الإسماعيلية. وهي حركة استغلّت
 الشرعية العلوية لصالح نظام اجتماعي مبني على تفسير
 «شيوعي» نوعاً ما للمنايع القرآنية.

٢ - الدروز^(٢): هو مذهب مُشتق أيضاً من الإسماعيلية في
 عصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (سنة ٣٦٥ -
 ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) وبأمره وتنظيمه.

وللدروز مبادئهم الخاصة. ولكن من الصعب التطرّق
 إلى هذا الموضوع بسبب سرّية المعتقد وبسبب
 اختصاص نخبة معينة بمعرفته هم (العُقّال).
 ولكن يُمكن القول إجمالاً بصدق أن هذا المذهب

(١) للتعرف إلى أحكام القرامطة راجع: I. massigon, art.Karmates.

(٢) لمزيد من التفاصيل، راجع M.G.S HODGSON.art Duruz. طبعة II، ٢١، ص ٦٤٧ -B ٦٥٠.
 A.B

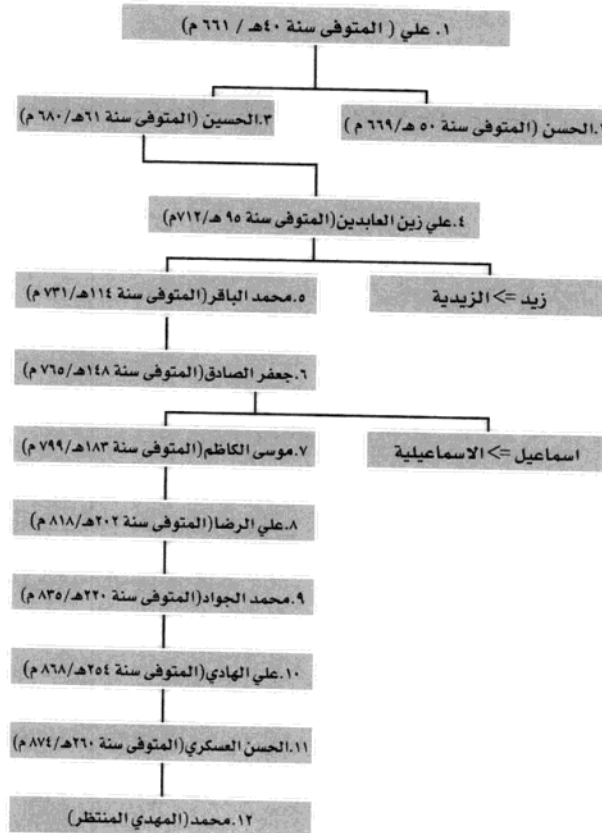
٤٠ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْحَاكِمِ كَأَخَرِ تَجْسِيدِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ .
وَلَا يَقْبَلُ الدَّرُوزُ أَنَّهُ مَاتَ، بَلْ يَقُولُونَ أَنَّهُ اخْتَفَى وَ سَيَعُودُ
يَوْمًا مَا عَلَى طَرِيقَةِ الْمَهْدِيِّ.

ج- الاثنا عشرية^(١): هو المذهب الشيعي الذي يقول
بتسلسل الائمة الاثني عشر، يبدأون مع علي وينتهون
بمحمد المهدي الذي غاب وسيعود في نهاية الزمان
ليملأ الارض عدلاً كما مُلئت ظُلماً.

(١) مطبعة ١١.١ ص ٦٠٠ A.B ٥٩٩ CL.HUART.art. Ithna ashariyya

شجرة الأئمة الإثني عشر عند الإثني عشرين:



يُسَمَّى الاثنا عشريون أيضاً بالإمامية، لأنهم يجعلون الإمامة أصلاً من أصول الإسلام (التوحيد، النبوة، الإمامة). إن الاثني عشرين مسلمون موحدون، يؤمنون بكل ما بُلِّغ من الله على لسان النبي. ومن الضروري طبعاً التركيز على بعض النقاط في عقيدتهم:

أ- الإمامة: هي أصل ضروري للحفاظ على نظام الكون. والامام هو من سُلالة النبي، وهو الأفضل في زمانه، موقعه على رأس المؤمنين، ويدبر شؤونها الدينية والزمنية.

والإمام على علاقة روحية مع الله من خلال الملائكة الذين يدخلون بيته يحملون الإرشادات من الملاك جبرائيل [كذا ! ومن الواضح أن هذا ليس من عقيدة الشيعة الإمامية (المهاجر)].

والإمام هو حامل الرسالة ومالك الأرض المنتقلة إلى آل النبي كإرث من الله [كذا ! وهذا كسابقه (المهاجر)]. بعد موت الامام فإنه يُغسَل من قبل الامام التالي (عادةً ابنه الذي تكون له نفس الميزات) الذي ينقل إليه رسالته على رأس الطائفة.

- ب- عصمة الامام: لأنه تلقى النور الالهي لإتمام رسالة النبي، يجب ان يكون الامام معصوماً طوال حياته، والّا فانه يصبح بحاجة لشخص آخر للحفاظ على الشرعية.
- ج - المهدي: هو الموجه من قبل الله. فأصبح اللقب للامام الغائب، الذي سيعود ليحكم شخصياً بالقانون الالهي. هذه الفكرة تُكوّن جزءاً أساسياً من العقيدة الشيعية. هي نوع من الأمل بالتعلق بفكرة المحرّر.
- د- الرجعة: هي عودة جسدية لجزء من البشرية مع قدوم المهدي ؛ وسوف تُتبع هذه الرجعة بعقاب كل الذين أساءوا معاملة الأئمة، وسوف يُحكم عليهم بالنوم الابدّي حتى نهاية العالم.
- هـ- الغيبة: بما أنّ الارض بحاجة دائماً لإمام لإقامة النظام، فان الوصول إلى الثاني عشر تقود لفكرة الغيبة ؛ إنّه غائب في هذه الايام، وإنّها غيبة الكبرى. وهو على اطلاع بكل ما يجري على الارض، وسوف يعود.
- و- التقية هي قلة الثقة بشيء ما: [كذا ! وهو تعريف غير دقيق. كما أنّ التقية ليست من شؤون العقيدة، بل هي حكم ثانوي في مقام الحرج، كما أنّ المتعة أيضاً ليست

من العقيدة (المهاجر) [. إنها فرع شيعي يعني السماح للشيعة باخفاء آرائهم الخاصة في اوقات الاضطهاد والظلم، ومن هنا صعوبة متابعة التاريخ الشيعي.] بوصف المؤلف مؤرخاً كان ينبغي أن لا يحصر صعوبة تتبع التاريخ الشيعي بهذا السبب المزعوم. هناك قبل هذا بكثير جداً الذهنية السلطوية الاحتكارية للمعرفة التاريخية (المهاجر).

ز- المتعة: إن الامامين يقبلون الزواج التعاقدى لفترة محددة لوجود إجماع على المتعة وشك في منعها. يوجد فرع لهذه المجموعة الثالثة الشيعية وهو النصيرية. وهم طائفة شيعية متطرفة^(١) وقد اشتق اسم النصيريين من محمد بن نصير الفهري، صاحب وباب الامامين العاشر والحادي عشر الشيعيين. أما ابن العبري، فإنه يدعي أن النصيريين اتخذوا اسمهم من بلدة تدعى (نصريه) قرب الكوفة. تقوم العقيدة النصيرية على المبالغة في إجلال علي وذريته. فعلياً بحسبهم هو تجسيد لله، وهو خالد من خلال طبيعته الالهية.

(١) لتفاصيل أكثر: ص ١٠٣ A-B.III، طبعة ا. نصيري L.Massignon.art.

يقول النصيريون بثالوث إلهي^(١) مؤلف من علي (الجوهر) ومحمد (الاسم) وسلمان (الباب). هكذا لا يفترق التفكك: فعلي خلق محمد، والنبي خلق سلمان، الذي بدوره خلق كائنات أخرى خلقت العالم. [كذا! ولسنا نعرف مصدراً لهذا الكلام. إلا أن يكون قد أخذه عن أحد المستشرقين. وربما ورد في بعض كتبهم الخطية. ولكن لا يمكن القول أنه من عقيدتهم. هذه الملاحظة تنسحب على بعض ما سيأتي (المهاجر)]

ويتقبل النصيريون^(٢):

- التقمص
- الحياة الأرضية الواحدة
- تأويل القرآن
- استعمال الخمر
- شتم الخلفاء الراشدين
- خلاص القمر والشمس

(١) H. Iammens، سوريا / ١٨٤، بولس: لبنان / ٢٦٥

(٢) محمد يحيى الهاشمي: النصيرية في سوريا الحاضرة، العرفان، المجلد ٣٨ / ٨٦٨-٨٦٩

ويرفضون:

- الحج
- الجنة
- الصلاة

الأصول العربيّة للشيعة

منذ ان اتخذ الشيعة مكانه كمذهب إسلامي له شخصيته، أخذ عليه انه جواب فارسي في قلب الاسلام، بعد فشل كل مقاومة خارجية امام انطلاقة الاسلام الشاب. ولقد تطرق عدة مؤرخين لهذه المسألة وتشعبت آراؤهم. بحسب Goldzeiher، فان الشيعة كان مثل الاسلام، عربي المولد والبيئة^(١).

هل يمكن القبول بهذه النظرية؟

رأي Goldzeiher مبني على الحديث والتاريخ. فقد قال أبو ذر: رأيت النبي رابثاً على كتف علي وهو يقول له «من يحبنا هو العربي ومن يكرهنا هو العليج»^(٢). كما أن الإمام

(١) Goldzeiher: العقيدة والشرعة. ترجمة / ٢٠٥.

(٢) الديلمي: ارشاد II / ٤٧.

- الصادق يقول ان الهاشميين والشيعة كانوا عرباً^(١).
- أما المعطيات التاريخية للأصل العربي للشيعة فهي:
- ١- معظم أنصار علي الذين ساعدوه في حروبه كانوا عرباً من الحجاز والعراق، ولا وجود لأي شخصية إيرانية كبيرة أو أي قائد إيراني كبير بينهم.
 - ٢- كل الذين كتبوا للحسين لمطالبته بالقدوم الى الكوفة سنة ٦٠ للهجرة بحسب ابو مخنف^(٢) كانوا من قادة القبائل العربية القاطنين في الكوفة.
 - ٣- كان أنصار سليمان بن صُرد الخُزاعي، قائد التوابين، عرباً من العراق، عرباً من كل القبائل، والكثيرون منهم من القُرّاء، مع غياب تام للموالي^(٣).
 - ٤- كانت خراسان حتى بداية التوسع العبّاسي أرضاً للعديد من الناس وأيضاً أرضاً للقلوب الخاوية، (يجب ان ننتظر المرسلين لملئها) وكان الإيرانيون إما وثنيين وإما سُنة. فيما كانت قم المدينة الشيعية الوحيدة بُعيد السنة ٨٣ هـ. وقد بناها عرب الكوفة. [بل إنَّ وسط إيران، الذي مركزه

(١) الكليني: الكافي VIII / ١٦٦.

(٢) ابو مخنف: في مقتل الامام / ١٨.

(٣) Wellhausen: الشيعة والخوارج / ١٩٤ M.U.S.J. «les perse du liban». H.Lammens: ٧٧٢-٧٧٨ و ٦٣٩ - ٦٣٢ / H.Lammens: ٢٩-٢٣ / العناصر الفارسية في لبنان والمشرق / ٢٣٢ - ٢٣٩ و ٧٧٢-٧٧٨ H.Lammens:

مدينة كاشان، كان كَلَّه شيعياً إمامياً (المهاجر).
 ٥- الأصل العربي لشيعة لبنان ؛ وان كان عدّة مؤرخين قد حاولوا اصطناع نسب فارسي لهم، مما يجعلنا نفكر بالفرس الذين زرعهم معاوية في المُدُن اللبنانية. وبعد نقاش مع الأب lammens، رأى في القبائل العربية في جنوب لبنان (عاملة، لخم، جذام) أجداد متاولة لبنان. يمكن ان نستنتج من ذلك الولادة العربية للتشيع^(١). وهذا لا يُبعدُ دخولَ إيرانيين وغرباء آخرين في صفوف الشيعة في السنوات اللاحقة. فبالنسبة للإيرانيين هناك نقاط عديدة تقربهم من المذهب الشيعي ؛ فتعلق الفرس بفكرة الملكية المتوارثة والحق الالهي، وُجد ما يقابله بالاعتقاد بالامام. من ناحية اخرى، يوجد كُرة من قبل الفرس تجاه عُمر هادم إمبرطوريتهم؛ كما يوجد قرابة بعض الشيعة من العائلة الملكية الفارسية (زواج الحسين من ابنة يزد جرد الثالث). أضف الى ذلك العلاقات الارستقراطية العربية مع الشعوب الخاضعة لهم، هذه العلاقات أدت الى انتقال الشعوب المظلومة الى التشيع.

(١) بحسب c.cahen، التشيع هو «قضية العرب مع عائلة عربية»؛ Revue historique ص ٢٢٠، ١٩٦٢.

كلُّ هذا لا يكفي. لأننا نريد ان نُحدّد هوية الشيعة على الصعيد القبلي. هل يمكننا ذلك بعد معرفة أصولهم العربية إن كانوا يمانيين أم قيسيين؟

الشيعة: يمانيون أم قيسيون؟

قبل ختام هذا الفصل، يبدو لي أنّ من الضروري تحديد الهوية القبليّة للتشيع. والنتيجة لهذه المحاولة لن تكون إلاّ تقريبية، نظراً لعدم الاستقرار السياسي للقبائل تجاه الحُكّام، ونظراً للعديد من الأسباب الشخصيّة التي تجعل الكثير من الناس يتركون فريقاً للالتحاق بغيره. يُضاف الى ذلك الصعوبة التي وجدها في تحديد هوية حوالي ثلاثين من أصحاب الأئمة.

مهما يكن، فإنّ هذا التحديد سوف يأخذ عدّة أشكال، ليصل إلى نهاية جزئية، يمكن أن تقود عملنا الصعب جداً على المستوى المذهبي، الذي نحاول إيضاحه من خلال وضعه على المستوى القبلي.

٥٠. تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

أما مراحل تحديد الهوية فهي:

- أنصار الأئمة.
- سياسة القبائل ومواقفها تجاه علي ومعاوية.

الشعراء الشيعة من القرن الرابع للهجرة:

أنصار الأئمة: نبدأ بأنصار الإمام علي^(١) الذين آزره قبل إمامته وبعدها وفي معاركه في الجمل وصفين:

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|---------------------|-------|------|
| ١ | أبو ذرّ | × | |
| ٢ | عمّار بن ياسر | × | |
| ٣ | المقداد بن الأسود | × | |
| ٤ | حجر بن عدي | × | |
| ٥ | مالك الأشتر | × | |
| ٦ | سعد بن عباد | × | |
| ٧ | قيس بن سعد بن عباد | × | |
| ٨ | سعد بن سعد بن عباد | × | |
| ٩ | خالد بن معمر | | × |
| ١٠ | معقل بن قيس الرياحي | | × |
| ١١ | شيث بن ربيعي | | × |
| ١٢ | زيد بن الأرقم | × | |
| ١٣ | صالح بن حنيف | × | |
| ١٤ | البراء بن عازب | × | |

(١) ذكرت هذه الأسماء في تاريخ الطبري III، مروج المسعودي (أ) و (ب) : تاريخ اليعقوبي II، وقد تمّ التحديد من خلال استعمال: الكشي، الرجال، الزركلي: اعلام، كحّاله: قبائل.

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|-----------------------|-------|------|
| ١٥ | عبدالله بن بديل | X | |
| ١٦ | عثمان بن حنيف | X | |
| ١٧ | شريح بن هاني | X | |
| ١٨ | عمرو بن محسن | X | |
| ١٩ | عمرو بن الحمق | X | |
| ٢٠ | عدي بن حاتم | X | |
| ٢١ | سعيد بن قيس | X | |
| ٢٢ | بلال الانصاري | X | |
| ٢٣ | سعد بن مسعود | X | |
| ٢٤ | عبدالله بن عباس | X | |
| ٢٥ | حكيم بن جبلة | X | |
| ٢٦ | الوليد بن جابر | X | |
| ٢٧ | سعد بن مالك الخدري | X | |
| ٢٨ | عقبة بن عمرو بن ثعلبة | X | |
| ٢٩ | رفاعة بن رافع | X | |
| ٣٠ | يزيد بن هجيرة التميمي | X | |
| ٣١ | مالك بن ربيعة | X | |
| ٣٢ | جرير بن عبدالله | X | |
| ٣٣ | الاحنف بن قيس | X | |
| ٣٤ | مالك بن التيهان | X | |
| ٣٥ | صعصعة بن صوحان | X | |
| ٣٦ | أبوأيوب الانصاري | X | |
| ٣٧ | خزيمة بن ثابت | X | |
| ٣٨ | قيس بن عبيد | X | |
| ٩ | ٢٩ | | |

٥٢ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

بالمقابل اذا قمنا بنفس المحاولة بالنسبة لأنصار معاوية،
فإننا نحصل على الإحصاء التالي:

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|-------------------------------|-------|------|
| ١ | حبيب بن مسلمة الفهري | | X |
| ٢ | أبو الاعور السلمي | | X |
| ٣ | الوليد بن عقبة | | X |
| ٤ | ذو الكلاع الحميري | X | |
| ٥ | بسر بن ابي أرطاة | | X |
| ٦ | عبد الرحمان بن خالد بن الوليد | | X |
| ٧ | عبيد الله بن عمر بن الخطاب | | X |
| ٨ | عمرو بن العاص | | X |
| ٩ | حمرة بن مالك الهمداني | | X |
| ١٠ | شرحبيل بن حسنة الكندي | X | |
| ٨ | | ٢ | |

أمّا بالنسبة للخوارج:

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|------------------------|-------|------|
| ١ | عبدالله بن وهب الراسبي | X | |
| ٢ | الخرّيت بن رشيد السامي | | X |
| ٣ | اشرس بن عوف | | X |
| ٤ | هلال بن عنفة | | X |
| ٥ | الاشهب بن بشر | X | |
| ٦ | سعيد بن قفل | | X |
| ٧ | ابو مريم السعدي | | X |
| ٨ | مسعر بن فدكة | | X |
| ٦ | | ٢ | |

نستخلص من هذه الجداول الثلاثة ما يلي:

بحسب الجدول الأول فإن أنصار علي كانوا بغالبيتهم يمانيين. فمن أصل ٣٨ شخصية، كان ٢٩ منهم يمانيين و ٩ قيسيين. وبحسب الجدول الثاني، فإنه يأتي ليدعم نتيجة الأول من حيث أنه يُحدّد هوية عشر شخصيات من أنصار معاوية كان من بينهم ٨ قيسيين ويمانيين اثنين فقط.

- يؤكّد الجدول الثالث فكرة أنّ القيسيين في صفوف علي لم يكونوا على ما يُرام في هذا المحيط. وأنهم كانوا ينتظرون فرصةً للانسحاب والابتعاد عن الهيمنة اليمانية. لقد كانوا منجذبين إلى شخصية الامام الذي نأى عن أي تصنيف قبلي، فتعصّبهم أثناء وبعد التحكيم يمكن ان يُفسّر على هذا النحو. لقد كانت صفين لحظةً قاطعةً بامتياز، فالانصار الحقيقيون لعلي (يمانيون بغالبيتهم) بقوا الى جانبه.

٥٤ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

- أما بالنسبة لأنصار الامام الحسن^(١)، فيمكننا الحصول على الجدول التالي:

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|---------------------|-------|------|
| ١ | قيس بن سعد بن عباده | X | |
| ٢ | سعد بن مسعود | | X |
| ٣ | عمرو بن سلمة | X | |
| ٤ | محمد بن الأشعث | X | |
| ٥ | سليمان بن صرد | X | |
| | | ٤ | ١ |

أنصار الحسين:

مع مُسلم بن عقيل في الكوفة:

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|----------------|-------|------|
| ١ | سليمان بن صرد | X | |
| ٢ | المسيب بن نجبة | | X |
| ٣ | رفاعة بن شداد | X | |
| ٤ | هاني بن عروة | X | |
| | | ٣ | ١ |

في البصرة: وهذه لم تكن مدينة يمانية، ومع ذلك فقد تمكن الحسين من الحصول على أنصار منها. ولكن من بين القبائل القيسية ذات الميول الخوارجية: تلك حال مالك بن

(١) تاريخ يعقوبي: II / ٢١٤ - تاريخ الطبري: ٤ / ٢٠١، طه حسين: الفتنة: II / ١٨٢ - ١٨٨.

مسمع الشيباني البكري^(١).

إن تحديد الهوية القبلية للشيعة تصبح صعبة في هذه الفترة من التاريخ الاسلامي بسبب السياسة البهلوانية التي مارسها المعسكران المتصارعان بهدف الفوز بغالبية القبائل الى جانب قضيته. كان الشيعة الواثقون من اليمانيين يريدون ضمّ القيسيين الى قضيتهم ؛ والعكس صحيح بالنسبة للأُمويين. وسوف نوضح ذلك من خلال الجدولين التاليين^(٢):

| الرقم | توابون | يماني | قيسي |
|-------|------------------------|-------|------|
| ١ | سليمان بن صُرد | X | |
| ٢ | المسيّب بن نجبة | | X |
| ٣ | عبدالله بن وال | | X |
| ٤ | رفاعة بن شدّاد | X | |
| ٥ | عبدالله بن سعد بن نفيل | X | |
| | | ٣ | ٢ |

| الرقم | أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام | يماني | قيسي |
|-------|---------------------------------------|-------|------|
| ١ | سعيد بن المسيّب | | X |
| ٢ | جابر بن عبدالله الأنصاري | X | |
| ٣ | عامر بن وائلة (الكناني) | | X |
| ٤ | سعيد بن جبهان (الكناني) | | X |
| ٥ | محمد بن جبير بن مطعم | | X |

(١) معجم كحلّة: ١١ / ٢٢٦.

(٢) يمثل الجدولان الفريقين المتصارعين في اعقاب انتفاضة التوابين. مروج المسمودي: ١١١ /

| الرقم | أصحاب الإمام زين العابدين <small>عليه السلام</small> | يماني | قيسي |
|-------|--|-------|------|
| ٦ | القاسم بن عوف | | × |
| ٧ | حبيب بن أبي ثابت | | × |
| ٨ | سلمه بن دينار | | × |
| ٩ | أبان بن تغلب | | × |
| ١٠ | همام بن غالب | | × |
| ١١ | سعيد بن جبير | | × |
| ١٢ | عبدالله بن عطا | | × |
| | | ١ | ١١ |

| الرقم | في معسكر ابن زياد | يماني | قيسي |
|-------|---------------------|-------|------|
| ١ | الحصين بن نمير | × | |
| ٢ | شرحبيل بن ذي الكلاع | × | |
| ٣ | أدهم بن مخارز | | × |
| ٤ | ربيعه بن مخارق | | × |
| ٥ | جبله بن عبد الله | × | |
| | | ٣ | ٢ |

بالرغم من الصعوبات التي واجهناها في تحديد هوية كل الشخصيات المُستَمالة، تبقى النتيجة التي حصلنا عليها، وإن تَكنُ تقريبية، على أهمية كبيرة. ففترة الامام الرابع كانت تمتاز بغالبية قيسية كبيرة جداً في أصحابه، ويمكن ان نفسّر هذا الحدث من خلال الصراع القبلي في ذلك العصر، حيث كان الأمويّون السوريّون يستندون بشكل عام على اليمانيّين السوريّين لتقوية موقعهم.

أصحاب الإمام الخامس محمد الباقر:

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|------------------------|-------|------|
| ١ | محمد بن مسلم الثقفي | | X |
| ٢ | الكميت بن زيد الاسدي | | X |
| ٣ | سلمة بن كهيل | X | |
| ٤ | الحكم بن عتيبة | X | |
| ٥ | حمران بن اعين | X | |
| ٦ | جابر بن يرد الجوفي | X | |
| ٧ | حجر بن زائدة | X | |
| ٨ | عبدالله بن شريك | | X |
| ٩ | بريد بن معاوية العجلي | X | |
| ١٠ | زرارة بن اعين | X | |
| ١١ | ليث بن البختري المرادي | X | |
| ١٢ | السيد الحميري | X | |
| | | ٩ | ٣ |

أصحاب الإمام السادس جعفر الصادق^(١).

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|---------------------|-------|------|
| ١ | بريدة العجلي | X | |
| ٢ | زرارة بن اعين | X | |
| ٣ | محمد بن مسلم الثقفي | | X |
| ٤ | محمد بن علي الاحول | X | |
| ٥ | المفضل الجوفي | X | |
| ٦ | نصر بن قابوس | X | |
| ٧ | حمران بن اعين | X | |

(١) المجلسي: البحار - جزء ٤٧ ص ٣١٠ - ٣٥٠

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|-----------------------|-------|------|
| ٨ | سليمان بن خالد النخعي | X | |
| ٩ | ثابت بن دينار الأزدي | X | |
| ١٠ | ثعلبة بن ميمون | X | |
| ١١ | أبو بكر الحضرمي | X | |
| ١٢ | الأشجع السلمي | | X |
| ١٣ | السيد الحميري | X | |
| | | ١١ | ٢ |

أصحاب الإمام الكاظم^(١)

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|---------------------|-------|------|
| ١ | علي بن يقطين | | X |
| ٢ | محمد بن عمير الأزدي | X | |
| ٣ | محمد بن عيسى | X | |
| | | ٢ | ١ |

أصحاب الإمام علي الرضا^(٢)

| الرقم | الاسم | يماني | قيسي |
|-------|------------------------|-------|------|
| ١ | محمد بن الفضل | X | |
| ٢ | عبدالله بن جندب البجلي | X | |
| ٣ | إسماعيل بن سعد الأحوص | X | |
| ٤ | أحمد بن محمد الأشعري | X | |
| ٥ | علي بن الحكم الأنباري | | X |
| ٦ | حماد بن عثمان الناب | | X |
| ٧ | خلف البصري | X | |

(١) بحار المجلسي جزء ٤٨ - ص ١٧٨ - ١٨٨

(٢) نفسه جزء ٤٩ - ص ٢٦٢

| الرقم | الاسم | يمنى | قيسى |
|-------|--------------------------|------|------|
| ٨ | بكر بن محمد الازدي | × | |
| ٩ | ابراهيم بن محمد الهمداني | × | |
| ١٠ | صفوان بن يحيى | × | |
| | | ٨ | ٢ |

إنّ مهمّة تحديد هوية أنصار مذهب الأئمة الاثني عشرين بدأت مستحيلة. فالشخصيات المصنفة في كتاب بحار الأنوار^(١)، وكُتِب السّير المستعملة، لم تستطع الاجابة على السؤال. أما بالنسبة للأئمة الثلاثة (الجواد والهادي والعسكري) فقد أمكن تحديد هوية خمس شخصيات وكانت كلّها يمانيّة.

| الرقم | الاسم | يمنى | قيسى |
|-------|-------------------------|------|------|
| ١ | أيوب بن نوح بن درّاج | × | |
| ٢ | أبو القاسم إدريس القمّي | × | |
| ٣ | صالح بن محمد الهمداني | × | |
| ٤ | ناصر بن محمد الهمداني | × | |
| ٥ | عبدالله بن جعفر الحميري | × | |
| | | ٥ | |

(١) بحار المجلسي جزء ٥٠ - ص ١٠٦، ١٩٤، ٢١٦، ٢١٠

نستخلص من هذا كله أنه من بين أنصار الائمة المائة واثنى عشر شخصية، ثمانية وسبعون منهم كانوا يمانيين، وأربعة وثلاثون قيسيين، ما يعني لنا بالنتيجة أن سبعين بالمائة من المحيطين بالائمة كانوا يمانيين.

٢- السياسة القبليّة: لقد طُرحت المشكلة على مستوى الشخصيات ذوي النهايات المشكوك بها، لأن التزام الشخص مختلف عن التزام الجماعة. والشخصيات المحيطة بعلي ومعاوية قد أثّرت بكلّ الناس، فمن المعقول ان عدّة شخصيات قد اتخذت مواقف مختلفة عن مواقف قبائلها. سنحاول الآن ان نتفحص المسألة من زاوية مختلفة، مركّزين على تصرّف القبائل حيال القضية الشيعيّة.

من الصعب رسم خط بياني للقبائل في علاقتها بالتشيع، لأن مواقفها المتأثرة بعدّة دوافع كانت غير مستقرة. فالبحث سيكون محصوراً بفترة بداية التشيع: بداية الصراع بين علي ومعاوية. يمكن للرسم البياني ان يمتدّ إذا اخذنا هذا الاستنتاج كنقطة ارتكاز بنحو تراكمي في الأقسام الأخرى.

سيكون عملنا التالي تحليل الموقف القبلي تجاه التشيع، ومناقشة ذلك إذا لزم الأمر، ابتغاء الوصول الى بداية ما يمكن تسميته خطأً بيانياً للعلاقة القبليّة – الشيعيّة.

أ- حول اليمانيين المؤيدين لعلي:

لقد ركّز معظم المؤرخين الذين عالجوا هذه المسألة على الطابع اليماني للتشيع. كانت تلك حال حتّي وزيدان. وكان يبدو أنّ اليمانيين كانوا أكثر تهيئةً لتلقّي هذا التيار لسببين أساسيين فيما يبدو، هما:

– الأول: لقد كانوا قبل الاسلام من النصارى القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح، فجذبهم التشيع من حيث أن مفهوم الامام كان قريباً من مفهوم المسيح عند القائلين بطبيعته الواحدة.

– الثاني: أنهم أتوا من أماكن تعرّفت على الطابع السياسي والروحي للملكيّة. فمن هنا بدت لهم فكرة الإمامة مقبولة.

ويمكن للاقامة الشيعيّة في الكوفة ^(١) أن تساعدنا على هذا الصعيد. فالقبائل التي كانت تسكنها كانت يمانية في

(١) كان الكوفيون كثراً مع علي في صفين: مروج المسعودي (II) (A)، ص ٢٦٧.

غالبيتها^(١)؛ كما يمكن أن نصل إلى الاستنتاج نفسه في حمص، التي كان يسكنها اليمانيون، والتي كان سُكَّانها في صفوف علي في صفين. [كذا!، وهذا خطأ فادح جداً بالتأكيد. فلقد كانت حمير يمانية بالفعل، ولكنها كانت عماد عسكر معاوية، وليس علي، في صفين. وهذا ينفي الاستنتاج التالي (المهاجر)].

لقد كانت غالبية اليمانيين إلى جانب علي في صفين^(٢). وقد أعلن معاوية عن نيته الانتقام من أشرافهم أمام عدي بن حاتم^(٣).

لقد توصلنا بشكل عام إلى تحديد مواقف وتصرفات القبائل تجاه التشيع على النحو التالي:

أ- الأنصار: منذ بداية الصراع، أي يوم السقيفة، حاول عرب الجنوب اليمانيون (الانصار = الأوس والخزرج) الفوز بسلطة ما من خلال الترشح للخلافة. ولكن غياب علي لانشغاله بتجهيز النبي، وتضامن الشخصيات الشمالية (القيسية) الحاضرة، قادت أبو بكر إلى الخلافة.

(١) البلاذري: فتوح / ٢٧٦ (طبعة القاهرة ١٩٢٢)، Wellhausen: الشيعة / ١٦٠.

(٢) تاريخ يعقوبي: II / ١٨٩، زيدان: نمذ IV / ٦٦-٦٧.

(٣) مروج المسعودي III (A) / ١٢.

ويُحتمل أن يُفسّر تحالف عرب الجنوب مع علي علي أنه دعمٌ للشخص الأقرب للنبي، والذي يستطيع أن يُطالب بحقوقهم أمام المجموعة القرشية. كان الانصار من حزب علي جاهزين للقتال دعماً لقضيته. وكان يوجد اثنان من الانصار فقط في صفوف معاوية هما النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد. [ولكن هذه الإحصائية لا تعني أبداً أنهم كانوا «جاهزين للقتال» مع الإمام عليه السلام. بل إنما هم كانوا يُعبرون بموقفهم عن رفضهم لما يخصهم من نتيجة يوم السقيفة التي حرمتهم من أدنى حصة في السلطة (المهاجر)].

لقد فتك الانصار^(١) بالجيش السوري في صفين. ولقد قادت ضغينة الانصار المستمرة تجاه العائلة الحاكمة الأموية الشاعر التغلبي الاخطل الى هجائهم في قصائده. ب- الطائيون: كانت هذه القبيلة مع الامام، من خلال الموقف الذي اتخذته زعيمها عدي بن حاتم. وقد قاتلت بغالبيتها مع علي في معركة الجمل وصفين^(٢)؛ وسوف يفسّر تشيعها تحالفها فيما بعد مع الحمدانيين.

(١) Lammens : حكم معاوية / ٤٠٠ - ٤٠١

(٢) مروج المسعودي (II) (A / ٣٦٧، كعالة: معجم القبائل II / ٦٩١

ج- كندة: كانت كندة مع علي، وكان قائد لها الاشعث بن قيس. ولا يمكن الحكم على موقفهم بشكل مغاير بالرغم من علامات الاستفهام حول تصرفها حيال التحكيم^(١). وقد قاتلت كندة ضد عبيد الله بن زياد.

د- غسان: انتقلت الى صفوف انصار علي منذ الخلاف بين جبلة بن الايهم وعمر. ويدّعي طويل^(٢) أنّ الغساسنة هم أجداد العلويين.

هـ- بجيلة: كانت مع علي سنة ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م وقاتلت مع المختار سنة ٦٧ هـ/ ٦٥٧ م^(٣).

و- خزاعة: قاتلت مع علي سنة ٣٧ هـ^(٤).

ز- مذحج: كانت في صفين مع علي تحت قيادة الاشر^(٥). وناصرت مسلم بن عقيل في الكوفة^(٦)، وكذلك المختار.

ح- همدان: ناصر عليا في صفين^(٧)، وبحسب

(١) Willhausen : الشيعة... ٥ - ٧.

(٢) كحالة: القبائل I / ٦٥.

(٣) طويل: العلويون / ٥٣-٥٤ و٢٥٣.

(٤) كحالة: قبائل / ٣٢٩.

(٥) Willhausen : الشيعة... / ١٠٥: lammens: معاوية / ١١٨، كحالة: قبائل III / ١٠٦٢.

(٦) طه حسين: فتنة II / ٢٣٨.

(٧) Willhausen : الشيعة... / ١٠٥.

Massignon، فقد كانت هذه القبيلة المهمة شيعة بالكامل^(١). وقد جهد عليّ على ضمّها.

ط- تنوخ: بميولها الشيعة، بحسب طويل، فقد كانت شديدة التعصّب لعلي بحيث أصبحت فيما بعد علوية^(٢).

ي- نخع: كانت في صفين مع علي^(٣).

ك- همدان بن مالك: لقد كان كل هؤلاء التابعين تقريباً متحمسين لعلي وأولاده. وكان منهم في صفين اثنا عشر ألفاً في صفوفه^(٤). [كذا ! ولكن هؤلاء هم أنفسهم الهمدانيتون الذين سبق ذكرهم قبل قليل (المهاجر)].

٦ - القيسيون المؤيدون لمعاوية:

على العكس، فقد كان القيسيون في المعسكر الآخر. مع معاوية القائد القيسي القرشي بامتياز وممثل السلطة المكية. قریش: كانت بغالبيتها مع معاوية. وكانت مخزوم تحمل راية الجيش الشامي في صفين^(٥).

(١) Massignon: خملط / ١٦.

(٢) طويل: العلويون / ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٣) كحالة: القبائل III / ١١٧٦.

(٤) Hamdan E. I (٤) art Montgomery watt. J. Schleifer - W. M. III p. ١٢٥ - ١٢٦.

(٥) Lammens: معاوية / ٤-٥.

سكيم: تحالفت مع الامويين^(١).
 ثقيف: كانت مناصرة للامويين^(٢)، واعطت للخليفة
 السوري واحدا من رجالها الاكثر شهرة: الحجاج.
 طبة بن عود: متعصب ضد علي في يوم الجمل^(٣)
 كما يمكننا ان نذكر أسد بن خزيمه بين آخرين.
 لقد كانت المسألة موضوع نقاش حاد على صعيد
 القبائل. فمن جهة نجد قيسيين مع علي، ومن جهة اخرى
 نجد يمانيين مع معاوية. فكيف يمكن ان نفسر هذه
 المواقف المناقضة لما سبق وبرهناه؟
 ان التناقضات القبليّة، بالإضافة إلى الشخصيات التي كانت
 مع علي ومع معاوية، كذلك مواقع القبائل، قد لعبت دوراً كبيراً
 في تعقيد الصورة. فقيس عيلان كانوا مع علي، لا لشيء
 إلا لأن بني كلب كانوا مع معاوية^(٤)؛ أمّا تغلب (الجزيرة)
 وبكر (الجزيرة والعراق) فقد تبنتا موقفاً مؤيداً لعلي^(٥) أيضاً
 لا لشيء إلا لأنها كانت قريبة من مركزه في (الكوفة).

(١) Willhausen: الشيعة / ٧٥.

(٢) Lammens: معاوية / ٥٠، Brukelmann: Peoples، ١١٩..

(٣) مسعودي: مروج (II / A) ٣٧٥: الامين: فجر ص ٢٦٧: كحالة: القبائل III ص ٦٦٢.

(٤) A. Fischer art فيس عيلان طبعة II، ١ / ٦٩٢ - ٦٩٨.

(٥) Lammens: معاوية / ١١٨.

بالمقابل فان القيسيين المؤيدين لعلي، فقد حاولوا الانسحاب من صفوفه، فأخذوا موقفا قاسيا من قضية التحكيم، وبذلك عقدوا مهام الامام بتحويلهم إلى خوارج، وبترك مكانهم للغالبية اليمنية المُساندة للإمام علي. لقد كان ذلك نوعاً من التترك المنطقي من قبلهم لعلي. فأصبحوا ضدّ اليمانيين وضدّ الشيعة وضدّ الامويين في حالٍ معاً؛ تلك كانت حال تميم^(١) وشيبان وبكر بن وائل.

وكان التغليبون القيسيون النصاري مع الأمويين عندما كان هؤلاء يمارسون سياسة متسامحة مع النصاري، ثم صاروا ضد الامويين بعد إلغاء معاوية عهده في هذا المجال. إن الانجاز السياسي الكبير لمعاوية، على صعيد شبكة علاقاته السورّية، كان في سياسته العاملة على التحالف مع السوريين اليمانيين ذوي السلطة الكبيرة في القطاع الشرقي لسوريا. وقد توصل الى ذلك بزواجه من امرأة كلبية، وبالتزامه سياسة التسامح مع النصاري العرب وإدخالهم في شؤون وقنوات الدولة.

فقبائل كلب ولخم^(٢) قاتلت معه ضد علي والعراقيين.

(١) Willhausen : الشيعة... / ٧٥ / Brukelmann: Peoples : ١١٩.

(٢) كحالة: القبائل III ص ١٠١٢

مهما يكن، فمما قلناه نستطيع استخلاص أنَّ غالبية
اليمانيين كانوا مع علي، بينما غالبية القيسيين ساندوا معاوية.
أما التحفظات على هذا الاستنتاج فقد أتت مما أتيت
على ذكره من تعقيدات، ومن السياسة الذكية لمعاوية مع
اليمانيين، كذلك من مكانة علي بالنسبة للمؤمنين القيسيين.

الشعراء الشيعة ^(١) حتى القرن الثالث للهجرة:

| الرقم | الاسم | بمني | قيسي |
|-------|------------------------|------|------|
| ١ | أبو الاسود الدؤلي | | × |
| ٢ | ابن مفرغ الحميري | × | |
| ٣ | عامر بن وائلة | | × |
| ٤ | سديف بن ميمون | × | |
| ٥ | مالك الاشر النخعي | × | |
| ٦ | ابو الهيثم بن التيهان | × | |
| ٧ | عمر بن حارثة الانصاري | × | |
| ٨ | عبدالله بن ابي سفيان | | × |
| ٩ | سعد بن قيس الهمداني | × | |
| ١٠ | زياد بن لييد الانصاري | × | |
| ١١ | حجر بن عدي | × | |
| ١٢ | خزيمة بن ثابت الانصاري | × | |
| ١٣ | ابن بديل | × | |

(١) العرفان: الشعراء الشيعة ١٩٢٢ - مجلد ٧ - ص ٩١-٩٦ و ١٦٣ - ١٦٦

فمن بين اثنين وعشرين شاعرٍ شيعي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، سبعة عشر منهم كانوا يمانيين وخمسة فقط قيسيين.

نستخلصُ بعد هذا البحث المُختصر، على الشخصيات والقبائل والشعراء، أنَّ اليمانيين كانوا بالإجمال مُجذِبين نحو التيار الشيعي الذي كان قريباً حضارياً منهم.

الفصل الثاني

التشيّع في سوريا الرّاشدية وفي سوريا الأموية

من المستحيل البحث في تاريخ سوريا أو تاريخ التشيّع في سوريا في القرون الوسطى بدون دراسة موقع القبائل العربية في سوريا وعلاقاتها مع التشيّع. وذلك لاستخلاص شيء ما: لقد كانت سوريا في القرون الوسطى كياناً في طور التشكّل، فمن الضروري فهم تشكّلها للوصول إلى التحوّل الذي سيطر عليها فيما بعد.

لذلك ومن طبيعة علاقة التشيّع مع اليمانيين، سوف نحاول رسم صورة لسوريا العربية قبل وبعد الفتح الإسلامي.

١- سوريا العربية قبل الفتح:

لقد كانت الجزيرة العربية الخزّان البشري الذي يُغذّي على الدوام الهلال الخصيب. وكانت سوريا المنتجع الإجباري، كما حصل بعد انهيار سدّ مأرب، أو الطبيعي

الذي تُمليه حاجة البحث عن مراعي جديدة. وسوف يقود هذا وذاك إلى امتداد عِرْقِيّ نحو شمال الصحراء العربية منذ العصور القديمة.

لقد سُجِّلَ حضورٌ عربيّ بين فلسطين ومصر في العهد الأشوري (القرن الثالث عشر قبل الميلاد). كما أن العرب عاشوا في جبل عامل بين جويّا وتبنين^(١) في عصر الإسكندر الكبير. وكان قطاع غَزّة في فلسطين عربياً وكان العرب يحتلون لبنان^(٢). وفي أواخر عهد السيلوسيين كانت حمص ودمشق محكومتين من قبل أمراء عرب^(٣)... وفي العصر الروماني، نذكر دولة الأيطوريين التي احتلت في ذلك الوقت منطقة جنوب وشرق دمشق. وكانت حرمون منطقة مُهمّة من البقاع بما في ذلك بعلبك وعنجر.

مهما يكن من أمر، فإن وجود العرب في سوريا قبل الفتح، هو حقيقة دامغة ومقبولة من قبل كل المؤرخين. وسوف يتجذّر وجودهم في تاريخ هذه المنطقة لدرجة صارت فيها التفرقة راسخة بين المجموعتين العربيتين:

(١) بحسب المؤرّخ اليوناني أريانوس: ح. الأمين، جبل عامل حتى الإحتلال الصليبي، العرفان، ١٩٦٨، ص ٣٤٨

(٢) كرد علي: خطأ، ١ ص ٦٣

(٣) أ. إسماعيل: لبنان ص ٤٣

مجموعة شبه الجزيرة ومجموعة سوريا. وكان عرب سوريا مُتعالين، ويعاملون عرب الجزيرة على أنهم بدو رحّل تفوح منهم رائحة تذكر برائحة التيوس، وتعزل العطر المتأّتي من المسك وسائر العطور الأخرى المركزة والزّكية.^(١)

يدّعي المؤرخون أن العرب السوريين كانوا يمانيين بغالبيتهم^(٢)، هذا رأي Demombynes وأسود وحّتي وآخرين. وسوف يُعتمد هذا الرأي في هذه الأطروحة قبل وبعد الفتح.

ولقد كرّس محمد كُرد علي في كتابه «خطط الشام» بحثاً خاصاً بسكان الشام، حيث تحدّث عن قبائل عربية وموقعها في هذا البلد^(٣). ومن بين ٢٣ قبيلة مذكورة، كانت ٧ فقط قيسية و١٦ يمانية:

(١) الأصفهاني: الأغاني VIII ص ١٢٨

(٢) Demombynes : سوريا ص ١٤ / أسود: ذخائر ص ١٢٦ / حّتي: سوريا II ص ١٥٠

(٣) كرد علي: خطط I ص ٦١ - ٦٧

٧٤ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

| الرقم | القبيلة | يمانية | قيسية |
|-------|---------|--------|-------|
| ١ | غسان | × | |
| ٢ | تنوخ | × | |
| ٣ | لخم | × | |
| ٤ | جهينة | × | |
| ٥ | ذبيان | | × |
| ٦ | جذام | × | |
| ٧ | عاملة | × | |
| ٨ | كلب | × | |
| ٩ | كنانة | | × |
| ١٠ | بهر | × | |
| ١١ | طيء | × | |
| ١٢ | كندة | × | |
| ١٣ | حمير | × | |
| ١٤ | همدان | × | |
| ١٥ | إياد | | × |
| ١٦ | عذري | × | |
| ١٧ | زُيد | × | |
| ١٨ | صُليح | × | |
| ١٩ | يعسوب | × | |
| ٢٠ | قيس | | × |
| ٢١ | مرّة | | × |
| ٢٢ | ظُبه | | × |
| ٢٣ | ربيعة | | × |
| ٧ | ١٦ | | |

لقد كان التسرّب القيسي إلى سوريا ضعيفاً، بالقياس إلى الواقع اليمني القوي، الذي كان راسخاً قبل الفتح. وقد استقرّ القيسيون في مناطق سورية قريبة من الجزيرة العربية، من مثل فلسطين: (قيس وكنانة)، والجولان: (مُرّة)، بين تيماء وحوران: (ذبيان). وحتى في هذه المناطق نلاحظ أن القيسيين كانوا مبثوثين بين اليمانيين، ولم يُشكّلوا قطاعاً قيسياً خالصاً خاصاً بهم. بل على العكس، كانوا أقليات في عالم يمانيّ كبير. ففي دمشق وغطتها كان اليمانيون حاضرين على مقربة من القيسيين. ويمكن أن نلاحظ الشيء نفسه في المنطقة الممتدة من الرملة إلى نابلس، حيث كانت قبيلة لخم مع قبيلة كنعان. وبين تيماء وحوران كانت قبيلة ذبيان القيسية مُتساكنة مع قبيلة طيء اليمانية. نستنتج من ذلك أن سوريا ما قبل الفتح كانت يمانية بمجملها.

ولكن يجب أن نذكر هجرة قيسية مهمة استقرت في منطقة الجزيرة، وأعطت أسماء القبائل المكوّنة لهذه الجماعات للمنطقة التي قسّمت إلى ثلاثة ديار: ديار بكر،

ديار ربيعة، ديار مُضَر. وقد أفلتَ عربُ الجزيرة من أي تصنيف دين - سياسي ^(١) لأنَّ أراضيهم قد اجتاحت من قبل مختلف التيارات الإسلامية بمظاهرها السياسية الأكثر نشاطاً منذ العصر الأموي.

٢- الطابع القبلي لسوريا أثناء وبعد الفتح:

فتح سوريا: لقد شجّع الإسلامُ الهجرةَ إلى سوريا. ولكي يكون هذا التشجيع قيماً فقد أوصى به الرسول ^(٢)، الذي قيلَ أنه عدّد أربعة جبال في الجنة اثنان منها سوريان: لبنان وقاسيون. [كل ذلك وغيره وردّ بالفعل في نصوصٍ مُحرّرة معروفة. ولكن هذه الرواية وأمثالها هي من باب أحاديث فضائل البلدان، التي لا ترقى من حيث الوثاقة إلى الدرجة التي يُبنى عليها نتيجة كبيرة، من الحجم الذي وصل إليه د. حماده هنا (المهاجر)].

ويبدو أن الحكومة المركزية في المدينة قد أرسلت جيوشاً وامتدادات يمانية لغزو سوريا. والظاهر أنَّ السبب في هذه السياسة راجعٌ إلى غالبية العرب في سوريا كانت

(١) سيّبت هذا الاستنتاج منذ العصر الحمداني.

(٢) ابن عساکر، تاريخ دمشق ١ ص ٤٧ - ٨٩ - ١٢٠ - ١٢٢.

يمانية، ولمنع أي صراع بين القيسيين واليمنيين من جهة، ولإلحاق اليمانيين السوريين بإخوتهم اليمانيين. ويمكن ملاحظة هذا السلوك نفسه عند خالد بن الوليد مع زعيم غسان جبلة ابن الأيهم ورجاله الستين ألفاً، عندما أرسل له خالد مجموعة من اليمانيين المسلمين: قيس بن سعد، عبادة بن الصامت، جابر بن عبد الله الأنصاري، وخالد بن يزيد، ابتغاء التأثير على اليمانيين النصاري وإحقاقهم بإخوانهم المسلمين^(١). كذلك كان حال جواسيس الجيش العربي - البيزنطي، فقد كانوا جميعاً يمانيين، وحاولوا استخراج معلومات من إخوانهم اليمانيين الذين كانوا في المحور المُقابل^(٢).

(١) الواقدي: فتوح ١ ص ١٥٤.

(٢) الواقدي: الفتوح ١١ ص ١٧.

جداول الشخصيات الذين كانت ذات أهمية في الفتح :

اليمنيون:

- سالم بن ذؤيب الأسلمي
- ورقة بن مهلهل التنوخي
- جابر بن عبد الله
- كنانة بن مبارك
- قيس بن حُبيرة المرادي
- قيس بن سعد
- هلال بن بدر الطائي
- عدي بن حاتم الطائي
- مالك الأشتر
- معاذ بن جبل
- السَّمط بن الأسود الكندي
- شرحبيل الكندي
- رافع بن عميرة الطائي
- عبادة بن الصامت
- مصعب بن محارب اليشكري
- هلال بن مرة اليشكري

- عمرو بن معد يكرب الزبيدي
- ذو الكلاع الحميري
- أوس بن عامر الحازمي
- أبو حامد بن سراقه الحميري
- رفاعة بن زهير
- عمار بن ياسر
- المقداد بن الأسود
- جابر بن حول الربيعي
- عامر بن وهب الشكري^(١)
- القيسيون:
- إياد بن غنم
- عبد الله بن حذافة الشامي
- عامر بن الطفيل
- حبيرة بن مسروق العبسي
- ميسرة بن مسروق العبسي
- مسلمة بن سيف اليربوعي
- المسيب بن نجبه الفزاري

(١) أخذت هذه الشخصيات من فتوح الواقدي.

- سهل بن عساف
- سعيد بن عامر الجمحي
- سهيل بن صباح العبسي
- الوليد بن عقبة
- الفارغ بن المسيب التميمي
- فزارة بن مراد العوفي
- الققعاق بن عمرو التميمي
- صفوان بن المعطل السلامي
- ضرار بن الأزور
- حبيب بن مسلمة

نستنتج من ذلك أنه كان هناك نوع من التوازن المقصود في اختيار تلك الشخصيات، بحيث لا تتم خسارة لاهذه ولا تلك من المجموعة العربية.

ففي قرية اعزاز مثلاً، وهي في شمال سوريا، تم اختيار مائة فارس من القبائل (عشرة فرسان من كل قبيلة). واللافت للمُدقق هو التوازن القائم في العهود وفي اختيار أبناء القبائل^(١). فنذكر خمس قبائل يمانية: (طيء، خزاعة،

(١) الواقدي: فتوح ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

الحضارمة، حمير، مُراد) وأربع قيسيّة: (فهر، نمير، بهلة، تميم).

إنّ هذا الاختيار يُفسّر سياسة الفتح، بأنّ عرب الشمال كانوا على رأس الحكومة المركزيّة. ولكن إذا نحن قرأنا الواقدي بطريقة أخرى مُختلفة، وإذا تابعنا عنده جيش الفتح وتركيبته القبليّة، سوف نصل إلى إيجاد واكتشاف آثار السياسة المركزيّة بنحو أفضل. إن مساهمة عرب الجنوب بالفتح كانت حماسيّة. فمنذ عهد أبي بكر، أظهرت القبائل اليمانية اهتماماً بأن تكون في خدمة الإسلام وفي الجهاد. تلك كانت حال حمير ومذحج وطيء وأزد وعبس^(١)، بينما كانت القيادة قيسية. مثال آخر: جيش خالد الذي توجّه نحو العراق ثم انعطف إلى سوريا، فقد كان مؤلفاً من قبيلتي لخم وجذام^(٢). وكان الجيش الذي أرسله خالد إلى ما بعد حمص مؤلفاً من قبائل لخم وجذام وطيء وكهلان^(٣). أمّا جيش أبو عبيدة فقد كان يمانياً بغالبيته^(٤). حتى تعزيزات هذا الجيش كانت

(١) الواقدي: الفتوح ١ ص ٨

(٢) المصدر نفسه ١ ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٨.

يمانية (أنصار)^(١). وجيش فلسطين كان أيضاً يمانياً^(٢).
 لقد ساهم اليمانيون برّفد الجيش المسلم في كل مرة
 وجدّ المسلمون أنفسهم بخطر وشيك. تلك كانت حال
 الطائيين الذين توجّهوا إلى الشام وعلى رأسهم هلال بن بدر
 الطائي، وذلك في أعقاب الأحداث بين طائيتي منطقة حلب
 والبيزنطيين^(٣). فعند وصول كتاب أبي عبيدة إلى عمر طالبا
 الدّعم، توجه ستة آلاف يمانى إلى الشام مع جواب الخليفة،
 وكانوا من حضرموت وهمدان وسبأ ومأرب^(٤).
 لقد كانت المساهمة كثيفة وفعّالة في معركة اليرموك على
 عدة صُعد: تركيبة الجيش، دور النّبالة، مراقبة الخطوط
 الخلفية وبدء الحرب. ولعبت هذه العوامل دوراً مهماً في
 السيطرة على دمشق^(٥) كذلك على الجزيرة وحمص.
 لقد قدّم اليمانيون الكثير من التضحيات لمجد الإسلام.
 فالبعض منهم، متحمّسين ومتعصّبين، دفعوا حياتهم في
 عدة مواقف، في اليرموك كان الضحايا العشر الأوائل من

(١) طويل علويون ص ٩٧.

(٢) الواقدي: الفتوح ص ٢١٣ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ١٦٤ - ٢٤٥.

(٣) الواقدي: الفتوح ص ٢١٣ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ١٦٤ - ٢٤٥.

(٤) الواقدي: الفتوح ص ٢١٣ - ٢٤١ - ٢٤٤ - ١٦٤ - ٢٤٥.

(٥) الواقدي: الفتوح ص ٩٧.

اليمنيين: اثنان من حضرموت، واحد من الأنصار، ثلاثة من بجيلة، واحد من مراد، وثلاثة من عسفان. كذلك في موضوع حمص، فقد قَدّموا مائتين وخمسة شهداء من حمير وهمدان، بينما لا نحصى سوى ثلاثين شهيدا مكيّا^(١). كما أُسر عدة يمنيّين؛ ولا ننسى دور المرأة اليمنية التي حاولت أن تكون إلى جانب زوجها في واجبه: ففي معركة دمشق، قتلت النساء اليمنيات ما يقارب ثلاثين فارساً بيزنطياً^(٢). وكثيرات منهن وقعن أسيرات لدى البيزنطيين. نذكر عدّة أسيرات قرب دمشق، وكانت الغالبية من حمير ومن تُبّع، منهنّ عفراء بنت غفار^(٣). لقد أفتتح فتح دمشق عهداً من الهجرة جاءت أثناءه قبائل عربية بأعداد متنامية للاستقرار على الساحل السوري - اللبناني وفي الداخل ممتزجة بالسكان الأصليين. فاليمانيون الذين خرجوا من شبه الجزيرة ابتغاء الغزو، قد انضموا إلى أخوانهم السوريين بُغية تشكيل مجتمع كبير في سوريا ذي غالبية يمانية.

(١) نفس المصدر ص ١٤٤.

(٢) نفس المصدر ص ٤٨.

(٣) الواقدي: فتوح ١ ص ٤٧.

لكن هذا المجتمع الجديد ظلّ مُشاكساً بعض الشيء، ذلك لوجود بعض الحواجز بين الأخوة، فالبعض منهم كانوا نصارى، في حين كان البعض الآخر منهم مسلمين. هذا الواقع أنشأ ضرورةً أسلمة الأخوة الضائعين، لصهرهم فيما بعد في بوتقة جامعة ضمن الهدف المشترك. بالقياس على السوريين النصاري، فقد ظلّ اليمانيون الجُدد أقليةً أثناء العصرين الراشدي و الأموي. أمّا في نهاية العصر الأموي وأثناء العصر العباسي، فقد أدّى اتحاد اليمانيين على الصعيد الديني تحت راية الإسلام، إلى اتحاد اتخذ توجّهاً سياسياً دينياً. هل يمكننا أن نجد شيعة في هذه الأرض المناسبة للتجذّر من الناحية القبليّة؟

٣- الشيعة في سوريا في العصر الراشدي.

أ- المدينة الآمنة / الهادئة: بعد وفاة النبي، كانت في المدينة مجموعة من الصحابة، على رأسهم العباس، والهاشميون عناصرها الأساسيون^(١). كانوا جميعاً

(١) م. الأمين: خملط: ص ٦٦، ظل الحجاز المكان المفضّل للملوك. كما هي: وجهات نظر حول الثورة العباسية: المجلة التاريخية ١٩٦٣ ص ٣٠٢.

موالين لعلي، كذلك الزبير. وإن تكن هذه المجموعة قد ضمت أيضاً حوالي [كذا ! ولم نفهم معنى لهذا التشكيك. فقد كانوا أربعة دون أدنى ريب (المهاجر)] أربعة من أنصار علي: سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، المقداد بن الأسود الكندي وعمر بن ياسر. وقد نمت هذه المجموعة خلال عهدي الخلفيتين أبي بكر وعمر. وناهز عدد أفرادها الألف شيعي مع بداية عهد عثمان^(١).

هذا التعلق بشخص علي^(٢) كان مركزاً على الأحاديث النبوية، التي كان منها في المقام الأول حديث بيعة «غدير خم» وحديث «أنامدنة العلم»، وعلى فضائل الإمام علي الكثيرة وتضحياته الجمّة في سبيل الإسلام.

وبالرغم من حصول التشيع على منطقة نفوذ في المدينة، إلا أن أنصار علي ظلوا هادئين، بالرغم من رفض علي لبيعة أبي بكر لسنة كاملة. ويفسر هذا الموقف بنقطتين: الأولى - لم يكن حكم الخلفيتين أبي بكر وعمر إلا استمراراً

(١) نذكر من شيعة تلك الحقبة: حجر بن عدي، ميثم التمار، كميل بن زياد، عمرو بن الحمق، رشيد الهجري، سليمان بن صرد الخزاعي.

(٢) محمد جواد مغنّية: الشيعة والتشيع ص ١٠٤.

لخط النبي^(١). فقد سارا على خطاه علي درب الإسلام نظرياً وعملياً، مما قطع الطريق أمام أي تدمر، على الأقل ظاهرياً، في صفوف أنصار علي. أضف إلى ذلك أن مشورة علي للخليفين عند الضرورة كانت محترمة. الثانية- ارتكزت حكومة أبي بكر^(٢) وعمر^(٣) على إرسال بني عبد مناف الأكثر حراكاً إلى سوريا (معاوية ويزيد ابني أبي سفيان) لتلافي أي تحالف بين أبناء عبد مناف، وعلى مراقبة الهاشميين في المدينة مع اقصائهم عن السلطة.

ولكن مع مجيء عثمان، اتخذ أنصار علي موقفاً آخر بررته الاتهامات بشأن سياسة عثمان، وبالأخص محاباته للأقارب وإدارة الشؤون المالية، كذلك موقفه من الإمام علي.

وهكذا فإن سياسة عثمان^(٤) قد شجعت إعلان الآراء للاعتراف بإمامة علي. تلك كانت حال الحجاز. بينما كانت سوريا اليمانية بين يدي معاوية المخلص لحاكمه.

(١) م. كاشف الغطاء: أصل الشيعة ص ٩١: كاهن R.H ص ٢٩٩.

(٢) H. Iamens: دراسات حول حكم معاوية ص ١٥٨-١٦٠.

(٣) تخالف أسرتي نيم وعدي.

(٤) محمد جواد مغنية: الشيعة والنشيع ص ١٠٨.

لكن ذلك لا ينفي وجود التشيع السوري^(١) في عهد عثمان وعلي بشكل غير مؤكد وغير مُحَدَّد.

لقد كان حكم علي العصر الذهبي للشيعة^(٢)، وبالأخص بعد انتصاري الجمل وصفين [كذا! وغريب حقاً أن يرى مؤرّخ في نتيجة صفين انتصاراً للإمام (المهاجر)]. وإن كانت الثانية قد انتهت إلى تصدّعات خطيرة في الإسلام بشكل عام وبين الشيعة بشكل خاص وبدا العراق مركزاً شيعياً بامتياز.

ب - أسباب غياب الشيعة (أنصار علي) عن سوريا في عهدي أبي بكر وعمر: إن المعطيات التي حالت دون إعلان الإمام التشيع في الحجاز في ذلك الأوان، ظلّت عائقاً أمام التشيع في سوريا. يُضاف إلى ذلك الوجود الأموي في هذا البلد. وكانت المنافسة بين الأمويين والهاشميين تعود إلى الحقبة الجاهلية. إنّه الصراع التقليدي بين آل عبد شمس والهاشميين، عند شعب لم يستطيع أن يُفرّق بنحو موضوعي بين المسألة القبليّة والمسألة الدينية.

(١) كانت كلمة شيعي في الازمنة الأولى تعني فقط مؤيد علي.

(٢) محمد جواد مغنّية: الشيعة والتشيع ص ١٠٨.

كما يجب أن نُشير إلى غياب أي تواصل بين شيعة ذلك العصر وبين اليمانيين السوريين، الذين كانوا ما يزالون نصارى حين ذاك. لذلك يجب أن ننتظر حتى تتمّ أسلمة سوريا.

ومن بين الأسباب الأخرى لغياب هذا التواصل، يمكن أن نذكر سياسة الحُكام الأمويين تجاه القبائل العربية السورية. فقد فهموا ضرورة الاستناد على القبائل السورية، التي كانت الأكثر تقدماً على الصعيد السياسي، بالقياس إلى بدو شبه الجزيرة. وبالمقابل فإنّ القبائل السورية تبوّأوا سياسة حُكامهم، وذلك حفاظاً على مصالحهم. وبذلك نشأ وضع مُتماسك غير قابل للاختراق.

ج- الشيعة على عهد عثمان: أولُ اتصالٍ مؤيّدٍ لعلي مع السوريين.

بقدر ما كان ظلمُ الحُكام واحداً من أسباب رجحان كفة التشيع^(١)، وكان تصرّف الخليفة عثمان مع أبي ذر الغفاري^(٢)، الرجل المستقيم والصادق، قد أفقده دعمَ جزءٍ من

(١) محمد جواد مغنية: حاكمون ص ٢٢.

(٢) الطبري: تاريخ III ص ٥٦٧ P 118 A et B. Robson, E.I, I, P 85 A et B. Houstma, E.I, I, ..

السوريين. فأبو ذر المنفي في بلاد الشام^(١)، حثّ الأغنياء على مساعدة الفقراء، وبفضل سُمعته في نشر الأفكار الشيعة والاجتماعية لدعم الإمام علي وأهل البيت. تلك كانت حال شخصيات أخرى^(٢) نفاها عثمان إلى بلاد الشام.

وما أن وصل أبو ذر إلى دمشق، حتى انفجر صراع بينه وبين معاوية. فأرسله هذا الأخير بعيداً عن عاصمته حيث استمر بالدعوة للشيعة، ووصل إلى منطقة جبل عامل المسكونة بقبائل عربية يمانية: لحم، جذام، السكاسك.... توجد هذه المنطقة (جبل عامل) بجنوب لبنان السياسي حالياً. وقد وصفها عدّة كُتّاب^(٣). التعريف الأحدث والمكتمل هو تعريف حسن الأمين^(٤).

بإمكاننا حصر جبل عامل بخطّ يبدأ من الشمال عند مصب نهر الأولي قرب مدينة صيدا، حيث يُشكّل الحدّ الفاصل بين الجبل، أي جبل عامل، وبين منطقة الشّوف. ثم يمتدّ حتى تومات نبحا ليمرّ بقرية روم ثم

(١) اختار أبو ذر الشام منذ عهد عمر: تاريخ الطبري III ص ٥٦٧.

(٢) أتى سلمان الفارسي في زيارة إلى دمشق ثم مرّ ببيروت بحثاً عن صديقه أبو الدرداء.

(٣) نجد عدة تعريفات: محمد كاظم مكي: ص ١٠-١٢، زين: تاريخ عامل ص ٣٦، الأمين خطاط: ص ٤٧.

(٤) ح. الأمين: مادة «جبل عامل». دائرة المعارف الإسلامية الشيعية.

٩٠ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

جزين. وينحدر نحو مشغره ليعود ويلاقي الليطاني شمال قرية سُحْمُر. ويستمر حتى نبع الحاصباني ويسير مع مجرى النهر حتى حوض حولاً ويعود للمجرى الغربي للحاصباني. يتجه نحو الغرب إلى مقام النبي يوشع (مقام أثري وديني). وينتهي عند مصب نهر القرن الشمال قرية طرشيجا (فلسطين).

تبدو هذه الحدود واضحة وظاهرة في الشمال والغرب، ومُعَقَّدة في الجنوب والشرق، حيث يُفَضَّل البعض حذف المنطقة المظللة على الخريطة عن منطقة جبل عامل.

أن الحدث التاريخي المتمثل بقدم أبي ذر إلى جبل عامل لم يذكره مؤرخو القرون الوسطى، فلم يُذكر وجود الشيعة في جبل عامل قبل رحلة ناصر خسرو إلى سوريا. [كذا! ولكن ناصر خسرو لم يذكر إطلاقاً جبل عامل. نعم ذكر مدينة صور وقال أن أهلها كانوا شيعة. ولبنان سنة ٤٣٧هـ في العهد الفاطمي. مما يضع عدة علامات استفهام حول مسألة أبي ذر، ويدفعنا إلى الدخول بنقاش صغير.

إن الفرضيات التي تدعم وصوله إلى الجبل هي التالية:
- وجود مسجدين يحملان اسمه في منطقتين من جبل

- عامل^(١): ميس الجبل والصرfund. إن موقعي هذين
المسجدين كانا في الأصل مكاني اجتماع هذا الصحابي
مع سكان هاتين القريتين.
- لقد أغفل المؤرخون المسلمون في القرون الوسطى ذكر
انتشار التشيع في جبل عامل بواسطة أبي ذر لسببين^(٢)،
هما:
- الأول: أنهم جهلوا هذا الحدث التاريخي إمّا لنقص في
الوثائق، وإما لعدم كفاية الأبحاث التاريخية.
- الثاني: أنهم خافوا من الاضطهاد المتلاحق عند ذكر
التشيع في عصر كان فيه عدوّه هو المسيطر.
- كان أبو ذر منفيًا في بلاد الشام^(٣). ولم يذكر أي مؤرخ
اسم دمشق تحديدًا^(٤).
- كانت الشام تضم منطقة كبيرة بينها جبل عامل. وقد يبدو
أن أبا ذر اضطرّ لترك مدينة دمشق، أو أنه استفاد من وجوده
في المنطقة لزيارة أضرحة بعض الانبياء مثل يوشع وشمعون،

(١) زين: تاريخ جبل عامل ص ٥٦، محمد جواد مغنية: العرفان ١٩٣٨ ٢٨٧ ص ١٤٤ م كردعلي:
خطلط VI / ٢٥٢: Iortet، مشاهدات ص ١٥٣.

(٢) م. الأمين: خطلط ص ٦٦.

(٣) محمد جواد مغنية: أبو ذر والأشتركية: العرفان ١٩٣٨ ٢٨٧ ص ١٤٤.

(٤) تاريخ الطبري IV ص ٢٣٨، اثير: الكامل III (A) ص ٥٧: الاثنان حدّدا الشام.

وليحتك مع العاملين. الأمر الذي دفع حبيب بن مسلمة الفهري ليقول لمعاوية: «لقد أفسد لك أبو ذر بلاد الشام».

- كان التشيع السري^(١) موجوداً في الشام منذ بداية الفتح الإسلامي. وهذا ما يُفسّر وجود مذاهب شيعية في المنطقة كالنصيرية والإسماعيلية والدروز. وكان الشيعة سابقين لهذه المذاهب التي وُلدت من المذهب الأم.

- إن طلب معاوية من عثمان أن يُعيد أبا ذر إلى الحجاز حيث وُضع تحت المراقبة في الربذة، يُظهر أن أبا ذر قد أثار استياء معاوية، وأن أفكاره قد أثرت على الأقل في مجموعة من السوريين. وهذا ما يبدو واضحاً من خلال بعض المصادر^(٢).

لا تبدو أي من هذه الفرضيات جازمة. مما يترك الباب مفتوحاً للشك والتساؤل. فلا وجود للمسجدين في منطقتين من الجبل، ولا لأعذار المُقدّمة لمؤرخي القرون الوسطى لعدم ذكر الحدث، ولا التفسير الذي جعل من بلاد الشام منفى أبي ذر، ولا ظهور الاسماعيليين والدروز في المنطقة،

(١) زين: تاريخ جبل عامل ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) يشير تاريخ الطبري VI ص ٢٨٢ إلى عدة أمور أجبرت معاوية على الطلب من عثمان بأرجاع أبي ذر إلى المدينة. ويؤكد الطبري بأنه لا يجب ذكر غالبية الأسباب.

يعطي إجابة مباشرة لزيارة أبي ذر ولبداية انتشار التشيع في جبل عامل على يده. لكن الفرضية الخامسة تُظهر نوعاً من الاستياء الذي ولّده أبو ذر ضد معاوية وعثمان في بلاد الشام حيث أُتيح له المرور والاحتكاك مع الناس. [ولكن هذا «الاستياء» كان على أمورٍ أخرى لا علاقة لها بنشر التشيع (المهاجر)].

إذا اعتمدنا نظرية المؤرخين الشيعة، فإن الجبل هو المركز الشيعي الثاني بعد المدينة المنورة في منتصف القرن الهجري الأول (اثنا عشرة سنة بعد وفاة النبي). والعاملون هم من أقدم الشيعة بعد بعض المدنيين (سكان المدينة المنورة) وهم الأكثر عدداً بلا منازع.

مهما يكن من أمر، فإن أبا ذر قد بذر نوعاً من الاستياء ضد حكم عثمان وحكومة معاوية. أما عدم وجود سورين بين الثوار ضد عثمان، فإنه لا يعني أن كل السوريين كانوا مع الخليفة. لقد كانت الغالبية مع الشرعية الحاكمة، وكانت متأثرة بحاكم سياسي وديبلوماسي موهوب، يمتلك فن كسب ود الناس. لقد كانت هذه الغالبية نشطة، بينما كانت الأقلية خامدة غير راضية ومسيطر عليها من الحاكم

نفسه. هذا التحليل سوف يأخذ فيما بعد شكل التشيع.
د- الشيعة في سوريا على عهد علي: إن وصول علي إلى
سُدّة الخلافة كان لصالح أنصاره. فقد تجسّد
مركزهم في العراق (الكوفة)، حيث كان الإمام ينوي
تسيير شؤون الدولة بعد طرد معاوية من الشام.
لقد كان هذا الصراع عراقياً سورياً بمعنى من المعاني.
و المتحلّقين حول الإمام منذ عثمان ظلوا غير معيّنين.
فيما كان اغتيال عثمان يشكل عند السوريين وحاكمهم
حافزاً مُتطرفاً لقتال الخليفة الجديد تحت شعار أنّه
أحد قاتلي عثمان.

لقد أدعت سلسلة من المبلّغين^(١)، شكّل عمار بن ياسر
وزيد بن أرقم^(٢) حلقاتها الأولى، بأنه كانت توجد في زمن
الخليفة علي، منطقة شيعية في الشام قرب جبل
حرمون، وكانت تسمّى أسعار^(٣). فمن المحتمل أن
تكون المناطق التي اجتازها جيش الإمام علي قبل معركة

(١) محمد كرد علي: خطب VI ص ٢٥٢.

(٢) توفي سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م. صحابي خزرجي، حفظ ٧٠ حديثاً، كان مع النبي في ١٧ معركة، كما
قاتل مع علي في صفين.

(٣) لم يبق منها اليوم إلا بعض الآثار بين بلدتي مجدل شمس وجبانا الزيت حيث يوجد نهر أسمه
أسعار.

صفيين قد حملت عوناً لهذا الجيش. فقد تلقى علي في الجزيرة مدداً من تغلب ومن نمر بن قاسط^(١). أما الموقف السلبي الوحيد في شمال سوريا، فقد كان في الرقة، على خلفية بناء جسر على نهر الفرات^(٢).

٤ - الشيعة في سوريا في العصر الأموي.

لقد ولد التشيع المتنامي خطراً كبيراً للحكومة الأموية. فبالرغم من الانتصارات التي حصلها معاوية على علي والعراقيين اليمنيين بشكل عام، فقد بدا له من الضروري للمحافظة على سوريا أن يقود سياسة قبلية مزدوجة واحدة سورية وأخرى خارج سوريا.

أ- السفينية:

١- السفينية السورية: الاعتماد، ضمن هذا السياق، على صهر اليمانيين المسلمين والنصارى في اتجاه سياسي واحد، وذلك بجمعهم لأجل صالح سوريا ومن أجل قضية وطنية^(٣) بعيدة عن الصراعات القبلية. لقد أراد

(١) اليعقوبي: تاريخ II ص ١٨٧.

(٢) الطبري: تاريخ IV ص ٥٦٥.

(٣) يترجم هذا الشعور الوطني السوري برغبة العرب السوريين بإبقاء مركز الامبراطورية الإسلامية في بلادهم.

معاوية إنشاء مؤسسة جديدة برجال الدولة العظام، مؤسسة مكونة بهدف حكم سورية بشكل أفضل. وهو يشرح في وصيته لابنه يزيد بطريقة أو بأخرى كيفية الحفاظ على سورية «راع السورين، فليشكّلوا حاشيتك، وليكونوا موضع أسرارك. تجاه تهديدات أعدائك، يمكنك الاعتماد على إخلاصهم. ولكن بعد النصر، أعدهم إلى منازلهم. خارج بيوتهم، قد تعرّضهم لفقد ميزاتهم»^(١). لقد أراد معاوية الاحتفاظ بملك سوريا بأي ثمن. يسكنه هاجس أساسي يدور على فشل مشروعه بتوحيد المسيحيين والمسلمين اليمانيين السوريين. ولذلك فقد جُهد للتخلّص من لعبة إضافية من خلال القيام بدور في تحديد هوية قبيلة خزاعة. لقد دفع وابنه يزيد، قادة هذه القبيلة لتنسيبهم في قبيلة مُعاذ^(٢). واستطاع بذلك الاستفادة من سلطتهم في حال قيام سياسة يمانية مُعادية للحكومة الأموية. لقد ظهرت هذه السياسة السفينانية من خلال خطوات و نتائج عِدّة طبعت نجاحها.

(١) H. Iammens : سورية I ص ٧١.

(٢) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام IV ص ٤١٩.

- معركة صفين وضعت الجيش العراقي بمواجهة الجيش السوري.
- كانت الفرق العسكرية الرئيسية المعسكرة في دمشق^(١) مؤلفة من سوريين، كذلك الأسطول العربي يوم استُحدث.
- زواج معاوية من كلبية (ميسون)، كذلك العطاءات المُقدّمة لهذه القبيلة، تؤكد هذه السياسة^(٢). وكان معاوية يعتمد على رعاياه السوريين في الأمور الشخصية والإدارية. فابن أثال صار طبيبه ثم عامله على حمص، والأخطل، الشاعر التغلبي، صار شاعر البلاط.
- إن نجاح السفينانية يمكن أن يُلخص بالمواقف التي اتخذها السوريون أثناء اجتياح المردة، الذين، وإن كانوا نصارى، فإنهم لم يستطيعوا أن يضموا النصارى السوريين إلى قضيتهم.
- ٢- السفينانية خارج سورية: كان اليمانيون خارج سوريا ضد الأمويين، فوصول هؤلاء إلى السلطة كان يعني لليمانيين

(١) فيليب جتي: سوريا II ص ٨٩.

(٢) H. Iammens : حكم معاوية ص ٢٨٨.

انتصاراً لأعدائها القدامى الوثنيين ولْمُضَرِّي مكة^(١). وبناءً على ما تقدّم، فقد كانوا بغالبيتهم في صفوف مؤيّدَي آل النبي. وكان موقف السفينانيين تجاه هؤلاء اليمانيين مُغايِراً لموقفهم تجاه يمانيين سورية. كانت السفينانية قَمْعِيَّةً، مبتدئة بالمراقبة النشطة ثم التهديد، ومنتَهيةً بالاغتيال.

أبرز مُنفِذِي تلك السياسة كان حاكم العراق زياد بن أبيه^(٢) وابنه عبيد الله، كذلك الحجاج. ويمكن أن نسجل بعض الانتفاضات التي قمعت مثل كربلاء، ثورة التوابين والمختار.....

وتستحق نتائج الحُكم السفيناني أن تذكر:

- في الجزيرة وشمال سوريا، حيث توجد قبائل قيسية مُهمّة مثل بكر وتغلب^(٣). هاتان القبيلتان الكبيرتان والقويتان أصبحتا عدوّتين شرستين للأُمويين، وذلك بسبب خصومتها مع بني كلب، الحلفاء المخلصون

(١) Vanvloten : بحوث.... ص ٢٤.

(٢) لقد نفى ٥٠٠٠٠ من الكوفيين الشيعة والبدو إلى خراسان (Brukelmenn: تاريخ الشعوب.... ص ١٢٣)، واضطهد الآلاف من شيعة الكوفة والبصرة (أمين: ضحى III ص ٢٧٩) وأجبر ٧٠ شعبياً على لعن علي تحت طائلة الإعدام (اليقوي: تاريخ II ص ٢٣٥).

(٣) إن تغلبي مابين النهرين الذين كانوا مع علي في صفين انضموا إلى تغلبي سوريا المتحللين ونقلوا إليهم دعمهم لآل النبي.

للبيت الأموي. وكانوا جاهزين للتحالف مع كل عدو للدولة مؤيد لليمانيين. وسوف يجد الشيعة والخوارج المضطهدين أرضاً صالحة لديهم.

- أيّ تغيير بنيوي في هذه السياسة المدروسة سوف يؤدي بالتأكيد إلى تغيير خطير في هذه السياسة السفينانية.

ب - المروانية ونهاية الأمويين:

لقد استمرت السفينانية خلال عهد الخلفاء الأمويين الخمس الأوائل: عهد تأسيس الدولة. لكن معركة مرج راهط أضاعت توازن الوضع من خلال مقاربة قاعدة مهمة جداً في عمل معاوية: القضية الوطنية السورية. لقد اتى الصراع القبلي ليعقّد مهمة الخلفاء الأمويين القادمين. ولتهدئة الوضع، قارب مروان الأول، ابن الحكم، قاعدة جديدة، ألا وهي جمع اليمانيين من حول دولته بالرابطة المروانية الجديدة^(١)، بديلاً عن الرابطة السفينانية. وذلك للمحافظة على نوع من التوازن بين اليمانيين والقيسيين. لقد كان ذلك تراجعاً للتأثير اليماني وسيكون فشلاً للمروانية.

(١) H. Iammens: سوريا I ص ٨٠.

لقد ميّز هذا التّأرجح فترةً نهاية الحكم الأموي سنة ١٠١ هـ/ ٧٤٥ م. فأثناء ستّ وعشرين سنة انتقل الحكم الفعلي للدولة من مجموعة من القبائل إلى أخرى^(١). وقد أحسّ اليمانيون أنفسهم للمرة الاولى أنّهم باتوا خارج اللّعبة. ووضع الحمصيّون اليمانيون أمام أعينهم اغتيال ابن أثال، فشاركوا بمعظم الثورات في تلك الفترة^(٢). فاختلف التوازن لصالح القيسيين الذين سوف يُدعمون من قِبَل آخِر الحكام الأمويين. تلك كانت حال سليمان بن عبد الملك^(٣)، يزيد الثاني (خلال حكمه حرّض يزيد بن المهلب اليمانيين على الجهاد ضد الأمويين)^(٤) هشام بن عبد الملك والوليد الثاني^(٥) الذي اغتاله اليمانيّون في جنوب تدمر^(٦)، وكان آخر حُكّام بني أميّة، مروان الثاني، مدعوماً من القيسيين^(٧). لقد جاء انهيار الدولة الأموية كنتيجة منطقية لهذه السياسة الخاطئة. والانتفاضة العباسية

(١) A. Fischer: art. قيس عيلان II ص ٦٩٢ - ٦٩٨.

(٢) H. Lammens: حكم معاوية ص ١٣.

(٣) تاريخ البغدادي II ص ٢٩٥.

(٤) K. Brukermann: تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١٥١.

(٥) H. Lammens: سوريا I ص ٩٣ و ٩٦.

(٦) فيليب حُتي: تاريخ سوريا II ص ١٥٠.

(٧) K. Brukermann: سوريا I ص ١٦٣ - H. Lammens: سوريا I ص ٩٩.

كانت مدعومة من قبل اليمانيين: طيء وتنوخ وقنسرين^(١) والحمصيين اليمانيين والكليبيين في دمشق. هكذا فإنّه في نهاية العهد الأموي بدت سوريا نصرانية ويمانية بمجملها. وكان فيها إلى جانب هؤلاء مستعمرات فارسيّة، قادمة أساساً من العراق، في المُدن الساحلية. كذلك كان فيها حضور خوارجي في الجزيرة. ما هي حصة الشيعة في سوريا هذه؟

ج- الشيعة؟

لقد ثبتت السفينية الشيعة في العراق، مقرّ علي، لفترة من الزمن، ومقاطعة حُكّام المناطق الأمويين الأكثر قسوة، ومكان التلاقي لعدّة حضارات. فالكوفة كانت مدينة الشيعة الفضلى، ومركز التشيع المُلتزم^(٢). ولكن مع تشتت الحُكّام الشيعة تحت حكم علي، وهروب العلويين أمام قمع الحُكّام الأمويين، كذلك التملل المتصاعد بسبب ضعف الأسرة الأموية وسياستها القبليّة الفاشلة، أمتد التشيع على مساحة مُعتبرة من الأراضي الإسلاميّة. إن انتشار التشيع في الجزيرة قد سمح للتوابع أن يضعوا

(١) ابن العديم: حلب: ١ / ٥٣.

(٢) Recherches: van vloten من ٤٧.

حاكماً من قبلهم على قريزيا: ظفر بن الحارث الذي لم يعتنق التشيع ولكنه أصبح خصماً للأمويين منذ مرج راهط. لقد كانت الجزيرة المأوى الطبيعي للشيعة والخوارج بعد الاضطهاد الأموي في العراق. ولأنهم ملاحقين فقد استقروا في سوريا ولبنان^(١) يسمح مثال ساطع بفهم أهمية الجزيرة بالنسبة للشيعة، لقد اختارت مجموعة من الشيعة النشطين (مالك الأشتر، صعصعة بن صوحان...) الجزيرة للاستقرار فيها بعد أن أرسلهم سعيد بن العاص إلى معاوية حاكم سورية الذي عاد وأطلق سراحهم^(٢). ويبدو أن الأمويين قد وعوا الوضع في شمال سوريا، فزرعوا مؤيدين لهم في حلب وسكنوا في الشمال^(٣). يذكر محمد كرد علي وجود شيعة في دمشق في القرن الأول للهجرة^(٤) وحدد نقطة انطلاقهم في منطقة جبل عامل وشمال لبنان. ويمكن لذلك أن يجعلنا نفكر بالتشيع في لبنان الجنوبي خلال العصر الأموي. فقد كان وجودهم بديهياً في جبل

(١) هذه كانت حال اليعقوبيين المضطهدين في القرن الثاني عشر في منطقتي ماردين وديار بكر.

فاتجهوا نحو سوريا ولبنان (حتي: سوريا II ص ١٢٩).

(٢) تاريخ الطبري IV ص ٣١٩ - ٣٢٥، اثير: الكامل أ-III ص ٧١.

(٣) ابن العديم: حلب I ص ٤١ - ٥٠.

(٤) محمد كرد علي: خطط VI ص ٢٢٥.

عامل. في نفس الوقت الذي كانوا فيه في قم ونيسابور^(١) زمن لم تكن خراسان ولا سجستان ولا إصفهان شيعية. وفي حديث عن الإمام الصادق تأكيد على هذه الفرضية وقد جعل من منطقة شقيف أرنون^(٢) منطقة شيعية بعمق^(٣). [هذا (الحديث) موضوع ولا ريب، بدليل اسم المكان الفرنسي الأصل أي أنه مثل أسماء بلدان كثيرة في المنطقة من عهد الاحتلال الصليبي (المهاجر)].

يجب أن نتظر أسلمة سوريا، التي بدت في نهاية العصر الأموي جاهزة لتقبل الأفكار الشيعية. وسيكون ذلك عمل الفاطميين بشكل عام.

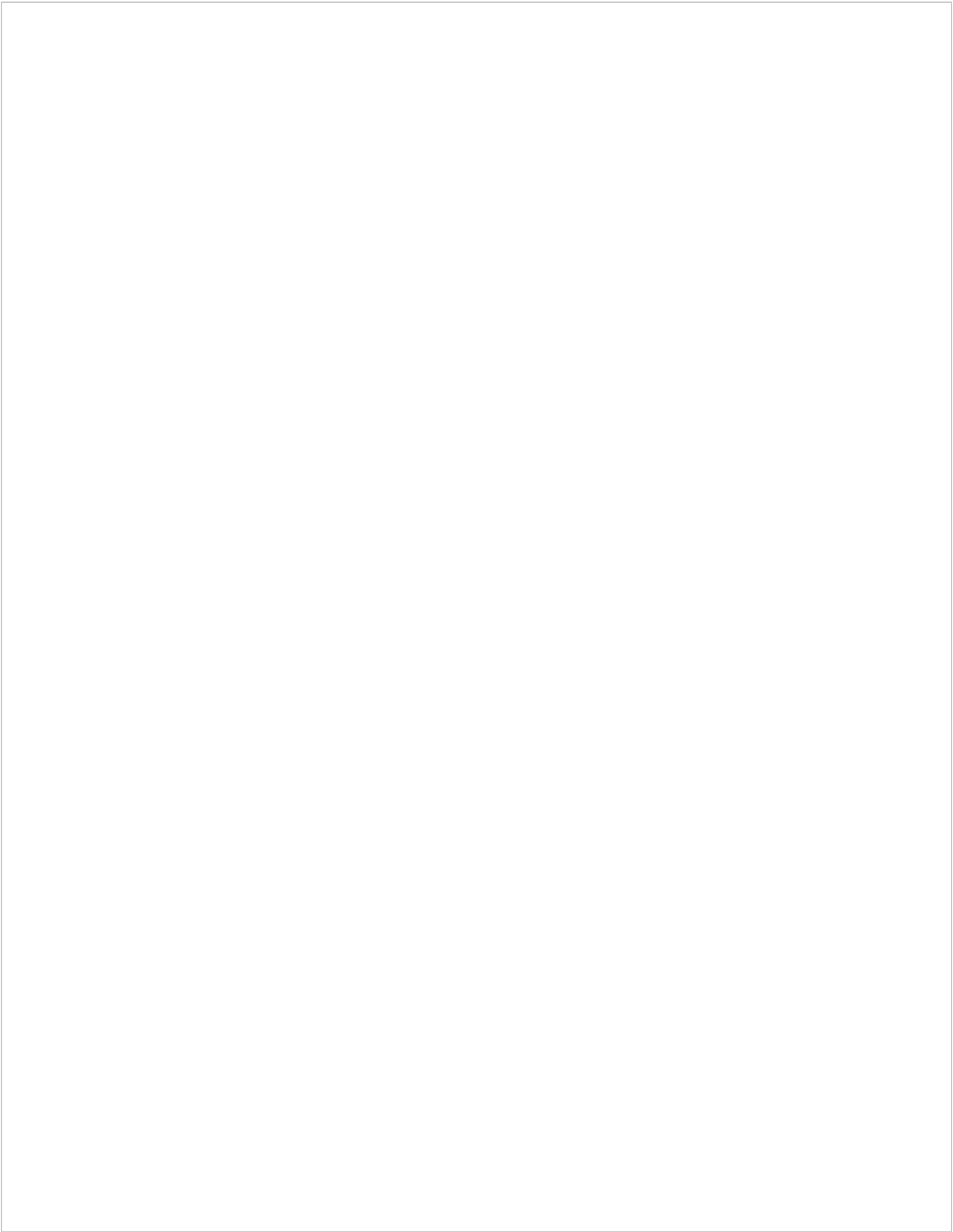
وقبل إنهاء هذا القسم، سوف نلاحظ تسرباً عربياً من فلسطين نحو الجليل ولبنان^(٤) أيام الخليفة عبد الملك. هل كانت هذه قبائل معارضة للحكم الأموي؟ هل جاءوا لنشر أفكارهم في مناطق مستعدة لاعتناق التشيع؟

(١) أ. زين: الشيعة في التاريخ ص ١٥٢.

(٢) منطقة بجبل عاملة.

(٣) محمد كرد علي: خطط، ٦ / ٢٥٢.

(٤) H. Lammens : سوريا ١ ص ١١٩.





سوريا العباسية السُّنِّيَّة

١- سوريا العباسية: السياسة القبليَّة:

كانت منطقة خراسان منذ العصر الأموي مسرحاً للقبائل العربية المتململة^(١) وللصراعات القبليَّة. وحاولت الحكومة المركزية تعديل سياستها من خلال الاعتماد على القيسيين^(٢). ولكن هذه المقاطعة القصيَّة استمرَّت بإظهار ميلها المُعادية للأمويين متأثرةً بالدعوة العباسية الناشطة. وكانت خراسان المقاطعة الأوسع والأكثر ملاءمةً لعمل المبلِّغين لإحياء فكرة الإنتقام لآل النبي، محاولين تعويد الناس على التفكير جماعياً بآل النبي، من دون تحديد إمام مُعيَّن من آل النبي^(٣).
زمن العرب، كانت الدعوة العبَّاسيَّة شأن اليمانيين بشكل

(١) شابان: الثورة العباسية ص ٣٦.

(٢) نفسه ص ٣٧، ٣٩-٤٠.

(٣) ل. كاهن: المجلة التاريخية ١٩٦٣ ص ٣٠٤، ٣٢١.

عام. وإن تُكُن الدعاية العباسية قد توصلت إلى تحالف غير موثوق وواسع، ليشمل كل المتململين من الحكم الأموي، والذين كانوا يطالبون بالعدالة كحال الذي كانوا يعملون لآل النبي^(١). وكان الشيعة يؤلفون المجموعة الأكثر عددا والأكثر احتراماً، وأيضاً المؤهلة لإعطاء الدعوة التقدير والدعم من أكبر جزء من المجموع.

ولقد نُصح أبو مسلم بالاعتماد على القبائل اليمانية من بين العرب^(٢). تُفُذت هذه النصيحة وتألّف جيش أبي مسلم من اليمانيين والفلاحين الفرس^(٣). لقد كانت خُزاعة في المقدمة، وكانت منازلها السبّاقة برفع الرايات السوداء^(٤). معظم الدُعاة لهذه الحركة الجديدة كانوا يمانيين^(٥): صباح بن معمر، مالك بن الهيثم، محمد بن الاشعث، قحطبة ابن شبيب وسليمان الخلال. وحده لاحظ بن قُريط كان قيسياً على ما يذكر اليعقوبي.

وكان القادة الذين حاولوا وقف الجيش العباسي

(١) شابان: الثورة العباسية ص ١٥٦.

(٢) H. Laoust: schismes (تصدعات) ص ٥٦.

(٣) Brukelmann: شعوب ص ١٦٧ / ف.حتي: سوريا II ص ١٥٢ / شابان: الثورة العباسية ص ١٥٥ - ٥٦.

(٤) ك. كاهن: وجهات نظر، المجلة التاريخية ١٩٦٣ ص ٣٢٠، ٣٢٧ / شبان ص ١٥٧-١٥٩.

(٥) تاريخ اليعقوبي II ص ٣٤٢-٣٤٣.

قيسين^(١): عامر بن ضرار (ت: ١٣١ هـ / ٧٤٩ م)، أدهم بن محرز (ت: ١٠٠ هـ / ٧١٨ م) ونبتة بن منزله ويزيد بن هبيرة.

وبالرغم من محاولات الأمويين الحثيثة لإبعاد العباسيين عن بلاد الشام^(٢). إلا أن الحُميمة، جنوب البحر الميت، كانت قاعدة عباسية. ومنها انفجرت وتوسعت الثورة اليمانية التي اجتاحت حمص لتؤدي إلى نهاية الأمويين. وظلّ القيسيون السوريون مناوئين للعباسيين. وانتفض كلابيو الرقة بقيادة منصور بن جاعونه الكلابي، لكن الخليفة مروان سحق تلك الثورة^(٣). ولتغيير هذا التوازن في سوريا، كان يجب انتظار الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ هـ / ٧٧٥ م - ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م).

فمروره بسوريا سنة ١٦١ هـ / ٧٧٨ م كان ذا مغزى. ذلك أنه تصرف بشكل سيئ مع السوريين اليمانيين، واجبر التنوخيين النصاري على اعتناق الإسلام، ونهب كنائسهم.

(١) تاريخ اليعقوبي II ص ٣٤٣ / شبان ص ١٦١.

(٢) اليعقوبي II ص ٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٧٠.

واضطهد الزنادقة بحسب بعض المصادر^(١). وكانوا على الأرجح يمانيين، لكن جواب اليمانيين على المهدي كان ثورة بقيادة المقنّع^(٢). أكمل الهادي سياسة أخيه المهدي في سوريا.

مع تولّي هارون الرشيد للسلطة، ازداد الوضع القبلي في سوريا خطورة فتواجه اليمانيون والقيسيون في منطقة دمشق سنة ١٧٦ هـ^(٣). كان ذلك نتيجة عدم التوازن الذي ولّده خلفاء بني العباس. حاول هارون إقامة توازن جديدة لصالح اليمانيين السوريين فأرسل برمكيّاً: موسى بن يحيى بن خالد، لتهدئة الطرفين وتجريد السكان من السلاح^(٤). إن اهتمام هارون باستيطان لبنان وتقوية مدنه الساحلية ودعم التنوحيين الذين حلّوا فيه في عهد المنصور^(٥)، يفسّر محاولة هذا الحاكم المحافظة على سوريا.

عاد العباسيون مُجدّداً إلى سياستهم السورية الخاطئة، فدعموا القيسيين أيام حكم الأمين، ممّا ولّد انشقاقا

(١) ابن العديم: حلب ١ ص ٦١ / ديس: سوريا ٧ ص ٢٢٥ / بحسب تاريخ اليعقوبي II ص ٣٩٩ قتل المهدي مرتداً من تنوخ.

(٢) ديس: سوريا ٧ ص ٢٢٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٠٩ / الاثير: الكامل ٧ ص ٩١.

(٤) H. Lammens: سوريا ١ ص ١٢٣.

(٥) الشدياتي: اعيان II ص ٤٩٧.

في الجيش العباسي في الرقة سنة ٨١١ - ٨١٢ هـ أثناء الصراع بين الأمين والمأمون^(١). ويُفسّر هذا نوعاً ما الدعم اليمني للمأمون بسبب سياسته المقرّبة من الشيعة. انتفض اليمانيون السوريون بحمص سنة ١٩٤ هـ/٨٠٩ م، فنُهبت المدينة وأُعدم سكانها، وكذلك في دمشق التي كان قائد انتفاضتها مستشاراً أمويّاً: أبي بن عبد الله السفيناني، مدعوماً من بني كلب واليمنيين. وتمكن القيسيون على رأسهم ابن بيهس^(٢) وبمساعدة العباسيين من خنق هذه «البيضاء»^(٣) التي نجحت بالوصول لفترة ما إلى صيدا والبقاع وعلبك وحمص.

البارز في حركة الخط البياني القبلي في عهد الخليفة المأمون، المعروف في بداية عهده بتعاطفه بقوة مع الشيعة، هو الانتفاضة القيسية الكبيرة في سوريا، التي قادها نصر بن شبّث العقيلي في قيسوم شمال حلب. والذي توصّل إلى امتلاك سُميساط، وإلى التأثير على الجزيرة^(٣). وسياسته تجاه الشيعة الذين فاوضوه يفسّر موقفه من القيسيين، وأيضاً

(١) حتي: سوريا II ص ١٦٥.

(٢) نفس المصدر V ص ١٤٧.

(٣) محمد كرد علي: ختلط I ص ١٨٧، انظر: كامل (A) ص ١٧٦.

علاقة هذا الموقف مع توجهات الخليفة في بغداد. على عهد المعتصم (٢١٨هـ / ٨٣٣ م - ٢٢٧هـ / ٨٤٣ م) انتفض خمسون ألف يمني من لحم وجذام وعاملة في فلسطين^(١) في وجه الحكم العباسي. وكان قائدهم المهدي الأموي أبو حرب تميم السفيناني، المعروف باسم الرجل المبرقع وذلك سنة ٨٤٠ - ٨٤١ م / ٢٢٧هـ. ولم تتخذ سوريا الشمالية ولا القيسيون أي موقف من هذه الحركة^(٢).

خنى الخليفة الواثق الانتفاضة القيسية بقيادة ابن يهس الكلابي في دمشق^(٣). وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الانتفاضة تزامنت مع سياسة مؤيدة للشيعة من قبل الحاكم الجديد. فهل فسّر القيسيون السوريون هذه السياسة على أنها تقرب من اليمنيين؟!... لقد أثارت سياسة الواثق القيسيين^(٤) في كل مكان: سليم في الحجاز، ونمير وتميم في اليمامة... كما يمكن أن نتساءل إن كان ذلك

(١) ديس: سوريا ٧ ص ٣١١، محمد كرد علي: خطط ١ ص ١٩٢.

(٢) يفسر هذا رفض القيسيين المشاركة بحركة يمنية، ومن جهة أخرى الوجود العسكري العباسي المفروض من البيزنطيين في شمال سوريا والذي منع الانتفاضة في هذه المنطقة.

(٣) الاثير: الكامل ٧ (A) ص ٢٦٧، مرة أخرى معارضة كلابية

(٤) تاريخ يعقوبي ١١ ص ٤٨٠.

مُجرّد ردّ فعل سُنيّ ضد الخليفة المعتزلي. قاد المتوكّل سياسة قمعية في سوريا تجاه النصاري والمسلمين معاً^(١). كذلك رفعت دمشق الراية المناوئة للعباسيين سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م.

استمر التملُّل اليماني. هذه المرة انتفض يمينو لخم في الأردن أيام المستعين، كذلك كلب في حمص، وتنوخ في المعرة وقنسرين. كما سُجلت انتفاضة قيسية في ديار مضر، لكنها كانت لصالح عباسي آخر: المعتز^(٢).

تنبّه الخليفة المعتز لخطورة الوضع في سوريا، بسبب التوازن المُختلّ في العلاقات مع القبائل، وبالأخص مع اليمانيين الذين يُشكلون الغالبية في هذا البلد. فبدأ سياسة متوازنة ابتغاء كسب ود المجموعتين. وكان مكان التنفيذ في فلسطين حيث حاول عامله كسب ربيعة وكلب في آن معاً. ما يمكن أن نذكره في نهاية هذا المقطع المختص بسياسة الخلفاء العباسيين القبلية في سوريا خلال فترة اكتمال او لنقل تأسيس التشيع بالتحديد، هو أن اليمانيين السوريين نصاري ومسلمين، كانوا بشكل عام ضد العباسيين، وبانتظار عودة

(١) الطبري: تاريخ: ٧ / ٢٧٤، اليعقوبي: تاريخ: ٢ / ٤٩٠، أثير: الكامل: ٥ / ٢٩٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٩٥ - ٥٠١ / محمد كز علي: خطط، I ص ١٩٤.

الأمويين إلى السلطة مع السفلياني الموعود. وعند وقوعهم في اليأس والتناقض، خلقوا سفيانيا خاصا متحدرا من سلالة قحطان اسموه القحطاني^(١).

إن عدم الاستقرار اليماني، إن على الصعيد الديني أم على الصعيد السياسي، سوف يقود تاريخ سوريا في المرحلة التالية.

تلك كانت السياسة القبلية للخلفاء العباسيين في هذه الفترة الانقلابية.

فما كانت سياستهم تجاه الشيعة؟

أ - العباسيون والشيعة:

من أصل خمسة عشر خليفة عباسي في هذه الفترة، عشرة منهم كانوا ضد الشيعة: المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المعتصم، المتوكل، المستعين، المعتز والمهتدي. في حين حاول الآخرون سياسة تهدئة، مع التقرب من أخصام الشيعة في الوقت نفسه. تجاه هذه السياسة العباسية، انتقل الشيعة الواثقون من قضيتهم إلى مواجهة مفتوحة مع العباسيين:

(١) H. Lammens دراسات حول حكم الأمويين / ٣٩٩.

| أماكن الثورات | عهد الحاكم |
|-----------------------------|-----------------------------|
| المدينة - البصرة | المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م |
| مرو | المهدي ١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م |
| المدينة - مكة | الهادي ١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م |
| الديلم - العراق - المدينة | الرشيد ١٧٠-١٩٤هـ/٧٨٦-٨٠٨م |
| الكوفة-البصرة-المدينة-اليمن | المأمون ١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٢م |
| الكوفة - خراسان | المعتصم ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م |
| الكوفة طبرستان | المستعين ٢٤٨-٢٥٢هـ/٨٦٢-٨٦٦م |
| البصرة | المعتد ٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م |

يبدو إذن أن العباسيين كانوا أكثر قسوة من الأمويين تجاه الشيعة. وكما قال الشاعر أبو العطاء السندي:

فليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في
النار هذه السياسة الظالمة أجبرت الشيعة على إخفاء ميولهم
الشيعة، بحيث أن التقية أخذت مكانها كإجازة في صلب
الأحكام الشيعية. [كذا! ولكن الثابت أن التقية سابقةً تشريعاً
وسلوفاً على العباسيين (المهاجر)].

لقد كانت حصيلة الظلم قاسيةً على الشيعة بشكل عام
وعلى أئمتهم بشكل خاص: فمن أصل تسعة أئمة عاصروا
تلك الفترة، أربعة دُسّ لهم السم: جعفر الصادق (١٤٨هـ /
٧٦٥م) في المدينة، موسى الكاظم (١٨٣هـ / ٧٩٩م) في
بغداد، علي الرضا (٢٠٣هـ / ٨١٨م) في طوس، ومحمد

الجواد (٢٢٠هـ / ٨٣٥ م) في بغداد. أمّا الباقر فقد قضوا إما خلال ثورات [كذا! من المعلوم جيّداً أن ما من أحد من الأئمة الباقرين قضى خلال ثورة. ولعلّ المؤلف يعني هنا علويين من غير الأئمة (المهاجر)] وإما في السجن. هذه السياسة المناوئة للشيعة شجّعها ودعمها بروز أئمة السُنّة الأربعة^(١)، الذين حاجّوا العقيدة الشيعية المتكوّنة منذ عهد الإمام الصادق، والتي كان مريدوها موجودين في كل مكان، حتى وسط البلاط العباسي^(٢).

ب - سوريا في حال تحوّل:

إن الأحداث التي جرت في سوريا ومحيطها أظهرت بلا شك تحوّلها: بدايةً نجحت سياسة الأسلمة التي بدأت مع الأمويين (عبد الملك وعُمر الثاني) [يبدو أنه يعني ابن عبد العزيز (المهاجر)]، في سوريا أيام العباسيين (هوذا انتصار السُنّة في هذا البلد). وقد أجبر المهديّ خمسة آلاف من تنوخ على اعتناق الإسلام دفعةً واحدة^(٣)، وتحالفت كل

(١) ابوحنيفة (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م): مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ/٧١٢-٧٩٥م) الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ/٧٦٧-٨٢٠م)، ابن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ/ ٧٨٠ - ٨٥٥م)

(٢) من الوزراء الشيعة في العصر العباسي: ابوسلمة أيام السفاح، يعقوب بن داود أيام المهدي، محمد بن الأشعث وعلي بن يقطين أيام الرشيد، الفضل بن سهل وطاهر بن الحسين أيام المأمون، وجعفر بن محمود الأسكافي أيام المعتز والمهتدي.

(٣) حتى: سوريا II ص ١٧٠.

القبائل السورية العربية (كلب، جذام وعاملة)^(١). بعد المتوكل، اقتربت أسلمة سوريا من نهايتها ولكن لم تكن هكذا الحال في لبنان. شجعت السياسة القبليّة التي مارسها العباسيون في سوريا هذا التحوّل. وكان المسرح في سوريا في ذلك العصر مهبطاً لقبول كل ما هو إسلامي وضد العباسيين.

١- الخوارج: انتفض الخوارج في منطقتهم المفضلة: الجزيرة. أيام حكم المهدي. كان دورُ الشكرّي الذي قُتل في قنسرين. ومع قدوم الرشيد انتفض الحروري (١٧٩هـ/٧٩٥م)^(٢) وحاصر الرقة لكنه هُزم. وبعد ثلاثين عاماً انتفض الشيباني في ديار ربيعة^(٣) وقُتل في سنجار. كذلك يُذكر شيباني آخر في ديار ربيعة في أيام المعتز واحتل الموصل لكنه قُتل أيضاً^(٤). يمكن أن نقول أن الجزيرة كانت حصن المعارضة للمركزية، وقد ظلت معاديةً للعباسيين، هذه القبائل الربيعية اليمنية أو حتى غير عربية (الكردية) دعمت الانتفاضات

(١) H. Iamams: سوريا I ص ١١٨.

(٢) اليعقوبي: تاريخ II ص ٤١٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي II ص ٤٨٣.

(٤) نفس المصدر II ص ٥٠٢.

التي كان الخوارج يشكلون مظهرها الأكثر شهرة في الموصل أو غيرها^(١).

٢- النصارى: خائفين على وضعهم، ثار النصارى اللبنانيون أيام المنصور سنة ١٤٢هـ/ ٧٦٠م وتوصلوا إلى قلب واقع كسروان [الحقيقة أننا لم نفهم ماذا يقصد المؤلف بهذا. ولعله متأثر ببعض الأوهام التي أشاعها بعض المؤرخين المتعصبين عن وجود مسيحي في هذا التاريخ المبكر في كسروان، مما بُني عليه أن انتشارهم فيما بعد فيه كان بمعنى العودة (المهاجر) والبقاء. خنقت الثورة، لكن النصارى استمروا بإزعاج العباسيين الذين وجدوا حلاً جديداً إلا وهي توطئ يمانيين في سوريا (التنوخيين).

٣ - الشيعة: أدت السياسة العباسية القمعية، وخنق الثورات الشيعية في محيط سوريا، وكذلك المسرح السوري الملائم، إلى هجرة المضطهدين إلى المناطق المتاخمة^(٢). فاستقروا في «العواصم» وفي سوريا

(١) Histoire de la Dyn. M. Canard | تاريخ السلالة الحمدانية .

(٢) فيليب حتي: لبنان ص ٣٠٧، ٣١٤: كان المهاجرون من الشيعة والاسماعيليين والفرس، كما يمكن أن نتحدث عن هجرة مارونية إلى قبرص أيام الرشيد والمتوكل بحسب الطويل: العلويون / ٢٧٦.

الشمالية والغربية^(١). وللزيادة في الدقة يمكن أن نُضيف جبل عامل، المعروف ببلنان الجنوبي اليوم، وسهل البقاع^(٢). وبعد اضطهاد البرامكة في بغداد والشام، هاجر الشيعة للاستقرار بعيداً عن الحكومة المركزية في المغرب وتونس وقبرص وجبل النصيرية قرب اللاذقية^(٣).

وبحسب نوس^(٤) تفرّق الشيعة في خراسان والهند والسلمية في سوريا^(٥).

في هذه الحقبة نجح الإسماعيليون بالدخول إلى سوريا. فقد دخل، فيما يُقال، محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (ت: ١٩٦ هـ / ٧٨٥ م)، المُلاحق من قبل الرشيد العباسي، إلى سابور ثم فرغانة ثم إلى عسكر مكرم^(٦). وبحسب المرتضى^(٧)، سكن محمد تدمر، حيث

(١) المصدر نفسه / ١٨٦.

(٢) ف. حتي: لبنان ص ٣١٤. H.Iammens : سوريا II ص ٨.

(٣) الطويل: العلويون ص ١٧٠-١٧١.

(٤) إ. نوس: بحث / ٣٧٨.

(٥) لأشهر ماسينيون إلى تاريخ التحول الشيعي في سوريا الشمالية وطبريا وجبل عامل وكسروان. انظر مادة «كسروان» في دائرة المعارف الإسلامية.

(٦) حسين: الإسماعيلية / ١٦.

(٧) مرتضى: ثمار / ١٥.

جعل من هذه الواحة مركزاً للانتشار الإسماعيلي. ويتساءل المجلسي^(١)، الذي لم يكن متأكداً من اسم العلوي الذي يسكن تدمر أيام الرشيد، والذي ترك على جدران منزله أشعاراً تمدح كرامات أهل البيت، عمّا إذا كان الكاظم، بعد موت محمد بن اسماعيل، خلفه ابنه عبدالله.

في اليد ثلاثة نصوص عن قدوم الإسماعيليين إلى السلمية:

- وصل محمد بن إسماعيل من نيسابور إلى تدمر، ومات سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨ م. غادر ابنه عبدالله تدمر إلى السلمية ثم إلى معرة النعمان. ومات في السلمية ٢١٢هـ/ ٨٢٧ م
- وصل عبدالله بن محمد أيام ظلم المأمون، من الديلم إلى معرة النعمان ثم إلى السلمية ومصيف^(٢).

- توجه عبدالله من تدمر إلى مصيف ثم إلى السلمية^(٣). مهما يكن من أمر، فإن النصوص الثلاثة تتقارب. المهم أن الإسماعيليين دخلوا إلى سوريا متنكرين بشكل تجار في القرن الثالث من الهجرة، واستقروا في مصيف والسلمية. ودفنوا أمواتهم في جبل مشهد. بعد عبد الله المتوفى سنة

(١) المجلسي: بحار مجلد ٤٨ ص ١٨١-١٨٢.

(٢) حسين: الإسماعيلية ص ١٧.

(٣) المرتضى: ثمار / ١٥.

٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م، خلفه ابنه أحمد وتنقل في بلاد الشام حيث خلف إسماعيلين في دمشق وحلب وجوارها وفي أجزاء أخرى من سوريا^(١). تلك كانت المرحلة السُّرِّيَّة من الانتشار الإسماعيلي. لكن اليأس من النجاح في سوريا في مواجهة الانتشار الاثنى عشري أو الخارجي دفعهم إلى ترك سوريا نحو إفريقيا الشمالية في أواخر هذا العصر.

يجب ان نذكر المساهمة الاسماعيلية في التحوّل الثقافي في سوريا^(٢) في فترة الخلاف بين الأمين والمأمون.

بالإضافة إلى الإسماعيلين، يُسجّل في منطقة حلب في تلك الفترة (أيام المهدي) وجود الزنادقة الذين اضطهدوا من العباسيين^(٣). هؤلاء بالتأكيد لم يكونوا نصارى. ويمكن أن نتساءل إن كانوا فرسا غير مسلمين. يهتم البرامكة أيام الرشيد بالسعي لقلب الخليفة السُّنِّي لإحلال الزنادقة مكانه. لكن وجود الزنادقة في سوريا سيكون مَعْبَرًا للحركة الشيعية الناشئة في هذا البلد.

يمكن أن نلاحظ أيام المأمون وتحديدًا أيام انتفاضة

(١) المرتضى: ثمار / ١٥ / حسين: الإسماعيلية / ١٧.

(٢) رسائل اخوان الصفا.

(٣) ابن العديم: حلب ١ ص ٦١، ديس: سوريا ٧ ص ٢٣٥.

نصر بن شيبث العُقيلي في شمال حلب، وجود مجموعة من الطالبين، جاءت للطلب من الثائر أن يكون مؤيداً لآل النبي. وعندما رفض، طلبوا منه أن تكون ثورته بيضاء فرفض أيضاً. مُفضّلاً ثورةً عربيّةً ضد تسلّط الغرباء (العجم) ^(١).

يبدو لي ذلك مُعبّراً جَدّاً. لأنه من جهة كان الشيعة في ذلك العصر أقلّيّة لا تستطيع أن تفرض نفسها على من كانت تريد أن تعمل معه، ومن جهة أخرى، وبالرغم من الوجود الشيعي الواقعي خلف الثورات البيضاء السورية في ذلك العصر، فالمهم هو الانتفاضة ضد العباسيين المُخادعين. كان يوجد شيعة في حمص، مدينة الشاعر الشيعي ديك الجن (١٦١-٢٣٦هـ/٧٧٧-٤٩٩م) المتحدّر من السلميّة، والذي لم يترك حمص، في عصرٍ كانت فيه مراسم عاشوراء معروفةً جيّداً ^(٢). كذلك كان هناك شاعر شيعي إمامي آخر في سوريا: أبو تمام (١٨٩-٢٣٦هـ/٨٠٤-٨٥٠م) المُتحدّر من حوران، وكان مشهوراً في تلك الفترة. لكن أسفاره إلى مصر وفارس والعراق، كذلك إقامته في بغداد أخلّت بأصل تشييعه، الذي ربما حصل عليه من خارج

(١) اثر: الكامل ٧ ص ١٧٦، محمد كرد علي: خطط ١ ص ١٨٧، زر كلّي: أعلام VIII ص ٤٢ A.B.

(٢) ديس: سوريا ٧ ص ٢٤٣ / كرد علي: VI ص ٢٥٦ / حتّي: سوريا II ص ١٨٢-١٨٣.

سوريا؟ يدّعي المؤرخ صفا أنّه سكن في جبل عامل خلال سنة صعبة^(١). وأنه اكتسب التشيع من العاملين. ويتابع أن أبا تمام سكن في المالكيّة وذكر هذه المنطقة وبرعشيت وعيناتا وحدثا في اشعاره^(٢).

يُضاف إلى ذلك. الطابع الاجتماعي الذي اتخذه التشيع في ذلك العصر^(٣)، ويبدو واضحاً أن انتفاضة الرجل المبرق في فلسطين والزنج في البصرة، لكي تكون متجانسة مع العصر، اتخذت شكلاً شيعياً، لقد كان ذلك نوعاً من التمويه بهدف الحصول على وجهة شرعية تكون بمتناول المؤمنين. إن سوريا، البلد الزراعي، المليء بالفلاحين، بالمضطهدين والغرباء، ها هي تؤمن أرضيةً مهمّةً للتشيع المُشبع بالمظاهر الاجتماعية.

إن الخليفة المتوكل، الذي كان مسكوناً بهاجس التحول الخطير العالق أبداً في سوريا، غادر العراق متجهاً إلى سوريا، وأقام في قصر مروان بين ضاحية دارياً ودمشق. ورفض حتى الإقامة في دمشق بسبب مناخها.

(١) تنقل الحواريين والعاملين خلال السنوات الصعبة هو حدث واقعي، فقد أخبرني جدي العامل من الكوثرية أنه توجه إلى حوران مع عائلته خلال الحرب العالمية الأولى هرباً من الجماعة.

(٢) صفا: تاريخ جبل عامل / ٢٨١-٢٨٢.

(٣) ك. كاهن: المجلة التاريخية ١٩٦٣ / ٢٩٨.

لكنه لم يتأخر عن الدخول إلى سامراء^(١). لقد كان بوّد هذا الحاكم العباسي مراقبة هذه المقاطعة عن كثب، لكن بعد فوات الأوان.

أنها سوريا التي ستخرج من أيدي العباسيين للدخول في أيدي الطولونيين والاختشيديين، قبل أن تجد توازنها بعد سلسلة طويلة من التحوّلات.

أئمة الإسماعيليين في هذه الحقبة:

- إسماعيل (توفي سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م).
- محمد (توفي سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م في تدمر).
- عبدالله (توفي سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م في السلمية).
- أحمد (توفي سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م في السلمية).
- الحسين (توفي سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م في السلمية).
- محمد المهدي (هاجر إلى شمال أفريقيا).

٢- سوريا الطولونية (٢٦٤-٢٩٢ هـ / ٨٧٧-٩٠٤ م):

جاءت الضربة القاضية لسوريا العباسية المقسّمة من مصر، على يد أسيرة تركية الجذور، كان العباسيون قد أحضروها إلى هنا (مصر). لقد كان من المنطقي أن

(١) H.Iammens : سوريا ١ ص ١٢٥.

يستولي الطولونيون بأنفسهم على سوريا، بدل تركها للقبوى الجديدة التي جزأتها سياسيا وثقافيا^(١).

سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م، ترك أحمد بن طولون مصر وأخذ طريقه إلى سوريا، بعد وفاة حاكمها أكجور. احتل دمشق وحمص وحلب بدون مقاومة. رفض الخليفة تصريف عامله على مصر. لكن ابن طولون أكمل طريقه واحتل انطاكية والمنطقة الممتدة من قنسرين حتى الرقة^(٢).

أثناء عدة أشهر واصل ابن طولون أعماله العسكرية والسياسية في سوريا ابتغاء توسعة رقعة دولته الجديدة، على حساب ضعف عباسي لاعلاج له. حاول العباسيون انقاذ وضعهم بالتآمر مع لؤلؤ حاكم سوريا الشمالية، المعين فيها قبل دخول ابن طولون، بيد أن هذه المحاولة فشلت^(٣). لكن يمكن تسجيل عودة للعلاقات الطبيعية بين العباسيين والطولونيين. أثناء هذه الفترة، حصلت تحالفات/ مصاهرات بين الأسرتين^(٤) واقتسمت العائلتان سوريا على

(١) كان العباسيون منشغلين بانتفاضة الزنج في منطقة البصرة.

(٢) ابن العبري: دول ص ١٤٩.

(٣) ابن العديم: حلب ١ ص ٧٨-٨٠.

(٤) محمد كرد علي: خطط ١ ص ٢٠٣-٢٠٢ / اثير: الكامل VII (B) ص ٤٧٣.

زمن قمرويه^(١) (٢٧٠-٢٨٢هـ/٨٨٣-٨٩٥ م).
 اتّبع الطولونيون السُّنة السياسة العباسية نفسها، مما ترك
 سوريا في نفس الحال^(٢). فقد اضطهدوا الشيعة في مصر (٢٥٨هـ /
 ٨٧١ م) ومدّوا نفوذهم إلى «المدينة»، وساهموا بسحق انتفاضة
 الزنج بين عامي ٢٦٨-٢٧٠هـ / ٨٨١-٨٨٣ م.
 جاء الدعم القبلي للطولونيين في سوريا من القبائل
 القيسية، ممّا ساهم في تظهير سياستهم القبلية بين القيسيين
 واليمانيين. وكانت كلاب الأكثر خطورة عليهم. وكان
 قادتها حكام حلب^(٣). وقد فرض الحضور الكلابي نفسه
 على الطولونيين، فقد كان من مصلحتهم الاعتماد على هذه
 القبيلة، وإن يكن ولاء هؤلاء للتسُّن محلّ استفهام واضح.
 تأرجحت الجزيرة في هذه الفترة بين العباسيين
 والطولونيين^(٤). كان ذلك عمل الحمدانيين والقائدين
 التركيين اسحق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج^(٥). أما
 القبائل القيسية في الجزيرة المناوئة للعباسيين أو لنقل

(١) ابن العديم: حلب I ص ٨٢.

(٢) ف. حتي: سوريا II ص ١٨٦ / كان أحمد بن طولون شافعيًا: أثر: الكامل VII ص ٤٠٩.

(٣) مسعودي: مروج IV ص ٣٠٧، يعقوبي: تاريخ II ص ٥٠٦-٥١٠.

(٤) كان الحاكم محمد بن العباس، ابن العديم: حلب I ص ٨٠.

(٥) أثر: الكامل VI(A) / ٦١-٦٢، نفسه / ٨٠-٨٤.

المناوئة للسنة، فقد اقلقت العدوين الكبيرين: تلك كانت حال بني شيبان^(١) وبني تميم. في هذه الفترة، سيطر الحمدانيون على المنطقة الممتدة من ماردين إلى أَرْدُ مُشْت بما فيها برقعيد في الجزيرة. ما من شيء يُثبِتُ تشييع الحمدانيين في هذه المرحلة من تطوّرهم السياسي. وكان الخوارجُ قطبَ الجذب لكل الحركات. وكان الحمدانيون يتأرجحون بين الحكومة المركزية طالما كانوا يشعرون بقوتها، وطالما كانت هذه الحكومة تحبّذهم في المنطقة^(٢)، وبين الخوارج^(٣). كل سياسة هذه القبيلة التغلبية أملت عليها علاقات القوة. وحاولت من خلالها التآرجح لكي تحافظ على نفسها^(٤). وقد سيطرت سلطة الخليفة على الجزيرة، فوجد الحمدانيون أنفسهم عن غير قصد وقد استوعبتهم بغداد، فقاتلوا ضد الخوارج والقرامطة^(٥). يساعدنا اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) [كذا ! لكنّ الثابت أنه عاش حتى السنة ٢٩٣ على الأقل] في

(١) المسعودي: مروج IV / ٢٤٤.

(٢) كانت عينهم على حكومة الموصل من خلال تغلبي.

(٣) انظر: الكامل VII(B) ص ٤١٩، ٤٥٣.

(٤) نفسه ص ٤٦٩-٧٠.

(٥) م. كانار: تاريخ السلالة... ١ / ١٧٣١٥.

كتابه «البلدان» على توضيح التوضع القبلي في سوريا، مع تحديد موقع الفرس^(١).

مع تثبيت المعطيات على الخريطة، يتيح لنا اليعقوبي الاستنتاج بأن سورية الشمالية ماخلا الساحل، كذلك لبنان ماخلا المنطقة الجبلية وسهل البقاع، كان يسكنها اليمانيون، كذلك غالبية فلسطين. كما نلاحظ وجود متحدثين من أصول فارسية وطنهم معاوية وسلالته على طول الساحل اللبناني من طرابلس إلى صور كما في بعلبك. وفي هذه المناطق عينها سوف نلاقي لاحقاً كل المنشقين عن الاسلام بحسب «بورون»^(٢) في جبال سوريا (جبال الأعلى)، على سفوح لبنان، وفي حوران، وسوف تكون الطائفة الشيعية الأكثر قوة. [كذا ! هذه العلاقة الافتراضية، بين نشأة التشيع في الشام، أو نشأة بعضه، وبين جوالي صغيرة فارسية، قد درج عليها عدد من معارف المستشرقين. وقد ثبت فيما بعد قطعاً أنها تفسير ساذج وإسقاطي من الحاضر إلى الماضي. بحيث أن بعضهم أعلن رجوعه عنه، بعد أن نشر رأيه في مجلة علمية معروفة. وعلى

(١) يعقوبي: البلدان / ١٦٩-١٨٢.

(٢) بورون: الدروز / ٩٥.

كل حال فإن انتشار التشيع في المنطقة هو ظاهرة أكبر بكثير من أن تُفسّر بجمالية محدودة العدد].

أ - القرامطة

بعد الفشل التام للتمدد الإسماعيلي في سوريا، بدأ مظهر آخر لهذه العقيدة: إسماعيلية متطرفة هذه المرة. أولئك هم الذين سيُعرفون بعد قليل بالقرامطة. ويبدو لنا أن السوريين كانوا جاهزين لتقبل هذه العقيدة المُتشّعة المُتطرفة والمناهضة للعباسيين^(١). كما أن كل شيء يدل على أن الدعاة الإسماعيليين قد حضروا الأرضية تحضيراً جيداً للقرامطة. واستطاع قائدهم عبدالله بن ميمون أن يضم إلى الدعوة الإسماعيلية حمدان قرمط الذي كان يسكن في منطقة الكوفة. فبدأ هذا الأخير بالدعاية. وحاول سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م شراء الأسلحة^(٢). جامعاً حوله العناصر الغاضبة في المنطقة^(٣) من فلاحين وبدو.

لقد كانت الانتفاضة «شيوعية» في مضمونها الاجتماعي والاقتصادي^(٤). وحمل قائد قرمطي: اسمه زكرويه بن

(١) ف. حتي: سوريا II ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٨٥.

(٣) Met3:civil:اسلام ص ٦٨.

(٤) ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٨٧.

مهرويه، إلى سوريا الفكر والنشاط القرمطي. وما عتَم أن أصبح قائد القرامطة في الشمال.

إن نشاط هذا القائد يهَمنا، من حيث أنه زرع فكر القرامطة في المنطقة التي نعملُ عليها في هذا البحث: الجزيرة والشام. وبالرغم من أن المؤرخين قد جعلوا هذه الحركة تستهدف سوريا، فإنه يبدو لي أن فكر القرامطة العراقي المصدر قد استفاد من الانتشار الاسماعيلي الذي كان مركزه في السَّلمية. ونُضيف الآن أنه اكتسب دعايته الخاصة التي عارضها العباسيون، لدرجة أن زعيمهم كان مضطراً للاختباء وترك العمل لأبنائه ومندوبيه.

من جديد سيدعم العربُ حركة الظهور الشيعي الجديدة^(١). لقد كانوا يمانيين، ولا يجب أن ننسى بأن بني كلب في محيط الرِّقة قد انضموا إلى القرامطة^(٢). لقد ترك أهل السَّلمية المكان للقرامطة، ونقلوا مساكنهم إلى إفريقية الشمالية.

وبعد تحضير المسرح، هيأ موتُ الخليفة المعتضى^(٣)

(١) اثير: الكامل A VI ص ٩٩.

(٢) ح. حسن الدولة الفاطمية ص ٣٨٨.

(٣) استعمل القرامطة القوة دائماً. في جوران سنة ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م لاقوا مقاومة شهابية، شدياق: أيام ١ ص ٣٧ / اسود: ذخائر ص ٢٤٤.

لموجة عنف واسعة من الموجات التي برعوا في تنظيمها. ففي السنة ٢٨٩هـ/٩٠١م، استولى القرامطة على المُدُن السورية أيام هارون بن خمارويه^(١)، واضعين نصب أعينهم كأنموذج نجاحهم في شرق شبه الجزيرة العربية. حاول ابن زكرويه السيطرة على دمشق، التي كان يحكمها طولوني. لكن القرامطة هُزموا في «وادي السعادين والأفاعي» في منطقة دمشق، حيث مات قائدهم، فخلفه شقيقه حسين (صاحب الشامة) وتصلح مع الدمشقيين على أن يدفعوا له فدية^(٢). في ذلك الأوان كانت منطقة الغوطة، كذلك مناطق أخرى كجبل الأعلى وجبال لبنان القديم، قرمطية^(٣). بعد دمشق^(٤) جاء دور مناطق أخرى أكثر سهولة للغزو بفعل الثقل اليمني الموجود فيها. فسقطت حمص ورُفعت الخطبة فيها باسم القرمطي. قاومت حماه لأنها كان يسكنها قيسيون كانوا على خلاف تقليدي مع الحمصيين. كان سكان حماة مضطهدين، مطرودين ومُعَرَّضين للقتل. كما

(١) ابن العبري: دول ص ١٥١.

(٢) اثير: الكامل VII (b) ص ٥٢٣ - ٥٢٤.

(٣) كرد علي: خطط، I ص ١٠٧ / Bouron: الدروز ص ٩٦.

(٤) اثير: الكامل VI (A) ص ١٠٤ / كرد علي: خطط، I ص ٢٠٧ / ف. حتى: سوريا II ص ١٨٩ - ١٩٠ /

فازان: لبنان ص ١٢٧.

احتلت المعرة والسلمية حيث كان الحمصيون مقيمون. في بعلبك جُزِرَ بجزء من السكان. ويمكن أن نتساءل ما إذا كان التشيع قد اجْتُثَّ في هذه الفترة من المُدُن التي قاومت وتلقّت ضربات القرامطة الأكثر قسوة.

متوجساً من الامتداد القرمطي في سوريا الشمالية وشبه الجزيرة العربية، أرسل الخليفة العباسي المكتفي سنة ٩٠٢/٢٩٠م حملة عسكرية بقيادة أبو الأغر. لكن هذه الحملة هُزمت في وادي البستان على طريق حلب، والتجأ قائدها في هذه المدينة، فحاصر القرامطة حلب دون التمكن من دخولها^(١). انتقل الخليفة سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م نحو الرقة حيث يمكنه حكم مجمل الصحراء السورية مع المحافظة على السيطرة على العراق. أرسل مفارز عسكرية بهدف إيقاف القرامطة مستعيناً بالقيسيين من تميم وكلاب لهذا الهدف^(٢). كان حال القرامطة صعباً لأنهم وقعوا بين الطولونيين من جهة والعباسيين من جهة أخرى. ما أن يتنفسوا الصعداء على جبهة حتى يقعوا في المشاكل مع الأخرى. كان القائل العباسي في تلك الفترة محمد بن

(١) الثير: الكامل VI (A) ص ١٠٥ / ابن العديم: حلب: ص ٨٨-٨٩ / طبياخ: حلب: ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) ابن العديم: حلب: ص ٩٠.

سلمان، فتوجه إلى حلب بنية طرد القرامطة والطولونيين من سوريا، فهزم القرامطة قرب حماة وأحرق قادتهم في بغداد^(١).

أحد الحمّدانين، واسمه حسين بن حمدان، الذي كان في خدمة الخليفة نظم مقتلة بالقرامطة في الصحراء السورية بمساعدة الشيبانيين^(٢). ويمكن لنا أن نتساءل ما إذا كان القيسيون في الجزيرة والخوارج بالإضافة إلى الشيعة الذين استمروا على خط الأئمة كانوا مضطهدين من القرامطة لكي يشهدوا الخسارة الدموية التي فرضت أخيراً على هؤلاء؟ تمكن العباسيون من هزيمة القرامطة^(٣) وإعادة السيطرة على سوريا كما على مصر سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٤ م. وبذلك وضعوا الحد النهائي للحكومة الطولونية^(٤).

السؤال الآن: هل استولدت القرمطية تغيراً أساسياً في سوريا لصالح التشيع؟

هناك عدة اعتبارات أنجحت الطابع الشيعي النشط للقرامطة في ذلك العصر. نلخصها بما يلي:

(١) اثير: كامل VI (A) ص ١٠٨.

(٢) نفسه ص ١٠٨.

(٣) اكمل القرامطة حركتهم في البحرين واليمن ومكة: ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٢٨٩.

(٤) اثير: كامل VI (A) ص ١١٠.

- ١- بالنسبة للقرمطية المتفرعة من الإسماعيلية، لا زال محمد بن إسماعيل بالنسبة لهم هو المهدي المنتظر. الأمر الذي كان موضع استياء الإسماعيليين الذين يعتقدون أنّ المهدي هو من سلالة محمد بن إسماعيل.
 - ٢- انتقد القرامطة الرافضة^(١) والاثني عشرية الذي ينتظرون إمامهم ويمدّون بعمره^(٢).
 - ٣- إن الطابع الاجتماعي للقرامطة يُعده عن المنحى العلوي الذي اتخذه، فالمضمون كان اجتماعياً بلا نقاش، أما التخفي فكان علوياً دينياً.
 - ٤- أدخل الطابع العنفي للحركة (نهب، مجازر، اجتياحات، انتهازيون يسعون إلى السرقة)^(٣).
- حتى ذلك العصر، ظهر التشيع في سوريا بشكلين: الاسماعيلية والقرمطية، كان على الاثنى عشرين انتظار نهاية تلك الفترة لتحقيق غيبة إمامهم الثاني عشر، ولتكمّل قاعدة

(١) الرافضة: اسم أعطي للشيعة أيام الصادق لأنهم رفضوا إمامة أبو بكر وعمر. رأي آخر يقول بأن الاسم اعطاه المغيرة بن سعيد المتوفي سنة ١١٩هـ/٧٣٧م للذين كانوا مع إمامة جعفر الصادق. وبحسب الشهرستاني فإن التسمية أعطيت للشيعة الكوفيين حيث أنهم رفضوا رأي زيد بن علي في مساندة أبي بكر وعمر. رأي آخر يقول بأن التسمية أعطاها الإمام الصادق لأن الشيعة رفضوا أن يكونوا مع فرعون ليكونوا مع محمد وآله. مهما يكن فإن الاسم استعمل أيام الرشيد لوصف الشيعة مثل الشاعر السيد الحميري.

(٢) انظر كامل VI (A) ص ١٨٨.

(٣) م كرد علي: خطاط، ١ ص ٢١١.

عقيدتهم، فعلى حساب كل هذه الحركات الشيعية، سرّب الاثنا عشريون أفكارهم وكسبوا جزءا كبيرا من سوريا.

ب- محاولة عباسية أخيرة (٢٩٢-٣٢٣هـ/ ٩٠٤-٩٣٤م):
احتلّ العباسيون سوريا بعد أن أنزلوا الهزيمة القرامطة، الذين كانوا القوة الوحيدة القادرة على مقاومة الخليفة، وأيضاً بعد وضع حدّ عمليّ للوجود الطولوني منذ العام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م. لكن هذه القوة كانت تحمل في طياتها بذور خسارتها أو على الأقل عدم قدرتها على حكم سوريا.

ج- القرامطة أيضاً:

كان الحاكم العباسيّ ابن كيغلق. وسنة ٢٩٣هـ / ٩٠٥ م جرّب القرامطة حظّهم مجدداً في منطقة دمشق، مستغلّين سفر حاكمها إلى مصر. فقد هددوا واجتاحوا عدّة بلدان: بصرى وأذرعات ودمشق، حيث ساعدتهم بعض القرامطة المحليين من سكانها^(١). بينما دُمّرت حوران ومنطقة طبريا. المهمّ هنا أنّ بعض الكلبيين كانوا في صفوف القرامطة. بينما كان ابن كيغلق يحكم سوريا باسم العباسيين،

(١) الأثير: كامل VI (A) ص ١١٢-١١٣ / أبو الفداء: مختصر II ص ٦٠ / كرد علي: خطاط I ص ٢١٠.

حافظت بغداد على موقفها المضاد للشيعة^(١)، إن من خلال وجود وزراء معروفين بعدائهم للبيت العلوي من آل بيت النبي: القاسم بن عبيد الله (٢٩٠-٢٩٢هـ/٩٠٢-٩٠٤م)، الحامد بن العباس (٣٠٦-٣١١هـ/٩١٨-٩٢٣م)، أو من خلال إبعاد البهلوانيين مثل علي بن عيسى أو الشيعة مثل علي بن الفرات. هذا الموقف لبغداد بدا واضحاً من خلال خنق مغامرة مؤنس المخصي والحاجب بن يلبق سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م، كذلك في هدم مسجد بُراثا الشيعي في بغداد. لكن نهاية هذه الفترة أظهرت نوعاً من الثقل الشيعي في العراق، فقُضي على الحنبلية أمام الضغوط الشيعية والقرمطية، وأعيدت عمارة مسجد بُراثا وحراسته^(٢). بعد نوع من الراحة على الجبهة السورية، بدأ القرامطة في بداية القرن الرابع الهجري هجوماً^(٣) يستهدف البصرة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م و ٣١٢هـ/٩٢٤م، زراعين النهب والحرائق. وقطع أبو طاهر، قائد القرامطة، طريق الحج أمام القافلة العراقية، وسجن أبا الهيجاء الحمداني.

(١) Laoust: schisms (تصدعات) ص ١٥٢-١٥٤.

(٢) نفسه / ١٥٥.

(٣) انظر: كامل (A) ص ١٩١، ١٨٨، ١٨٦، ١٨٠، ١٧٧، ١٩٤، Laoust: التشيع / ١٤٢.

سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م بدأ احتلال سوريا، فسقطت دالية والرحبة وجزر بسكانها. القدر نفسه كان بانتظار سكان ضواحي الرقة وقرقيزيا ورأس عين وكفرسوسة وسنجار فطلبت الأمان وحصلت عليه.

إن غزوات القرامطة في سوريا تفسر بعدم قدرتهم على تأسيس دولة ومقاومة بعض المقاطعات السورية وطلب الأمان للبعض الآخر. مظهران من الموقف السوري يمكن أن نفسرها كما يلي:

رفض المقاطعات السنية فتح أبوابها للقرامطة النهائيين. خوف بعض المقاطعات من مصير مشابه للمقاطعات المقاومة.

وجود في بعض المناطق لجزء من السكان المقترمطين أو المستائين وغير القادرين على الانتفاض، مستعملين التقية أو اللامبالاة (الإسماعيليون، الإثنا عشريون).

إن وجود سكان مقترمطين داخل الإمبراطورية العباسية، أكدّه ابن الأثير^(١). فمنطقة الكوفة كانت تضم قرامطة يستخدمون التقية. فمن المقبول أن نجد قرامطة في المناطق

(١) الأثير: كامل VI (A) ص ١٩٤

الأكثر بُعداً عن الحكومة المركزية (سوريا مثلاً). ظلّ القرامطة أثناء هذه الفترة من الوجود العباسي يمثلون الخطر الوحيد الحقيقي، وكانوا يُعبّثون مسرح عملياتهم بحسب الظروف، ولكن مهما يكن فإن قوتهم الأساسية ظلت في شبه الجزيرة العربية، حيث تمكّنوا أثناء العام ٣١٧هـ / ٩٢٩م من اجتياح مكة وأخذ الحجر الأسود إلى البحرين^(١). ونراهم بنهاية هذه الفترة (٣٢٣هـ / ٩٣٤م) يقطعون طريق الحج مرة أخرى أمام القافلة العراقية. ولعب الشيعة دوراً كبيراً لدى القرامطة ابتغاء تسهيل مرور الحجاج فترجع القرامطة ووصل الحجاج إلى بغداد^(٢).

مع المحافظة على شخصيتهم الخاصة ضمن المجموعات الشيعية، ظلّ القرامطة على علاقة طيبة مع الشيعة الآخرين. هو ذا ما نراه، من جهة، من خلال دور العلويين لدى أبي طاهر لتحرير القافلة العراقية. ومن جهة أخرى، من خلال تدخّل المهدي الفاطمي الاسماعيلي مع أبي محمد عبيد الله العلوي. بعد انتزاع الحجر الأسود من مكة خضع أبو

(١) اثير: الكامل VI ص ٢٠٣-٢٠٤ / أبو الفدا: مختصر II ص ٧٤ / هازان: لبنان I ص ١٢٨

(٢) اثير: الكامل VI (A) ص ٢٤٩.

طاهر لطلب الخليفة الفاطمي وأرجع الحجر إلى مكانه^(١). على الصعيد القبلي، حصل القرامطة على مساندة اليمانيين العرب بشكل عام. كانت رايتهم بيضاء^(٢). لكن ذلك لم يكن تطابقاً مع اليمانيين الذين كانت رايتهم من اللون عينه^(٣). على عكس ذلك فإن اليمانيين (التنوخيين وبنو القيس) كانوا مضطهدين من قبل الحكام العباسيين في تلك الفترة، فوالى حلب هو من اضطهدهم في قلاع اللاذقية^(٤).

د- الاثنا عشرون:

في مايخص الاثنا عشرين، فقد كانت الفترة الممتدة بين الطولونيين والفاطميين مفيدة لهم، لأنها كانت فترة هجرة وانتقال للبحريين والطائيين^(٥) من شمال سوريا نحو لبنان وفلسطين. لقد أحضروا معهم معتقداتهم لإكمال التحول في سوريا المتغيرة.

في نهاية القرن الثالث للهجرة، غدت طبريا ومحيطها شيعية^(٦). ونرى حاكم طبريا الإخشيد، وبمساعدة والده

(١) نفسه VI ص ٢٠٤.

(٢) اثير: كامل VI ص ١٩٤.

(٣) الحزبان العربيان المتواجهان كانت رايتهما بيضاء لليمنيين وسوداء للقيسيين.

(٤) ابن العديم: حلب I ص ٩٧.

(٥) ابي الطائيون من منطقة حمص: منطقة يمنية شيعية خالصة.

(٦) هذا ما سيذكره المقدسي وناصر خسرو

طغج الذي كان يعمل في دمشق لصالح الطولونيين، مُتوجساً من حضور أبي الطيّب العلوي، الشخصية الشيعية والشريف المحترم جداً من الناس^(١)، فكان منه أن اغتاله. هذا يُفسّر نوعاً ما التأثير الكبير لهذا العلوي على سكان المدينة، لدرجة أن الحاكم اعترف بعدم قدرته على إيقافه، وطلب من والده الحل. لقد كان اغتيالاً سرّياً حتى لا يولد انتفاضة شعبية.

لكنّ علويّاً آخر أثار منطقة دمشق^(٢)، وهو ابن الرضا المحسن ابن جعفر: حسيني رفع الراية العلوية ضد ابن كيغلاخ أيام الخليفة المقتدر. فقد حاول تأسيس دولة علوية مستغلاً الوضع. لكن الحاكم العباسي نجح في هزيمته سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، وحمل رأسه إلى بغداد وعُرض على الناس. مرّة أخرى، يُضاف شهيداً جديداً على لائحة الشهداء العلويين. لقد كان العلويون في غالب الوقت ضمن ظروف صعبة في الشام وخاصة دمشق. اضطهدهم الحُكّام كما الحال مع النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ/٨٣٠-٩١٥م) الذي دخل دمشق وبدأ بنشر التشيع، فضُرب وذهب إلى الرملة

(١) م. كرد علي: خطط ص ٢١٣ / Metz: الحضارة الإسلامية ص ٢٨٩.

(٢) مسعودي: مروج L 308 K: IV كرد علي: خطط L ٢١٢، زركلي: اعلام VI / ١٧٣.

حيث توفي (Metz): الحضارة الإسلامية: I / ١٢١).
كان الشيعة المحليون غير قادرين وحدهم على تأسيس
دولة شيعية ضمن جو من المنافسة المذهبية والصراعات
الاجتماعية، فبحسب طویل^(١)، حصلت محاولة لتوحيد
الاثني عشرين مع الاسماعيليين في عانة في بداية القرن
الرابع للهجرة. وقد ضم هذا التجمع علماء من بغداد وعانة
وحلب واللاذقية وجبل النصيرية، لكنه لم ينجح.
وبهاجس إضعاف الشيعة، ثبتت العباسيون حكماً
قساوة وأعداء للشيعة في منطقة حلب حيث عرف التشيع
نوعاً من النجاح. تلك كانت حال أبي قابوس الخراساني
(٣٠٢-٣١٢هـ/٩١٤-٩٢٤م) الذي كان «معادياً لآل
النبي»^(٢). وبمجرد أن يذكر ابن العديم هذا المظهر من
سياسة الحاكم، يمكننا أن نفكر بأن جزءاً من سكان حلب
وضواحيها كانوا شيعة، وبأن ذلك كان السبب وراء سياسة
أبي قابوس، وبدونها لن يكون لكلمة ابن العديم بالنسبة لآل
النبي أي معنى.
وكان لسوريا الجنوبية النوع نفسه من الحكام.

(١) طویل: العلويون / ٢٠٥.

(٢) ابن العديم: حلب ١ ص ٩٥.

فالإخشيدي حكم عمّان وجبل الشّراة والرملّة ودمشق. وفي السنة ٣١٩ هـ/٩٣١ م أرسلت حملات من حلب ضدّ التنوخيين داخل قلاع اللاذقية^(١). هل كانت هذه حملات ضد الشيعة بجبل النصيرية؟ مهما يكن فإنهم قاوموا، تساعدهم الامكانيات التي تُوفّر لها لهم مواقعهم الحصينة. ولكنهم في النهاية طلبوا الأمان. استفاد الاخشيديون من الوضع في سوريا، فقد حكموا أولاً باسم الطولونيين، ثم باسم العباسيين، ثم قرّروا أن يعملوا لحسابهم الخاص. أما التشيع الذي تمكّن من كسب جزء من الشّكان السوريين، فقد استطاع إظهار حضوره السياسي من خلال تأسيس إمارتين حمدانيتين.

٣- سوريا الاخشيديّة (٣٢٣-٣٥٧ هـ/٩٣٤-٩٦٧ م):

عرفت سوريا في هذه الفترة ثلاثة أنواع من الحكومات: الاخشيديّة، الرائيّة والحمدانيّة. أما الأولى والثانية، فيمكن تصنيفها ضمن سوريا السنية بينما سنعالج موضوع الثالثة في القسم الثاني.

أ- الاخشيديون: تبدو تجربة هؤلاء السياسيّة شبيهة

(١) ابن العديم: حلب ١ ص ٩٥ / طبّاخ: حلب ١ ص ٢٢٨

بتجربة الطولونيين: أسرة تركية بسطت سلطتها على الحكم في سوريا ومصر مستفيدة من ضعف العباسيين. فمحمد بن طغج (الذي أصبح لاحقاً الإخشيد) صار حاكماً لهاتين المنطقتين منذ السنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م من قبل الخليفة الرضي. ثم أنه أعلن الانفصال الإداري عن السلطة المركزية في بغداد بعد بعض التحضيرات. لم تختلف السياسة الإخشيدية تجاه الشيعة عن السياسة العباسية أو الطولونية. فالتحالف مع العباسيين والأتراك، الذين كانوا يؤلفون في ذلك الوقت الفرق الأكثر إخلاصاً للعباسيين، قادت الإخشيديين لأن يكونوا سنة، كما كل إخوانهم، وأن يمارسوا ضمن إطارهم سياسة ضد الشيعة^(١). لكن الوضع المحلي في القرن الرابع للهجرة، أملى عليهم الإعراف بالشيعة كممثلين وحيدين لآل النبي، واحترام السادة (الأشراف)^(٢).

إذا نحن قبلنا رواية المؤرخ المسعودي، القائلة أن دُعَاة إسماعيليين تركوا الضواحي الجنوبية لبحر قزوين للاستقرار في سوريا تحت حماية إخشيدية مصر، هرباً

(١) طویل: العلویون / ٢١٧.

(٢) A. metz: الحضارة الإسلامية: ١ / ٢٨٨-٢٨٩.

من البويهيين الإمامية، فإننا نرى كيف تكيف الاخشيدون ابتغاءً التقرب من غالبية رعاياهم من الشيعة، الذين باتوا الآن أكثر عدداً من السنة.

ماذا عن السياسة القبليّة للأخشيديين؟

نعرف القليل عن السياسة القبليّة للأخشيديين. من الثابت أنّ محمد بن طعج توجّب عليه الاعتماد على كلابي حلب، قبل إعلان انفصاله عن الحكومة المركزية، ليكونوا سنداً في حراكه السياسي. فأعلن أحمد بن سعيد بن عباس الكلابي قائد الكلابيين والياً عليها. ماوّل سيلاً بشرياً قادماً من نجد من هذه القبيلة ^(١) نحو سوريا الشمالية (المعرّة وغيرها). ولكنّه في الوقت الذي كان يتقرب من الكلابيين ^(٢)، فإنّه فقد يمانبي سوريا الجنوبية، بينما كان والياً عباسياً على عمّان وجبل الشراة ^(٣).

أين كان الحضور الشيعي في سوريا آنذاك؟

يمكن أن نجيب ولكن من زاويتين.

- لا يمكن مطلقاً أن ندقق في الجزيرة من زاوية التاريخ

(١) ابن العديم: حلب: ٩٨-٩٩، sguvaget: art. ٩٩، حلب ٢: ١٩٦٥ E.I. III / ٨٧-٩٢.

(٢) كان ذلك جزءاً من السياسة الاخشيدية أن يعتمدوا على قبيلة كبيرة وإن كان خلاصتها للتسكن

موضع نقاش: حلب: ١ / ٢٤٩.

(٣) محمد كرد علي: ختلط L ٢١٣١..

الإخشيدي في الوقت الذي ظلَّت فيه سوريا الشمالية إخشيدية حتى السنة ٣٢٨هـ/٣٢٩م، تاريخ احتلال ابن رائق لهذه المنطقة. وبعد موته كانت سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م حاسمة، فقد أكمل الحمدانيون الغزو وأسَّسوا إمارتهم الثانية في حلب بعد الموصل. هكذا بدأت الجزيرة كما سوريا الشمالية تأخذ موقعها في التاريخ الحمداني: الأولى بعد ٣٢٤ هـ، والثانية بعد ٣٣٣ هـ.

٢- انتقل القسم الباقي من سوريا الذي كان إخشيدياً خالصاً، أكثر من مرّة إلى يدي ابن رائق ثم سيف الدولة الحمداني.

كان الحضور الشيعي في تلك الفترة مُهملاً. فلم يذكره الاصطخري (المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م)^(١) مع أنه كرخي (شيعي؟)^(٢). ومع أنه تحدّث عن حوالي ستين منطقة في سوريا والجزيرة، وذكر نصاري في نصيبين وقَدَس وتكريت، هاشميين وأمويين وعرباً في بعض المُدن. ما خلا ذلك، فقد تحدث عن المياه الجارية والمُدن الكبيرة

(١) اصطخري: مسالك: ص ٤٢-٥٥.

(٢) نسبة للكرخ الحي الشيعي في بغداد.

والكنائس والمساجد والأشجار والبحيرات وأشجار النخيل والقلاع.

كان الشيعة موجودين في ذلك العصر، خصوصاً في مواطن انتشارهم الرئيسية في مُدُن الساحل الغربي على المُتوسّط. فقد ذكرهم الأمين في صيدا وصور وطرابلس^(١). فسوريا في ذلك العصر كانت قد تحوّلت، وسكانها شكّلوا مروحةً من المذاهب الشيعية: الإسماعيلية والقرمطية والعقيدة الاثنى عشرية. ولكنهم استمروا بالتنكر عملاً بالتقية، بانتظار الوقت المناسب الذي يكونون فيه من القوة بما يكفي لرمي أفعتهم ويظهروا وجوههم الحقيقية. وهذا ما فعلوه تماماً مع وصول أشقائهم الحمدانيين^(٢)، وبالأدقّ الفاطميين. لأنّ الشيعة في المناطق الخاضعة للحكومات السنية (سوريا الجنوبية والوسطى) أبدوا في تلك الفترة رضياً أكثر من الآخرين.

حصر القرامطة عملهم في شبه الجزيرة العربية

(١) م. الأمين: أعيان جزء II ص ٢٥٨.

(٢) لم يكن هكذا حال معظم الدمشقيين. فالحمدانيون كان لهم مؤيدون في المدينة، لكن الغالبية كانت سنية ومعادية للحمدانيين ما منع سيف الدولة من السيطرة على المدينة "نزولاً عند رغبة سكانها" واستعاد حلب مرتين سنة ٣٢٣ هـ. ٣٢٥ هـ: ابن العديم: حلب I / ١١٤ و ١١٧، أبو الفدا: مختصر II / ٩٥ / canard: تاريخ السلالة: I / ٥٨٢ / اثير: الكامل VI (A) / ٣١٢.

والعراق^(١). كما حاولوا سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م أخذ الكوفة، فسيطروا على الأنبار، وهدّوا العاصمة بغداد. وعملوا بالتزامن والتنسيق مع الفاطميين^(٢)، ابتغاء ترك العباسيين بوضعهم الضعيف، والهجوم على الأخشيدين، وأيضاً تسهياً على الفاطميين احتلال مناطقهم. ولم يبدأ الهجوم الكبير على سوريا إلا في نهاية تلك الفترة، وقد انتهى بتحقيق المخطط السياسي الفاطمي بتمامه^(٣). بعد تحقيق هذا الدور أخذ القرامطة منحى آخر داخل منطقة شاسعة لم تكن ملائمة لهم: (الفاطميون، البويهيون، الحمدانيون).
في السنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م احتل الفاطميون مناطق الاخشيديين، وبذلك وضعوا حداً لتأرجح سوريا بين العقيدة الشيعية والحضور السياسي السني.

ب- حقبة ابن رائق^(٤) (٣٢٨-٣٣٠هـ / ٩٣٩-٩٤١م):
سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٩م، استغل محمد بن رائق، وهو ضابط غير عربي، ظلم بعض عناصر المجتمع، وكان الشيعة على

(١) أثير: الكامل VI (A) / ١٨٦ - ١٨٧.

(٢) اعاد القرامطة الحجر الأسود بعد تدخل الخليفة الفاطمي المنصور.

(٣) م. كرد علي: خطط: I / ٢٢٤.

(٤) أثير: الكامل VI (B) / ٢٧٣ - ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، إبن العديم: حلب I: / ١١٠ - ١٠٢،

طباخ: حلب: I / ٢٤٣، حتي: سوريا: II / ١٩١ - ١٩٢، زركلي: اعلام: VI / ٢٨٥.

رأسهم، ليتخذ أمين سر له هو الحسين بن علي النوبختي. ونجح في أن يُسمي نفسه أميراً مطلقاً. ثم أرسل حاكماً عباسياً على الجزيرة. مُتوجساً من تغيّر الخليفة الراضي نحوه، ووثاقاً من رعيته المعادين للعباسيين والمعادين للسنة. حاول مدّ سيطرته على سوريا ابتغاء تأسيس دولة خاصة به.

احتلّ ابن رائق حمص وحلب ودمشق والرملة ووصل إلى عريش مصر. وفشل الإخشيد في محاولته إيقافه، فتصالح معه تاركاً له كل منطقة سوريا فوق الرملة.

بحسب الشيعة والعلويين منهم بالأخص، صار ابن رائق حاكماً، فانتهج سياسة مُقرّبة من الشيعة، ومن ذلك أنه عين بدر بن عمار حاكماً على طرابلس. لقد كان حكم ابن رائق الخطوة الأولى في سوريا على طريق الحرية المذهبية. وكانت طرابلس مركزاً شيعياً مهماً في ذلك الأوان^(١). هكذا، فإنه بغياب السلطة المركزية القاهرة، ومع الثقة التامة بحاجة الحكام الانفصاليين المغامرين لدعمهم الذي لا غنى لهم عنه، بدأ الشيعة في سوريا

(١) الطويل: علويون / ٢٧٢.

بالإعلان عن أنفسهم دون خوفٍ من الاضطهاد. تحاشى الخليفة نتائج سياسة ابن رائق وتقرّب منه. لكن قوةً أخرى ناشئة عزلته لبقى الداعم الوحيد لبغداد. فقد قتل الحمدانيون ابن رائق لعدم الثقة به، وتحصّروا للمبارزة مع الاخشيديين حول سوريا. احتل سيف الدولة حلب وحمص ودمشق ولكن لعدم قدرته على المحافظة على دمشق اكتفى بسوريا الشمالية.

هكذا كانت الأجواء التي تشكّلت فيها أول حالة سياسية شيعية في سوريا. إنها بداية الانتصار السياسي للإيديولوجيا الشيعية في قلب الإسلام. كان هذا العصر عصر التفوق للتشيع: فسوريا، كما عدّة مناطق أخرى اجتاحتها هذا المذهب ومجموعاته. كان الاخشيديون مطوّقين من القرامطة حتى الشرق، والفاطميين من الغرب، والحمدانيين من الشمال. حتى بغداد كانت تحت تأثير العائلة الحمدانية بعد اغتيال ابن رائق. ثم جاء البويهيون سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. ها إن تاريخ سوريا الشيعية سياسياً قد بدأ، ولدراسته سوف نبدأ بسوريا الشمالية والجزيرة الحمدانية التي تمّت السيطرة عليها قبل عشرين سنة من بقية البلاد، ثم نتابع مع الفاطميين.





سوريّا الشيعيّة





الحمدانيون

١ - التغلبيون:

كَوّن التغلبيون مع بكر وتّوخ القبائل العربيّة النصرانيّة التي سكنت بلاد ما بين النهرين قبل الفتح العربي^(١). بعد الفتح، تبنت الحكومة المركزيّة تجاههم سياسة أسلمة عدوانية، وإسكان عرب آخرين قيسيين في مناطقهم في الجزيرة.

حاول التغلبيون عدة مرات رفض الخضوع لهذه السياسة، إنّ عبّر الدخول إلى بلاد الروم، أو عبر الإعلان عن سياسة مناهضة للإسلام^(٢). على عهد عمر، حصلت مُصالحة. وعاد التغلبيون إلى ديارهم بدون أن يلعبوا دوراً كبيراً أثناء الحكم الراشدي ثم الأموي حتى نهاية مجيء الإمام الحادي عشر عند الاثنى عشرين.

(١) الطبري: أخبار III / ٤٢٩ / H. Iammens : حكم معاوية / ٢٩٦، ٢٩٧، ٤٣٥.

(٢) وإن يكن مسلماً، ظل زعيم التغلبيين في الكوفة يشرب الخمر: Iammens : معاوية / ٢٩٧.

منذ النصف الثاني للقرن الثالث للهجرة، بدأ تغلبو الجزيرة، وعلى رأسهم بنو حمدان، بإظهار حضورهم دون تبني خط واضح في سياستهم.

كانت الجزيرة حتى هذا الوقت عباسية، وإن كانت سوريا طولونية. وكان الحمدانيون مرةً مناهضين للخوارج، ومرةً معهم، ثم مؤيدين للعباسيين ضد القرامطة. وتكيفوا جيداً مع المناخ في منطقتهم كما في بغداد. ودخولهم الفعّال في تاريخ منطقتنا لم يُضبط إلا سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، بعد اعتراف الخليفة بحسن بن حمدان أميراً على الموصل وديار بكر ومُضر، أي على كل الجزيرة. وأمتدت سلطته من دجلة إلى الفرات ومن الموصل إلى الرقة. كان على الحمدانيين التضحية كثيراً لكسب الجزيرة، وجهودهم وآراؤهم ضمن محاولات التهدة الغربية تُظهرُ تشيّعهم المتباين والمصنف «بالمعتدل»

بدأت الجزيرة، التي تلقت الحصّة الأكبر من التحولات منذ العهد الأموي، المنطقة الأولى التي تمكن فيها التشيع من مدّ جذوره وتأسيس أول بُنية سياسية شيعية.

٢- الحمدانيون: شيعة؟

يصنّف عدد كبير من المؤرخين الحمدانيين على أنهم شيعة: يصنف ابن الأثير حسين بن حمدان كشيوعي ناشط وكداعم لعلي وآله^(١). وبالنسبة لآدم مِتَز^(٢) كان الحمدانيون أول أسرة شيعية تدخلت بشؤون بغداد. وبالنسبة لماسينيون، حتّي، محمد كُرد علي، طبّاخ و كانار، فالحمدانيون شيعة محافظون معتدلون^(٣). هذا بمعنى من المعاني التشيع الاثنى عشري المثبت جيداً وليس التشيع القبلي السطحي. يمكن إظهار التشيع الحمداني من خلال تحليل التاريخ الحمداني، هنا نتساءل لماذا صنّفوا كشيعة؟

٣- محاولة للبحث في تاريخهم القبلي.

يسمح بحثٌ على السياسة القبليّة للحمدانيين أجراه ابن العديم، ومحمد كُرد علي و كانار، بإهمال فكرة تطبيق العموميّة المُثبتة في القسم الأول، لكون الجزيرة تفلّت من أيّ تعميم. بالرغم من كونها مسكونةً بغالبية قيسية، فطابعها السياسي معقّد جدّاً، ونجدُ فيها كل شيء: سُنّة،

(١) اثير: كامل VI (A) ص ١٢٢

(٢) A. Metz: الحضارة الاسلامية I ص ١٣٦ و ٢٨٩.

(٣) م. كرد علي: خملط I ص ٢١٨، طبّاخ: حلب I ص ٢٧٩ - ٢٨٠، ف. حتّي: سوريا II ص ١٩٤.

خوارج، قرامطة، وكثير من الأفكار التي كانت موجودة ولكن مكتومة. كل هذا التنوع في الأفكار والنشاطات كان متجذراً عند قيسي الجزيرة.

تُثبت الصورة التي رسمها كانار عن سكان الجزيرة في القرن العاشر^(١) أنّ الجزيرة كانت، كما تُشير أسماء الديار الثلاثة، قيسيّة بكاملها. تسرّب اليمانيون من جهة العراق. فقد ذُكروا في البوازج وحديثة والموصل. بينما كانت باقي القبائل قيسية وعلى رأسها كلاب وتغلب. كانت كلاب الأكثر قوة وعدداً^(٢)، وكان إسم عرب يشير إليها^(٣). وقد ساهمت في معظم حركات المنطقة في هذا العصر، متأرجحة بين مختلف الأحزاب المتخاصمة، محاولين السيطرة على السلطة، فخورين وواثقين بأن تلمّسهم لن يُرتّب عليهم أي نتيجة خطيرة في ظل غياب مجموعة تغلبية متماسكة أو أي مجموعة أخرى ممكن أن تكون داعمة للحكام الحمدانيين^(٤). كانت سياسة شيعية نموذجية بامتياز، مُستوحاة من التقية وممارسة فنّ التهرّب من الخطر.

(١) Canard: تاريخ السلالة: ١ / ١٢١-١٤٢ و ٢٣٥-٢٤٠.

(٢) كحالة: قبائل: ٣ / ٩٨٩.

(٣) ابن العديم: حلب: ١ / ٢٠٧.

(٤) كانار: تاريخ السلالة / ٥٧٦.

في سوريا الشمالية يمكن أن نفهم الجناح اليماني للتشيع، المقاطعات الساحلية المشتملة على جبل النصيرية وجانبي نهر العاصي التي كانت تؤلف منطقة شيعية بامتياز في ذلك الوقت^(١). كذلك مُدُن حمص وحماة والمنطقة الممتدة من تدمر إلى السلمية ضمناً. كل هذه المناطق كانت يمانية (كلب، تنوخ، بهراء، طيء) وعلى رأسها كلب وتنوخ. احتل القيسيون الذين كانوا موجودين في المنطقة، شرقاً وشمالاً شرق المنطقة، أي المناطق التي كانت على احتكاكٍ مع ديار مضر.

بحثٌ بسيطٌ في السياسة القبليّة الحمدانية تسمح باستخلاص أمرين:

– الأول: المساهمة اليمانية الضعيفة في تاريخ الحمدانيين. فيما يتعلق بعدد القبائل، وكذلك عدد حالات المساهمة، يُشار إلى أربعة قبائل يمانية (كلب، طيء، بهراء، بجيلة). يمكن أن نذكر خمس مساهمات لكلب، ثلاث لطيء، وواحدة لكل من بجيلة وبهراء. للتبسيط^(٢) يمكن أن نذكر عشر مساهمات يمانية.

(١) سوف نأتي على هذه المسألة لاحقاً في هذا القسم.

(٢) يأتي التبسيط من كون عدة قبائل قد ساهمت في نفس الوقت بذات الانتفاء.

بالمقابل يمكن أن نصل إلى خلاصة أخرى.

– الثاني: مساهمة نشيطة في الحياة السياسية، أو بالأحرى العسكرية، في سوريا، من قبَل القبائل القيسية.

اثنا عشر قبيلة ساهمت بذلك: (عُقيل، نمير، كلاب، تغلب، شيبان، عامر بن صعصعة، سليم، أسد، تميم، كعب، قشير، تغلبة، ضبّه بن أدّ، حبيب وعجلان). يمكن أن نذكر بعد التبسيط

ثمانية عشرة مساهمة كلبية، بينها واحدة قرمطية، وخيانتان، وانتقال من جانب إلى آخر.

– ثماني مساهمات نُميريّة.

مهما يكن، فقد كان المجال حُرّاً للقيسين في هذه المرحلة من تاريخ سوريا، فانتقلوا إلى الثورة عندما احسّوا بأنهم مسحوقون من قبل التفوّق العددي التغلبي أو الكلبي. جهد الحمدانيون من خلال سياسة علاقة القوّة، بالاعتماد على كلاب وعُقيل في الجزيرة، وعلى كلب وتنوخ عندما كان الأمر يتعلّق بسوريا الشمالية.

بعد خمس وسبعين سنة من النجاح في هذه السياسة، صارت سوريا إرث ثلاثة قبائل كبيرة: عُقيل في الجزيرة،

كلاب في سوريا الشمالية، طيء في فلسطين.

٤- التشيع في العصر الحمداني.

إن تشيع الحمدانيين كان مسألة واضحة جداً بحيث لا تحتاج إلى تجشّم دليل وبرهان لدى غالبية المؤرخين والكتّاب الشيعة. ولكنّها لم تُعالج بجدّيّة حتى الآن، بوصفها إشكاليّة حقيقيّة إلا على يد Horovitz^(١).

لذلك سوف تحتل هذه المسألة اهتمامنا في هذا القسم. وسوف نحاول استظهارها (الإشكاليّة) بما تدلّ عليه المظاهر والمواقف السياسية المؤيدة للشيعة عند الحمدانيين قبل وبعد تأسيس إمارتي الموصل وحلب.

أ- قبل تأسيس الإماراتين (قبل ٣٢٤ هـ/٩٣٥ م).

يمكن أن نذكر في هذه المرحلة، بعد التّأرجح السياسي للحمدانيين، موقفاً تجاه القرامطة، وإن كُنّا غير متأكّدين حتى الآن من تشييعهم. في سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٥ م أباد الحسين بن حمدان الجيوش القرمطية، واستمرّ ابنه أبو الهيجاء في خدمة العباسيين، فسجنه القرامطة ثم أطلقوه. يمكن لعدة اثباتات نراها في تاريخ هذه الفترة أن تساهم

(١) Josed HOROVITZ : الحمدانيون والشيعة II ١٩١١ ص ٤٠٩-٤١١.

في توضيح العقيدة الحمدانية. وسنقف الآن على سيرتي رجلين من الأسرة الحمدانية، كلاهما من فترة ما قبل تأسيس الإماراتين الحمدانيتين، في الموصل ثم في حلب.

ب- الحسين بن حمدان الحمداني (ت: سنة ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م)
- موقفه من قضية ابن المعتز: وقف الحسين بن حمدان إلى جانب ابن المعتز المعادي للعلويين^(١).

هذا الموقف المتخذ منه يُطلق تساؤلات من قبل ابن الأثير^(٢) ومِتر^(٣). وبحسب كانار^(٤) كان ذلك خياراً بين الحداثة والليبرالية عند ابن المعتز ووزرائه من بني الفرات. فخياره كان سياسياً بين رؤيتين للحكم، وطريقتين متناقضتين للإدارة. هذه القضية التي لا علاقة للتشيع بها يمكن لها على العكس أن تضعه على الخط.

من خلال السياسة التي اتبعتها في هذا النطاق الحرج، يمكن أن نتساءل: لماذا تأمر؟ ثم لماذا ترك المتأمرين مباشرة بعد الضوء الأخضر للعمليات؟ كيف ولماذا عاد

(١) وحدت هذه القضية السنة بشكل عام (حسين بن قاسم البربهاري مقدم السنة وبالأخص الحنبلين: أثير: كامل VI: (A) / ١٢١-١٢٢).

(٢) أثير: كامل VI: (A) / ١٢٢.

(٣) Metz: الحضارة الإسلامية: I / ١٣٦.

(٤) M.canard: تاريخ السلالة: I / ٣٣٠.

بسرعة مع الأمان إلى القصر؟ هل دخل في صفوف المتآمرين لتشجيعهم بهدف كشفهم خدمة لميوله الشيعية؟

- حُكِمَ منطقة شيعية^(١): أُلِمَ تُشكَّلَ عودته إلى بغداد، حيث كان قد كُلف من قبل بحكم مدينتي قم وكاشان (مدينتان شيعيتان في إيران) جزءاً من دوره في المؤامرة؟

- إعدامه: يؤكد سبب إعدامه المُعلن ميوله الشيعية. فقد أُتهم بتحضير مؤامرة شيعية مع ابن الفرات وابن أبي السَّاج.

على أننا لا نملك أجوبة قاطعة على هذه الأسئلة، مما يؤدي إلى استحالة إثبات تشييعه.

ج- أبو الهيجاء الحمداني (ت: سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م)

أما بالنسبة لأبي الهيجاء، فإنه يمكن لبعض الاستنتاجات أن تعكس تعاطفه الشيعي^(٢). من ذلك:

- ترميمه ضريح الامام علي في الكوفة. لقد تم هذا العمل في الفترة التي كان يُشرف أثناءها على الطريق من الكوفة إلى مكة.

(١) اثير كامل VI: (A) / ١٢٥، ٣٥١.

(٢) M.canard: تاريخ السلالة I ص ٣٥٤ و ٣٥٧.

- علاقاته مع القرامطة. مع أنه قاتل القرامطة، فقد اقام علاقات جيدة معهم بعد أسره، ممّا قاد إلى تحرير حجاج أسرى^(١)، وانقاذ الجيش القرمطي الذي جاء لمحاصرة بغداد، وذلك بمنع إلتقائه مع جيش الخليفة الأكثر عدّة وعدداً^(٢).

- توزيع ١٠٠٠٠ دينار على العلويين والفقراء^(٣).

- قمع الحركات الخوارجية في مناطق جنوب ووسط الجزيرة^(٤).

كانت هذه بعض المظاهر التي يكمن أن توضح العقيدة الحمدانية قبل تأسيس الإمارات بقليل.

التشيّع في إمارتي الموصل (٣٢٤-٣٧٠هـ -/٩٣٥-٩٨٠م) وحلب (٣٣٣-٤٠٦هـ/٩٤٤-١٠١٦م):

نتوقع أن نجد في هذه الفترة إثباتات أكثر وضوحاً على تشيّع الحمدانيين، لأنّ أمراء الإمارات قد باتوا الآن متمكنين من إظهار عقيدتهم بعيداً عن أيّ ضغط مباشر وقريب. ضمن إطار خاص بهم أصبح بمعنى ما إقطاعاً لأسرتهم.

(١) انظر: كامل (VI). A) ص ١٧٧، ١٨٠.

(٢) نفسه ص ١٨٧.

(٣) Canard I ص ٢٧٠.

(٤) نفسه ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

كان الحمدانيون حتى الآن قليلي الثقة بأفكارهم الخاصة [لم نفهم المقصود بـ «أفكارهم الخاصة» حين يكون الكلام عن الحمدانيين في هذه المرحلة المبكرة الغامضة من تاريخهم. ثم ما معنى «قليلي الثقة»؟ (المهاجر)]. وقد حاولوا تحقيق بقائهم والاستفادة جيداً من التناقضات الكبيرة الموجودة على الصعيد الاجتماعي أو المذهبي ابتغاء السيطرة على السلطة. وقد وضع وصول البويهيين حداً لهذه اللعبة، وحمل الحمدانيين على التمرّكز جغرافياً وعقائدياً. لقد حاولوا حتى الآن إخفاء هويتهم العقائدية، وقد ثبت ذلك بشكل غير مباشر لدى كانار حين صرّح متحدّثاً عن وصول البويهيين: «باتت إمارة الخلفاء لأول مرة بين يدي فارسيّ شيعيّ مُعلن»^(١).

هـ- تشييع حمدانيي الموصل:

- أ- ناصر الدولة حسن (المتوفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م).
- تتوفّر الأدلّة بنحو كافٍ على تشييعه. من ذلك:
- وجود قرامطة في جيشه، بالإضافة إلى التفاهم بين القرامطة والحمدانيين ضدّ مُعرّز الدولة، الذي ما أن

(١) Canard: I / ٥١٢.

- أصبح في بغداد حتى أتبع سياسة عباسية مع القرامطة^(١).
- المساعدة البويهية التي قُدِّمت لهم عند كل مرة وجدوا فيها أنفسهم بحال صراع مع القسم التركي من جيشه. كذلك ذكر اسم الأمراء البويهيين في خطبة الصلاة^(٢).
- إرسال الطحين إلى بغداد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م، ابتغاء توزيعه على العلويين والفقراء في سامرا^(٣).
- الدور الذي لعبه الأشراف العلويون القادمون من بغداد، حاملين اقتراحات سلام من قبل الحمدانيين لأعدائهم سنة ٣٥٣هـ / ٩٦٤م^(٤).
- الدعم الذي قُدِّمته له الأوساط الشيعية أو ذوات الميول الشيعية المهمة جداً في بغداد سنة ٣٢٧هـ^(٥).
- تصاحب هذا الدعم الهام مع دعم حمداني للشيعة والمتطرفين منهم في بغداد أثناء الحروب الأهلية الدينية سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م^(٦).
- وجود عملة (درهم) مسكوكة من قبل ناصر الدولة

(١) نفسه / ٥١٧، ٥٣٢.

(٢) Canard: تاريخ / ٥١٧، ٥٢٠، زركلي: أعلام II / ٢١٠.

(٣) نفسه: ص ٤٠٤.

(٤) نفسه: ص ٥٣٠ / اثير: كامل VIII (B) / ٤٠٧.

(٥) Canard: ص ٤١٨.

(٦) نفسه: / ٤٤٦.

حسن. وهي موجودة الآن ضمن مجموعة العملات الحمدانية في جامعة بطرسبورغ^(١) في روسيا، تعكس الكتابات على وجهيها بلا أدنى ريب تشييع ناصر الدولة:

| الوجه الأول | الوجه الثاني |
|-----------------|--------------|
| لا إله إلا الله | محمد |
| المطيع لله | رسول الله |
| ناصر الدولة | علي ولي الله |

الجملة الأخيرة من الوجه الثاني هي الأكثر أهمية من حيث أنها تكرّر عبارة شيعية أنموذجية في ولاية علي (علي ولي الله). ولكن إن كانت قطعة العملة هذه توضح تشييع ناصر الدولة، فإن ابن الأثير^(٢) أتى ليضيف عملة مسكوكة سنة ٣٣١ هـ من قبل الحمداني نفسه في بغداد باسم المتقي. لكن هذا الفعل يمكن أن يكون مبرراً بوجود ناصر الدين في العاصمة.

(١) Horovitz J. الحمدانيون: ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) أثير: كامل VIII (B) ص ٤٥٤.

- الصلاة على جثمانه في تل توبة، أذاها علوي هو ابن حمزة^(١).

ب- أبو تغلب (المتوفي سنة ٣٦٩ هـ/ ٩٧٩ م):

- أقام أبو تغلب علاقات جيدة مع سلطتين شيعيتين في عصره: غومل القرامطة بشكل جيد، وتلقوا هداياه سنة ٣٥٨ هـ^(٢)، ولم يمنعوا من المرور في مناطق الحمدانيين لقتال أعدائهم^(٣). وكانت علاقاته مع البويهيين جيدة أيضاً. يمكن أن يظهر ذلك بالمصاهرة السياسية^(٤) بين الأسرتين^(٥)، كذلك بالتدخل البويهي ابتغاء تهدئة الخلافات بين الأخوة الحمدانيين^(٦).

- إرسال مستشار وكبير العلويين في بغداد أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي، أبو العلويين المعروفين جيداً لدى البويهيين، الشاعر الشريف الرضي وأخوه الكلامي والفقيه السيد المرتضى، إلى الحمدانيين ليلعب

(١) Canard I ص ٥٣٩.

(٢) نفسه ص ٥٤٤.

(٣) Canard ص ٥٤٧.

(٤) عقد أبو تغلب على ابنة بختيار وهي في السنة الثالثة من عمرها فقط.

(٥) أثير: كامل VIII (B) ص ٦١٧ / Canard I ص ٥٥٤.

(٦) أثير: كامل VIII (B) ص ٥٩٤ / Canard ص ٥٤٤-٥٤٥.

دوره ويمارس تأثيره ابتغاء حل مشاكلهم^(١). يُتهم مستشار العلويين بانه مُقرّب جداً من العباسيين، لأنّه كان يُلقي الخطبة باسم الخليفة المُعطي خارج بغداد، في الوقت الذي كانت المدينة فيه فاطمية^(٢). ولكن يجب ألا ننسى الصراع الاسماعيلي - الاثنى عشري، الذي حاول مواجهة خليفة القاهرة والشك بنسبه إلى آل النبي^(٣)، واختبائه وراء الخليفة النظري في بغداد، مع ممارسته كل أشكال التأثير الاثنى عشري^(٤). كان المستشار شيعياً بدون ريب، وموقفه تجاه الوزير السُني أبي الفضل سنة ٣٦١ هـ، المسؤول عن حريق الكرخ، كان واضحاً جداً^(٥).

لا يمكن أن نطلب مظاهر أكثر دلالة على التشيع من أمراء الموصل الحمدانيين، في عصر كان التشيع فيه مجموعة أفكار سياسية دينية تستهدف الخليفة في بغداد. لقد جهد حمدانيو الموصل في تخفيف جرعات تعاطفهم مع

(١) نفسه ص ٦٣٤ / نفسه ص ٥٤٥.

(٢) نفسه ص ٦١٢.

(٣) أنير: الكامل VI ص ٢٣٦، ٥٩١.

(٤) نفسه VIII ص ٤٥٢.

(٥) نفسه VIII ص ٦١٩، ٦٢٨ - ٦٢٩.

الشيعة، وأيضاً في تخفيف مظاهر عدائهم للسلطة المركزية. وتُثبت مظاهرات الفرّج من قِبَل جماهير بغداد السُنية عند وصول أبي تغلب لحصار المدينة ^(١) التشيع المعتدل عند الحمدانيين مقابل تشيع البويهيين.

إذا كانت بعض مظاهر العلاقات بين البويهيين والحمدانيين تُنكر أو تُخفي العقيدة الحمدانية، فإنه يجب علينا فهم أن الصّراع بين الاثنى عشريين قد أخذ أبعاده العادية، ضمن إطار علاقات المصالح والاقتصاد، ممّا يمكن أن يواجه أيّ حاكم مركزيّ مع أميرٍ تحت سلطته.

من خلال التاريخ الحمداني نستظهر أنّ المسألة الماليّة كانت من الأسباب الرئيسية للصّراع بينهم وبين بغداد على اختلاف عهودها تركية أم دلمية. لعدّة مرّات كان يتوجب على الحمدانيين الهروب من الموصل إلى نصيبين أو إلى أيّ مدينة أخرى من مُدن الجزيرة أمام الغارات التي كانت تُشنّ عليهم بسبب عدم تسديدهم للمساهمة المفروضة عليهم في خزينة الدولة ^(٢). لكن أسباباً أخرى تُضاف إلى هذا السبب الأساسي:

(١) Canard تاريخ السلالة ص ٥٥٧.

(٢) أثير الكامل VIII (B) ص ٣٥٣، ٤٧٧، ٥٢٠، ٥٢٢ / canard ص ٥٢٠.

- ١- الصراع على الإمارة المُطلقة في بغداد.
 - ٢- تحدّي الحمدانيين من قِبَل عناصر تركية في جيشهم على سبيل الثأر للديلم.
 - ٣- إثارة البويهيين من قبل الحمدانيين في بغداد، ضد إخوتهم في الجزيرة.
 - ٤- محاولة البويهيين إبعاد الحمدانيين عن إمارتهم من أجل تهدئة بويهيّ كان يُطالب بإمارة بغداد سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م.
- مهما يكن، فإن التشييع أو التعاطف الشيعي عند حمدانيي الموصل كان معتدلاً. ولم يدعوا أنفسهم ينجروُن وراء التعصّب الديني على حساب طموحهم ومستقبلهم السياسي.

- ٦- تشييع إمارة الموصل في العصر الحمداني:
- نتوقع الحصول على وثائق عن وجود الشيعة في الجزيرة (بلاد ما بين النهرين العليا). فالمصادر الجغرافية - التاريخية عن هذا العصر غزيرة جداً. وهي العمل الأساسي لابن حوقل والمقدسي.
- يعطينا ابنُ حوقل المتوفى بعد السنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م،

الذي بدأ عمله سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م، ومرّ بالجزيرة سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م، عدّة أنواع من الوثائق^(١): الجغرافية، الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية، وأخرى عن الغنى والجمال. أخذنا علماً عن نصيبين، الموصل، برقييد، سنّ، بوازج، تكريت، قدس. بالإضافة إلى معلومات مختلفة من دون الغوص بمسألة التشيع بأي شكل، كما ذكر النصارى في نصيبين و تكريت و قدس^(٢).

لكنّ الوثائق المتوفرة تدعّنا نستنتج آثار تشيع في منطقتين: الموصل والبوازج.

في الموصل^(٣)، كان السكان عرباً، غالبيتهم من مهاجري الكوفة والبصرة. فقد هرب هؤلاء المهاجرون من العراق وسوريا خلال عدة عصور. نُشير لأهمية هذه الهجرة في تسرّب عناصر شيعية بالدرجة الأولى. من المحتمل أن يكون بين سكان الموصل عناصر شيعية في ذلك الوقت. وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك بالبحث عن شيعتنا،

(١) حوقل: صورة ١ ص ٢٠١-٢٢٤.

(٢) نفسه: ١ ص ٢٠٩.

(٣) نفسه: ١ ص ٢٠٩.

فإن أكراد الموصل^(١) يؤكدون حضورهم^(٢).
 كان التشيع يضم الفقراء بشكل عام. ويمكن لهذه الفكرة
 أن تسمح لنا أن نستعين بوثائق ابن حوقل الاجتماعية لتثبيت
 وجود شيعة بين سكان الموصل. فإذا اتبّعنا السياسة
 الاجتماعية للحمدانيين قبل وبعد تأسيس إمارة الموصل،
 من توزيع أموال وإعاشات لعدّة مرّات على العلويين
 والفقراء^(٣)، كذلك إخلاص سكان المدينة للحمدانيين
 في المواقف التي كانت موقع انتقاد^(٤)، كل هذا، مضافاً
 إلى معطيات ابن حوقل حول قسوة الحمدانيين على
 الرأسماليين والنبلاء في الموصل من بني فهد وعمران^(٥)،
 يسمح لنا بالاستنتاج أن التشيع القوي جداً في الموصل،
 الذي كان يشمل الغالبية الشيعية ذات المصلحة بوجود
 الحمدانيين، الذين عاملوا رعاياهم بالحسنى، والذين كانوا
 مستعدين للتصدي للحكومة المركزية كلّ مرة تخطّت فيه
 هذه الأخيرة حدود الاستغلال المالي، لم يمنع هذا التعارض

(١) نفسه: ١ ص ٢٠٩.

(٢) كان يوجد أكراد شيعية منذ أيام الإمام الرضى (ع)، وكانوا على اطلاع على القصائد التي
 قيلت بأهل البيت: المجلسي: بحار: مجلد ٩ ص ٢٤٣.

(٣) Canard: I ص ٢٧٠، ٤٠٤.

(٤) نفسه: ١ ص ٤١٩ - ٥٧٣.

(٥) حوقل: صورة ١ ص ٢٠٩.

الحمدانيين من إرسال هدايا إلى بغداد للعلويين وإلى الكُتل الشيعية.

أما بالنسبة لبوازج، فقد كانت الموصل، على حدّ عبارة ابن حوقل «مسكونة من قبل مُنْشِقِينَ»^(١)، مما يدعنا نشكّ، على الأقل، بوجود شيعيّ فيها، حيث أن التشيع يشكل دائماً جزءاً من الانشقاقات في الإسلام.

يقول المقدسي أن سكان الجزيرة كانوا سُنَّة: أحنافا وشافعيين وقليل من الحنابلة. وأشار إلى الشيعة في زُبيد مثلاً، ومعتزلة في عانة^(٢).

أشار مؤرخون آخرون مُتعدّدون إلى وجود شيعة في منطقة الموصل. وبالنسبة للطويل، فإن الموصل كما ديار بكر والعواصم كانت بغالبيتها علويّة^(٣). أمّا الموسوي الأصفهاني^(٤) فإنه يُعمّم قائلاً أنّ غالبية سكان المنطقة في عصر الحمدانيين كانوا شيعة. والمسجد المبنى من قبل الحمدانيين في الموصل^(٥) بجانب ضريح أحد أصحاب

(١) حوقل: ١ ص ٢١٩.

(٢) مقدسي: تقاسيم A.B.C ص ١٤٢.

(٣) طويل: علويون ص ٢٥٣.

(٤) أصفهاني: ودیعة ص ٣٠١.

(٥) Canard: تاريخ السلالة ١ ص ١١٩.

الإمام علي المخلصين: عمرو بن الحمق الخزاعي، يعكس الميول الشيعية لسكان الموصل وكذلك لأمرائهم. يمكننا أيضاً، بحسب الأمين^(١)، ذكر وجود الشيعة في مدينة آمد في عصر الحمدانيين، والإثبات على وجودهم هو قاضي آمد: نزيه الدين أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي الأمدي. كما يمكن الاعتماد على وجود التغلبيين في الإمارة لإثبات تشييع المناطق، لأن التغلبيين يميلون الى اتباع نموذج حكامهم من الأسرة الحمدانية نفسها. بناءً على ذلك كله سوف يكون للشيعة حضور في الموصل، مكسين، جبل سنجار، سمية، برقعيد، رأس عين، نسيب، كفرتوثة وجزيرة ابن عمر. كان تشييع إمارة الموصل معتدلاً ومُخبأً جداً ومتحفظاً. وهذا يختلف عن إمارة حلب كما سنرى.

٧- تشييع حمدانيي حلب:

سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م سيطر الأمير سيف الدولة علي الحمداني على مدينة حلب ونطاقها، وبذلك وضع حداً

(١) الأمين: اعيان ا جزء ١١ ص ٢٢٧.

نهائياً للاحتلال الاخشيدي القصير لسوريا الشمالية.
يُذكر هنا أيضاً أنه في العام التالي سقطت بغداد
بأيدي البويهيين. هكذا وفي هذا الوقت وَجَدَ التسنُّ
والتشيعُ نفسيهما مندمجين في خطوط تماسهما الأساسية.

أ- تشيعُ سيف الدولة (٣٣٣-٣٥٦هـ/٩٤٤-٩٦٧م):
إنَّ مسألة تشيع مؤسس السلالة الحمدانية في حلب قد
نوقشت بشكل جيد. فبحسب المعطيات التاريخية والأثرية
والمسكوكية النقدية، يبدو تشيع حمداني الموصل
واضحاً جداً. ولا يمكن تفسير تشيع سيف الدولة بأنه
بتأثير فاطمي^(١) أو بويه. لأن الفاطميين سيطروا على مصر
بعد موته. ومن غير المنطقي أن يطلب مساعدتهم لسبيين
بسيطين:

- المسافة التي تفرّق بينهما.
- التشيع الفاطمي (الإسماعيلي) المُختلف عن تشيعه هو
الذي كان إثني عشرياً بالتأكيد.
- أما بالنسبة للبويهيين، فإننا لا نستطيع أن نضع علاقاته معهم
إلا في إطار المصلحة والمال، وقد تعارضت عدة مرات.

(١) Brokelmann: تاريخ شعوب... ص ٢٤٢ يؤكد على التأثير الفاطمي.

وعلى كل حال فإن من الممكن أن نرى تشييع سيف الدولة في:

- ما أن دخل حلب مُنتصراً بتاريخ ٨ ربيع الأول سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م، حتى سارع إلى عزّل قاضي المدينة ليُحلّ مكانه آخر مخلص له ^(١). ولكن بحسب ابن العديم ^(٢) فإنه عاد فعين قاضياً حنيفاً على حلب سنة ٣٥١هـ، ممّا يجعل أمر تحديد مذهب سيف الدولة صعباً من هذه الزاوية.
- كانت له ثقة مُطلقة بالعلويين الذين كانوا يقودون المفاوضات مع أعدائه. تلك كانت حال حسن بن طاهر سنة ٣٣٤هـ مع الاخشيديين ^(٣).
- سياسته مع القرامطة: أقام علاقات جيدة مع دولة القرامطة في البحرين. ووقع معهم معاهدة تعاون وصداقة، ذهب إلى حدّ الاعتراف بسيادتهم لاحقاً، وبإمامهم الذي كانوا يعملون لأجله ^(٤).

(١) Canard: تاريخ السلالة... ص ٥٠٤.

(٢) ابن العديم: حلب ص ١٢٢.

(٣) ابن العديم ص ١١٥ / طبّاخ: حلب ص ٢٥٤ / Metz: حضارة ص ٢٨٩-٢٩٠ / canard: تاريخ السلالة ص ٥٨٤.

(٤) نفسه ص ٦٢٢ - ٦٢٣.

هذا ما يفسّر لأي درجة كان سيف الدولة معتدلاً في تشييعه، وكم عمل لوحدة التيار الشيعي الكبير. وتفسّر تحفظاته في علاقاته مع القرامطة برغبته بإنقاذ مناطقه من أي غاز. وضمن الروحية نفسها، قمع حركة دزبار، الذي احتل حاضرة حلب حتى حمص، مدعوماً من مغامر علويّ متحدّر من علي الأفطس ابن علي زين العابدين^(١) ب- بناء مشهد الدّكة^(٢):

يقع المشهد في غرب حلب. ولبنائه لأول مرة على يد سيف الدولة قصّة يمكن تلخيصها بأنّه في السنة ٣٥١هـ/٩٦٢م رأى فيما يراه النائم نوراً يهبط عدّة مرات على المكان الذي سيبنى عليه المشهد. عند الصباح ذهب شخص من قبله إلى المكان. بوشر بالحفر فوجد مجرى عليه هذه الكتابة: «هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب». جمع سيف الدولة المتحدّرين من سلالة علي ليسألهم إن كان فعلاً للحسين ولد يحمل اسم المحسن، تناقضت الأجوبة. فقرّر سيف الدولة بناءه وقال: «هذا

(١) ابن العديم ص ٦٥١-٦٥٢.

(٢) شداد: اعلاق (حلب) ص ٤٨-٤٩، لآبي / ٨٥-٨٧ / ياقوت: بلدان III ص ٢٨٤ / B / sauvaget
خرمان ص ١٠٧، ٢٢٥ / طبّاخ: حلب I ص ٢٨٠-٢٨١.

المكان سمح لي الله أن أبني عليه مشهداً باسم أهل البيت». والمشهد هو اليوم عبارة عن باب صغير من حجر البازلت تعلوه قنطرة، [طبعاً هذا ما كان عليه حال المشهد يوم كتابة النص، أي قبل زهاء الأربعين سنة. أما اليوم فهو مُختلف تماماً (المهاجر)] نقرأ عليها هذه الكتابة الطويلة بالخط الكوفي:

«بنى هذا المشهد [باركه الله] الأمير المعظم سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان حياً بالله ويعنوان صدقة تعظيماً لمولانا المحسن بن الحسين بن علي بن ابي طال.....»

فقصة بناء المشهد والكتابة الموجودة عليه تُظهران الإيمان الشيعي لسيف الدولة بنحو واضح جداً^(١). وإن يكن Horovitz يرى عدم كفاية القصة لإثبات تشييع سيف الدولة^(٢).

- كتاباتٌ أخرى مُتنوعة، نذكرها فيما يلي:
- بحسب Horovitz^(٣)، فإن الكتابات في عصر سيف الدولة الموجودة على أبواب حلب، والتي تلعبُ معاويةً

(١) Canard I ص ٦٥٧.

(٢) Horovitz: الحمدايون ص ٤١٠.

(٣) نفسه ص ٤١٠.

- والأعداء الآخرين لآل النبي، يمكن أن تُضاف إلى وثائق أخرى في سياق البحث عن الانتماء المذهبي لسيف الدولة.
- العملة المسكوكة في سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥ من قبل سيف الدولة والتي يظهر عليها أسماء علي، فاطمة، حسن وحسين^(١).
- وجود دار كُتِبَ شيعية في قصر سيف الدولة وكانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد^(٢).
- حُسِنُ معاملَة سيف الدولة للشيعة والعلويين^(٣).
- بسط حمايته على الحسين بن حمدان الخصيبي منظم ومنظر المذهب النصيري. كما سمح للنصيريين بإيجاد الظروف الملائمة لوجودهم وتفوقهم^(٤). لقد أتاحت له هذه السياسة إخلاصاً صادقاً من قبل الحلبيين الذين تحمّلوا ظلم الاخشيديين وغيرهم للبقاء مخلصين لسيف الدولة^(٥).

(١) طُبَاخ: حلب ١ ص ٢٩٠ م.ج. مفضية: الشيعة والتشيع ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) طُبَاخ: حلب ١ ص ٢٨٠.

(٣) نفسه: ١ ص ٢٧٩.

(٤) Cahen: ملاحظات حول أصول الملائمة النصيرية ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٥) Brokelmann: شعوب ص ٢٤٣/ canard: ١ ص ٦٠٣.

- قصائدُ شاعرَيْنِ كبيرين في العصر الحمداني: المتنبي وأبو فراس، كان الأول قرمطياً سابقاً وبطلاً لعصيان في السماوه^(١)، شَبَّه في بعضِها سيفَ الدولة بالإمام علي بن أبي طالب. بينما كتب أبو فراس، ابن عم الأمير الحمداني، عدة قصائد تعكس تشيُّعه الاثني عشري. ففي ثلاث قصائد صغيرة ذكر كربلاء، وغدير خم، وتضحيات علي من أجل الإسلام، تشيُّعه، والأئمة الاثني عشر كذلك النبي وفاطمة^(٢). في قصيدةٍ أخرى يتَّهم العباسيين بسوء معاملة الشيعة، وتضييع جوهر الدين والسيطرة على الشرعية^(٣). لم يكن لَهْذَيْنِ الشاعرين أن يُظهرا تعاطفهما الشيعي في البلاط الحمداني تحت حماية وتأييد سيف الدولة إن لم يكن هذا الأخير يتقاسم معهما نفس وجهات نظريهما.

- المحيط الشيعي لسيف الدولة: فقد شكَّل حوله حلقةً أدبيةً مهمةً، فغالبية الشعراء واللغويين والفلاسفة والقضاة كانوا شيعة نذكر منهم: أبا الفرج الإصفهاني (٢٨٤-٢٨٤-٢٨٤).

(١) أبو فراس: ديوان III ص ٤٢٢ - ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠ - ٣٩٧.

(٢) نفسه: ٣ / ٣٥٦٣٤٨.

(٣) أبو فراس: ديوان III ص ٣٤٨ - ٣٥٦.

٣٥٧هـ/٨٩٧ - ٩٦٧م)، الخوارزمي (المتوفى سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م)، ابن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)، أبا علي الفارسي (المتوفى سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م)، الناشئ الأصغر (٢٧١-٣٦٦هـ/٨٨٤-٩٧٦م)، الزاهي (٣١٨-٣٥٢هـ/٩٣٠-٩٦٣م) والقاضيين: سلامة بن الحسين الموصلي، وأبا الحسين علي بن عبد الملك الرقي.... على أن الأمير الحمداني، في المقابل، كان يُظهر تعلقه وتبعيته للخليفة في بغداد، إن من خلال إلقاء الخطبة باسم الخليفة، أم من خلال تلقي الامتيازات الفخرية من الخلفاء، مما يلقي ظلاً من الشك على ما تفيدُه الملاحظات السابقة. إلا أن ذلك لا يمكن أن ينفي بأي شكل تشييعه، لأن تشييع عدد كبير من الأمراء والموظفين والضباط في هذه الفترة كان يوفق بين مشاعرهم الشرعية العلوية، وواجبات خدمة الخلفاء. ويمكن أن نصنف الحمدانيين المرتبطين مالياً ومعنوياً ببغداد ضمن هذا السياق. ضمن هذا الاتجاه، وبالاستناد إلى الاستنتاجات المذكورة، تمكن^(١) canard من القول: «سيف الدولة كان شيعياً وكان متعاطفاً بشكل مميز مع

(١) Canard I ص ٦٢٤

بعض الأشكال الشيعية المتطرفة».

ج- تشيع سعد الدولة أبي المعالي (٣٥٦-٣٨١هـ/٩٦٧-٩٩١م) إن وصول أبي المعالي إلى السلطة قد تميّز بحدث مهم جدا في تاريخ تشيع حلب إلا وهو دخول الأذان الشيعي بـ «حي على خير العمل» في تاريخ الحمدانيين. كان هذا الحدث ثمرة العلاقات الحمدانية - الفاطمية، وإن يكن طبّاخ^(١) يُرجع هذا الأمر إلى سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م أي إلى عهد سيف الدولة. وهذا ما لم يؤكده كل المؤلفين لكون التأثير الفاطمي لم يكن محلّ نقاش في هذا الوقت. فسيف الدولة كان شيعيا على الطريقة الليبرالية دون الخروج من الإطار الفكري لبغداد.

وضع غالبية المؤرخين إعلان الأذان الشيعي في حلب في عهد ابن سيف الدولة سعد المعالي، وإن لم يكونوا متفقين على السنة، أو أنهم كانوا يجهلون^(٢). فمنهم من قال أن ذلك حدث سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م^(٣)، على أثر الاتفاق بين جوهر وأبي المعالي وغلّامه قرغويه، خشية

(١) طبّاخ: حلب I ص ٢٩٨

(٢) ابن العديم: حلب I ص ١٦٩ - ١٧٠ / طبّاخ I ص ٢٨١ / canard I ص ٦٧٩ - ٦٨٦.

(٣) أنير: كامل VIII (B) ص ٦١١.

القرامطة والجزّاحيين في فلسطين، فأعلن الاعتراف في الأذان (بولاية علي) باسم المُعزّ في حمص وحلب، كما أدخل الأذان الشيعي. ومنهم من أرجع الأمر إلى سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م على أثر وصول السفير الفاطمي المبعوث من العزيز إلى أبي المعالي لتهنئته على استرجاع حلب. لكن عدة تساؤلات تُطرح حول هذا الحدث، من ذلك لأن العزيز لم يكن يملك لا السلطة ولا الحق في الدخول في علاقات رسمية مع الحمدانيين قبل السنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م. من ناحية أخرى فإن أبا المعالي لم يستعدّ حلب إلا في السنة ٣٦٧هـ. سنة ٣٦٣ كان في حمص يفاوض بغداد لاستعادة عاصمته. وهكذا فإنه من غير المعقول أن يكرّم من حمص الفاطميين المأزومين في سوريا أو أن يكرّم العباسيين. بعد استعادة حلب، أقام الحمدانيّ علاقات جيدة مع البويهيين^(١)، ثم مع البيزنطيين ليحفظوا أنفسهم من حاكم حمص «بكنجور» المُقرّب من الفاطميين ومن أسياده في مصر. يائساً من لا مبالاة البويهيين، ومهدّدا بانتفاضة الكرد في باذ. عاد أبو المعالي باتجاه مصر سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م

(١) ابن العديم ١ ص ١٧٢ - ١٧٣.

معترفاً بسلطتها، ذاكراً اسم العزيز في الخطبة، متشجاً بعباءة ملكهم ومُدخلاً الأذان الشيعي (حيّ على خير العمل)^(١) الذي ظلّ معمولاً به حتى وصول الزنكيين. هكذا أكمل أبو المعالي آخرَ شكلٍ من أشكال برهان تشيع الحمدانيين، منتقلين من التشيع الليبرالي الحمداني إلى التشيع الفاطمي الأكثر تحفظاً، الذي أتى لمنافسة بغداد على نفس المستوى: الخليفة. كانت هذه النهاية المنطقية للحمدانيين وللمنطقة كذلك.

٨ - الحمدانيون والفاطميون:

بدأت العلاقات الحمدانية - الفاطمية تأخذ منحىً متعارضاً بمجرد أن وضع الفاطميون نصبَ أعينهم السيطرة على سوريا الشمالية والجزيرة ابتغاء ضمّ العراق في النهاية. بكجور أحد ولاة سعد الدولة، هو من شجّع الفاطميين على تنفيذ هذا المخطط^(٢). لكن النتيجة كانت الفشل. بعد موت سعد الدولة^(٣) سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، خلفه

(١) نفسه I ص ١٧٨.

(٢) أثير: كامل VI (B) ص ٨٥ / قلانسّي ص ٣٣ - ٣٤.

(٣) راجع عن هذه المرحلة: أثير: كامل IV (B) ص ٨٨-٨٩ / قلانسّي ص ٤١ / ابن العديم I ص

١٨٥ - ١٩٢.

ابنه سعيد الدولة، فأمر الخليفة الفاطمي العزيز، الراغب دائماً باحتلال الأراضي الحمدانية، واليه على دمشق: مَنْجُكين سنة ٣٨٢ هـ بالزحف نحو حلب. فسارع هذا الوالي إلى احتلال حمص وحاصر حلب. سعيد الدولة المُحاصر أراد شراء انسحاب الفرق الفاطمية بالمال، كما ألقى خطبةً فاطمية. هذا الواقع لم يُلغِ الحمدانيون منذ سعد الدولة. ولكن الفاطميين من جانبهم ألحوا على أخذ حلب، مُظهريين أن الخلاف لم يكن أبداً على الخطبة أو التوجهات العقائدية، إنما بالذات على المصالح الفاطمية التي كانت متعارضة مع مصالح الإمارة الحمدانية في حلب. أحد الأسباب التي أخرت الاستيلاء على حلب من قبل الفاطميين هو العون البيزنطي.

٩- تشييع إمارة حلب

كانت سوريا الشمالية من السنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م حتى السنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م حمدانية. وقد حاولت هذه السُلالة التقدم نحو سوريا الوسطى دون أن تنجح. وضعت الحقبة الحمدانية في حلب ومنطقتها حداً للحقبة العباسية التي بدأت بالاندثار. فأصبحت المدينة لأول مرة

منذ عصر الحثيين عاصمة دولة^(١). وقد طوّر الحمّديون المنطقة فأصبحت نقطة مركزية في هذه الفترة المضطربة من القرن العاشر. وامتصّت بحيويتها وفتوتها كلّ محيطها. والحمّديون، الحكام المتسامحون والمؤيّدون للاعتدال، استجابوا بموقفهم المذهبي للأُسُس الحقيقية لإمارتهم حيث أنهم كانوا غرباء عن المنطقة وأرادوا تأسيس دولة^(٢)

وأقلّ ما يمكن فعله ضمن هذا الكمّ من القضايا هو الاستجابة لمصالح الرعية وليس خلق تناقضات هم بغنى عنها. فقد كانوا بعيدين عن فرض التشيع في إمارتهم المهيأة مسبقاً وقبل مجيء الحمّديين لقبول مختلف المذاهب. أ- القرامطة^(٣):

بعد تأسيس الإمارة الحمّدية بعدة سنوات اندلعت ثورة قرمطية مسلّحة في منطقة السّماوه، معقل القرامطة المؤكّد في سوريا. وقد كان قائدهم ابن «قطة الرماد»، وهو كلبّي أدعى أنه نفسه صاحب الناقة، لكن حركته قُمعت.

(١) Sauvaget: حلب ص ٨٦ / نفسه: art: حلب III ٢١٩٦٥ ص ٨٧ - ٩٢.

(٢) ابن العديم: حلب I ص ١١٩، ١٣٨ / canard: ص ٦٠٢، ٦٠٦، ٦٣٢، ٦٤٩.

(٣) ابن العديم: حلب I ص ١٤٧.

في هذا العصر أيضا كانت القرمطية موجودة في سوريا. وكان الدعاة القرامطة على استعداد في كل لحظة لرعاية القلاقل. حاول سيف الدولة أن يُمارس سياسة ذات وجهين مع القرامطة: اضطهاداً على الأراضي السورية، وتهديئةً وصداقةً مع قرامطة البحرين، ابتغاءً قطع مساعدة البحرينيين عن القرامطة السوريين، والحفاظ على إمارته الغالية. وقد نجح في سياسته.

سنة ٣٥٤هـ وُلدت ثورة في المنطقة الساحلية، بقيادة قائد قرمطي قديم: مروان العقيلي^(١)، لكن لا يمكن وصف هذا التحرك بالقرمطي.

ب- الاثنى عشريون:

كان الحمدانيون أنفسهم إثني عشرين دون أدنى ريب. ولكن ماذا بالتحديد كانت حصّة هؤلاء الإثنى عشرين الحلبيين في إمارة حلب في ذلك الأوان؟ يشير المؤرخون الشيعة الحديثون والمعاصرون إلى تشييع حلب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة دون التمكن

(١) ابن العديم: حلب ١٤٧١.

من إثبات ذلك^(١). وتعود صعوبة التأكد إلى الطابع الباطني للتشيع في عصور الاضطهاد.

وكان القرن الرابع للهجرة معبراً بالنسبة لانتشار التشيع في سوريا الشمالية. فمناخ التسامح والحرية، كذلك التعاطف الحمّداني مع الشيعة، ساعداً جزءاً من السكان الشيعة على إعلان تشيعهم، وجزءاً آخر على التشيع إما عن قناعة وإما لاتباع نموذج حكامهم وغالبية السكان.

وصل التشيع إلى حلب عن طريق العراق، جلبته معها أسرة بني زهرة^(٢) الكوفية في سياق التجارة مع الحلبين^(٣). مهما يكن، فالمعطيات المتوفرة لا تسمح لنا بالتعرف على أشياء كثيرة عن تشيع سوريا الشمالية قبل العصر الحمّداني. حتى أنّ مصادر تلك الحقبة لم تذكر ذلك. يتحدث ابن حوقل عن مشايخ وأشخاص مُعتبرين كانوا يسكنون المدينة^(٤)، دون إضافة معلومات أخرى يمكنها أن توضح لنا عقيدة السكان.

(١) س. ظاهر: آل أبي شعبة: مجلة العرفان ١٩٢١، مجلد ٧، ص ١٤٢، الأمين: أعيان الجزء ٢ ص ٢٤٤، مغنية: الشيعة والتشيع ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) أسرة كان الكثير من أفرادها من أصحاب الأئمة: الباقر - الصادق - الرضا - الجواد.

(٣) ظاهر: مجلة العرفان ١٩٢٢ مجلد ٧ / ١٣٩ - ١٤١.

(٤) حوقل: صورة ١ ص ١٧٤.

ج- حلب:

كانت هذه المدينة سُنيّة، حنفيّة وشافعيّة، ولم تكن تضمّ أي شيعيٍّ إثنى عشريّ حتى الغزو البيزنطي للمدينة في السنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م، حيث تمّت إبادة غالبية سكانها. بعد هذه الحادثة، أسكن سيف الدولة في حلب شيعةً من قنّسرين وحرّان^(١). وهكذا أصبحت حلب شيعية منذ عهد سيف الدولة^(٢). وأظهر سكانها تعلقاً مخلصاً بأمرهم في الظروف الصعبة لحكمه^(٣).

وبحسب ابن شدّاد، فإن تاريخ ٣٥١ هـ قابلٌ للنقاش، فالشيعة كانوا في حلب قبل هذا التاريخ. فحين احتلّ الامبرطور البيزنطي «نيقفور» حلب، قاومه العلويون والحمدانيون كذلك الديلم (الشيعة) داخل قلعة المدينة^(٤) التي وصلوا إليها هرباً من المدينة التي وقعت بأيدي البيزنطيين^(٥). فالشيعة كانوا موجودين إذن في حلب وغيرها قبل السنة ٣٥١ هـ، ولكن لا يمكننا تحديد تاريخ قدومهم بالدقّة.

(١) ياقوت: بلدان VII ص ٤٠٤ / طبّاخ: حلب I ص ٢٧٩-٢٨٠ / شقعة: سيف ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) اصفهاني: ودعية ص ٢٩٩.

(٣) شدّاد: علاق (حلب) ص ٢٣-٢٤ / إديم ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) ابن العديم I ص ١١٠.

(٥) اثير: كامل VIII (B) ص ٥٤١.

وبحسب محمد كرد علي^(١)، فقد كان علي رأس الشيعة الذين أتوا للسكن الدائم في حلب، الشريف أبو إبراهيم محمد الحرّاني الملقّب بـ الممدوح. ومعه صار التشيع في حلب إلى جوار المذهب الشافعي، كما دخل إليها، ربما معه أيضاً، الأذان الشيعي. ويقع وصول الشريف ونتائجه على عهد سعد الدولة أبي المعالي. هذا ما يمكن تأكيده نوعاً ما، من جهة من خلال الأذان الشيعي، ومن جهة أخرى من خلال الغياب الكامل للشريف في قصائد عصر سيف الدولة. لأنّ أبا العلاء^(٢) هو الذي مدحه^(٣). فإذا كان السبب الأول قد ثبت ونوقش تحت عنوان تشيع أبي المعالي، فإن الثاني لا يمكن أن يكون قاطعاً، ذلك أنّه ليس من المستحيل ألا يُذكر الشريف لسبب أو لغيره، وإن يكن موجوداً في حلب، أو أن أبا العلاء، الذي كان آنذاك في طور الشباب، قد امتدحه.

ينتج عن ذلك:

١- أنّه كان الشيعة في حلب قبل السنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م.

(١) م. كرد علي: خطط VI ص ٢٥٨.

(٢) توفي أبو العلاء بعد سيف الدولة بمسبع سنوات.

(٣) س. ظاهر: بنو زهرة: مجلة العرفان ١٩٢٢ مجلد ٧ ص ٤٦٠ - ٤٦١.

٢- أن سيف الدولة استقدم شيعة من قنشرين ومن حرّان إلى حلب بعد انسحاب البيزنطيين عن المدينة سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م.

٣- أن من المحتمل أن وصول الشريف أبي إبراهيم الملقب بـ الممدوح قد حصل على عهد أبي المعالي^(١). من أهم الأسرار التي كانت ترمز للتيار الشيعي في حلب، يمكن أن نذكر أبرزها: بني زهرة المُتحدّرين من الشريف الممدوح. ولقد ظلّ أبناء هذه الأسرة المُتوالين مُمثّلين للتشيع في المنطقة مدّة طويلة في القرون اللاحقة. ولبعض شيعة منطقة حلب في عصرنا الحاضر روابطُ قُربى مع هذه الأسرة، أو أنهم مُتحدّرون منها. كذلك يوجد في شحور (قرية في جبل عامل)، أسرة يُقال أنها هي الأخرى مُتحدّرة أو أنّ لها رابطة قُربى مع بني زهرة^(٢)، هي آل بدر الدين. في تلك الحقبة كانت حلب تحتفل بذكرى عاشوراء^(٣) كذلك بغداد ومكة^(٤).

(١) إن استعادة أبي المعالي لحلب دون إراقة دم، يثبت الدور الذي لعبه سكّانها الشيعة.

(٢) اصفهاني: ودعة: ص ٢٩٩ / س. ظاهر: بنو زهرة: مجلة المرفان ١٩٢٢ مجلد ص ٥٩١.

(٣) كرد علي: خطط VI ص ٢٩٢.

(٤) مقدسي: تقاسيم ص ٢٢٥ / Laoust: التشيع ص ١٦٤.

كما كانت فيها أماكن يرتادها الزوار الشيعة كمشهد الدّكة، وكذلك المصلّى الذي في سوق الحدادين، حيث رأى أحدهم في المنام الإمام عليّ يُصلي، فجعل المكان مصلّى عاماً^(١). جذبت حلبُ شيعة ذلك العصر، فالحلقة التي كونها سيف الدولة من حوله ضمت شخصيات شيعيّة أحسن الأميرُ استقبالها: الإصفهاني^(٢) مؤلف كتاب الأغاني كان شيعياً، وقدم كتابه للأمير الحمداني. كما ألف مقاتل الطالبيين (قصة الاضطهادات الشيعية). ابن خالويه^(٣) اللغوي، معلّم سيف الدولة، تحدّث عن الأئمة الإثني عشر في كتابه. الخوارزمي^(٤) عالمٌ وشاعرٌ شيعي. اللغوي الإمامي أبو علي الفارسي^(٥). كذلك شاعران شيعيان: الناشئ الأصغر^(٦) الإمامي الذي كتب قصائد في أهل البيت. والزّاهر^(٧) الذي امتدح سيف الدولة وأهل البيت. أضف إلى ذلك أنّ الحمدانيين أنشأوا داراً كتب شيعية

(١) شدّاد: أعلاق (حلب) / ٤٢.

(٢) طبّاخ: حلب ١ ص ٢٨٢ / حتّي: سوريا ١١ ص ٢٠٠ / اثير: كامل VII (A) ص ٢٥.

(٣) زركلي: أعلام ١١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٤) نفسه VII ص ٥٢ B / ظاهر: بنور زهرة: العرفان ١٩٢٢، مجلد ٧ ص ٣٤٦ - ٣٤٨.

(٥) زركلي: أعلام ١١ ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) نفسه VI ص ١١٩.

(٧) نفسه VI ص ٦٨.

غنية في حلب، وعملوا دائماً على إغنائها، وكان مركزها في القلعة^(١).

د- بانكوزة:

كان سكانها يتعاطفون مع الحمدانيين^(٢). ويمكن أن نتساءل إن كان هذا التعاطف قد وُلد بسبب رابطة التشيع الذي يشكل القاسم المشترك بين الحمدانيين وشعبهم.

هـ - قنسرين:

كانت شيعية. هجرها أهلها سنة ٣٥١ هـ في أعقاب الغزو البيزنطي فعبر قسم منهم الفرات، والقسم الباقي نقله سيف الدولة إلى حلب^(٣). مرّ بها ابن حوقل بعد سنة ٣٥١ هـ ولاحظ بعض الآثار التي تدلّ على موقعها^(٤). بينما لاحظ المقدسي الذي مرّ بعده، نقصان عدد سكانها^(٥).

و- سروج وحران:

كان سكان هاتين المدينتين شيعية. كان أعيانها حريصين على الحفاظ على شخصيتهم الإدارية والمالية، فحافظوا

(١) مقدسي: تقاسيم ص ١٦٢.

(٢) Canard: ص ٥٨٢.

(٣) Canard: ص ٦٤٧، ٦٥٩.

(٤) حوقل: صورة ١ ص ١٧٥.

(٥) مقدسي: تقاسيم ص ١٦٢.

على إلقاء خطب الصلاة باسم أبي المعالي دون أن يدعوه يدخل إلى مدينتهم سنة ٣٥٨ هـ^(١). كان ذلك قراراً جزءاً من السكان كما كان الحال في حلب، مع رغبة جزء من السكان بالحفاظ على الأذان الشيعي، حتى تحت الحكم السلجوقي. حصل صراع اقتصادي واجتماعي بحث داخل حرّان يمكن أن نفّسه كما يلي: حاول أعيان حرّان إغلاق المدينة بوجه الحمّانيين ابتغاء الاستمرار باستغلال غالبية سكانها وحدهم، لكن الغالبية المستغلة أجبرت الأعيان على الانحناء أمام الحمّانيين، ووضعت مجموعة من الأحداث في خدمة أبي المعالي.

ز- حمص:

كانت هذه المدينة مليئةً بأماكن الزيارة عند الشيعة: مشهد علي، قبر إياد، قبور أبناء جعفر بن أبي طالب، مشهد أبي الدرداء، مشهد أبي ذر، وأخيراً قبر قنبر مولى علي بن أبي طالب. كان الحمصيون شيعة في ذلك الزمن وبعضهم أصبح متطرفاً^(٢).

إن تفرّق بني زهرة في البلدان بعد وصولهم إلى حلب

(١) أنظر: كامل VIII (B) ص ٥٩٨، ٦٠٨، ٦٠٩، ابن العديم: I / ١٦٠، canard، ٦٧١.

(٢) ياقوت: بلدان II ص B ٢٠٣، B ٢٠٤.

ونزولها، نقل التشيع إلى مُدُن أخرى في المنطقة حتى إلى الرقة، حيث كان السكان يظهرون تعلقاً قوياً بالأمويين^(١). وكان يوجد شيعة في شيزر قرب حماه: حسين بن سعد المهند بن مسلمة بن أبي علي الطائي المتوفى سنة ٤١٥ هـ^(٢).

ح- النصيريون:

إن تاريخ هذه الطائفة وإن يكن لا يدخل مباشرة في صلب عملنا، لكننا نأخذ في الاعتبار أن ولادتها قد حصلت على أرض اثني عشرية، ولأن بعض أعضائها قد جندوا ضمنهم. والمنافسة الحادة بين الاثني عشريين والاسماعيليين جعلت بعض النصيريين يتركون سوريا نهائياً إلى إفريقيا الشمالية. وقد اعتنق اثنا عشريو سوريا الشمالية وغيرها من المناطق بغالبيتهم النصيرية، التي استطاعت أن تحل مكان التشيع التقليدي، لأنها كانت تستجيب أكثر لعقلية السوريين المتحوّلة، وإن كانت متطرفة بالنسبة للتشيع التقليدي^(٣). إن من ألف مادة النصيرية هم نخبة من الاثني عشرية.

(١) حوقل: صورة ١ ص ٢٢٠.

(٢) ياقوت: بلدان III ص ٢٨٢. A.B.

(٣) L. Massignon : art. iii. النصيرية. E.I. iii. ص ١٠٢٠ B <

لأن الطريقة النصيرية كانت تعتمد على انتقاء الأكثر كفاءةً من بين الاثنى عشرين لإدخالهم طريقَتها^(١).

وُلدَ هذا المذهب في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة، وكان مركز دعوته مدينةً جنُبلاء في العراق بين الكوفة وواسط. ثم دخل بعضُ المنتميين إليه إلى سوريا الشمالية ومصر، في حين استقرَّ بعضهم الآخر على طول مجرى نهر الفرات^(٢)، وكذلك مجرى نهر دجلة^(٣).

من كبار مُنظريها والعاملين على نشرها، نذكر على سبيل المثال المصري المولد الحسين بن حمدان الخصيبي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٦٨ م. فقد جاء من مصر إلى جنُبلاء، ثم صار تلميذاً للجنبلاني في بغداد، وأخيراً استقرَّ به المقام في حلب في عهد أميرها سيف الدولة.

كانت حلب في ذلك الأوان مركزَ النصيرية والمرجع الوحيد للعلويين^(٤). وبذلك أصبح النصيريون تحت حماية حمداني حلب^(٥). واستناداً إلى أقوالهم فإن سيف الدولة صار

(١) طویل: علویون ص ٢٠٨.

(٢) L. Massignon (١) ص ١٠٣٠. B.

(٣) ياقوت: بلدان II ص ٢٣٠. B.

(٤) طویل: علویون: ص ٣٦١ - ٣٦٣.

(٥) L. Massignon (١) ص ١٠٣٢. B.

تحت الوصاية الفكرية لأستاذه الخصبي، الذي كان له الفضل في نُصْحِهِ، وفي توجيهه بالأخص للجهاد ضد الروم^(١). مع الخُصبي انتقلت نقطة الثقل المركزية النصيرية إلى سوريا الشمالية. وقد قدّم كتابه «الهداية الكبرى» إلى سيف الدولة^(٢). وتوفي في حلب ودُفن شمال المدينة في محلّة شيخ بirq.

بعد الخُصبي حصل ما يمكن أن نُسَمِّيه لا مركزية علوية بمعنى من المعاني. فقد أصبحت بغداد مركزاً ثانياً لهم حتى الاحتلال المغولي. أمّا في حلب، فقد خلف محمد بن علي الجلي، أحد تلامذة أتباع الخصبي الإحدى والخمسين، معلّمه. ثم جاء بعده أبو سعيد ميمون الطبراني (٣٥٨ هـ - ٤٢٦ م / ٩٦٩ هـ - ١٠٣٥ م)، الذي جاء إلى حلب ليكون على بيّنة من منابع المذهب. ولكنه لم يتأخّر فيها طويلاً، قبل أن يُغادرها إلى اللاذقية حيث ترك أثراً باقياً.

على صعيد الاثنى عشرين، فإن أبواب الإمام الحادي عشر قد تابَعوا عاملين على القيام باختيار وتأليف

(١) طویل: علویون: ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) نفسه ص ٢٠٦، ٢٧١.

مذهب. كانت سوريا الشمالية كما الجزيرة ومناطق أخرى من سوريا، حقل نشاط للوكلاء. في هذه الفترة نجحت النصيرية بالحلول مكان العقيدة الاثني عشرية في حمص وحلب والمنطقة الساحلية (جبل النصيرية) ^(١). كل هذه الأماكن صارت نصيرية. وكان ذلك يسيراً في إطار سوريا غير المستقرة، والتي كانت آنذاك تتلقى تحولاتاً سريعاً في فترة غير كافية ^(٢).

١- الشيعة والبيزنطيون:

خضعت سوريا الحمدانية، أرض الشيعة الاثني عشريين والنصيريين، عدّة مرات للاحتلال البيزنطي ^(٣). هوذا ما يفسّر نوعاً ما موقف حكام سوريا الوسطى (الآخشيديين) بترك حمدانيي الشمال يؤلفون دولة مهتزة، تمتصّ الخطر البيزنطي عنهم. تلقّت المنطقة الساحلية النصيرية على الوجه الأغلب نتائج ذلك الصراع، على الرغم من محاولة الحمدانيين الحثيثة للعب على التناقضات بين الآخشيديين -

(١) L.massignon نصيري III E. ص ١٠٣١.

(٢) بالنسبة لبعض المؤرخين كان ذلك نتيجة الانتقال من الوثنية إلى الاسماعيلية: حتي: سوريا:

II / ٢٢٠ - ٢٢١.

(٣) طويل: علويون ص ٢١١.

البيزنطيين والفاطميين - البيزنطيين. هكذا فإن تأسيس أول
كيان سياسي شيعي في سوريا كان مثلاً ساطعاً للتشيع الذي
كان مضطراً للدفاع عن نفسه على كل الجبهات.
مهما يكن فإن الإمارات الحمدانية أتت لتضع في
سوريا حجر الأساس للخليفة الفاطمي الشيعي الذي أتى
سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م لإكمال تشيع سوريا على طريقته.

الفصل الثاني

الشيعة في سوريا في العهد الفاطمي

سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م سيطر الفاطميون على مصر. وصدح الأذان بحسب الطريقة الشيعية في مسجد ابن طولون. وبدأ الصراع ضد السنة^(١). بعد مصر جاء دور سوريا، فقد أرادوا الاستفادة من وضع الخليفة ومن وضع سوريا لإزاحة السنة الرسمية. فسوريا التي أفسدها الاضطهاد والشقاق والفوضى ومختلف النزعات الابتداعية، كذلك الحالة الاجتماعية الضاغطة على الرغم من تغير الحكام. سوريا هذه وجدت نفسها ممزقة بين السنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ م والسنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م بين القرامطة والبيزنطيين. ضمن هذا الكم من الأوضاع، أرسل جوهر إلى سوريا الجيش الفاطمي بإمرة جعفر بن فلاح.

(١) أنير: كامل VII (A): ٣١، أبو الفدا: مختصر: II / ١٠٩، canard: art «فاطمي» ii 2 / ٨٨٢ - ٨٧٠

١- الشيعة في سوريا الجنوبية والوسطى.

أ- القرامطة:

استمرّ هؤلاء الثوريون بمضايقة سوريا الإخشيدية بإيعاز من الخليفة الفاطمي المعز. ولكن عندما دخلت لعبة المصالح، أدار القرامطة ظهورهم لإخوانهم الفاطميين الإسماعيليين، وفضلوا الوجود الإخشيدي في سوريا مشفوعاً بثلاثمائة ألف دينار سنوياً يدفعها حاكم سوريا الإخشيدي^(١). أثبت القرامطة الطابع الانتفاغي، الاقتصادي والاجتماعي لحركتهم: لقد كانوا مستعدين للتضحية بالطابع العلوي الإسماعيلي لصالح الاتجاه الاجتماعي المساواتي لحركتهم. وعلى الرغم من وجود القرامطة ممزقين بين هذين المكونين لحركتهم، المضمون والشكل، الجوهر والشكل، فإن المنحى الأول هو الذي انتصر. ممثلاً بعائلة أحمد بن أبي سعيد، وعلى رأسهم الحسن الأعصم. سنة ٣٨٥ هـ / ٩٦٨ م، عمل القرامطة لصالح العباسيين والإخشيديين (السنة). وكانت خطبهم الدينية باسم الخليفة

(١) اثر: كامل VII: (A) / ٤٢، فلانسي: ذيل / ١٠١، حسن: الدولة الفاطمية / ٣٩٥، طويل: علويون ص ٢١٨.

العباسي. واندلعت الحرب مع الفاطميين^(١).
سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م، وصل القائد الفاطمي جعفر بن
فلاح إلى الرملة. حيث بادر إلى احتجاز الحاكم الإخشيدي
الحسن بن عبدالله بن طنج. وعندما وصل إلى طبريا ودمشق
أقام الصلاة وفقاً للشعائر الفاطمية الشيعية^(٢). وعلى الرغم
من جود مقاومة سُنيّة محلية ضد الاحتلال الفاطمي
لسوريا، فقد ظلّ القرامطة القوة الفعّالة القادرة على إيقاف
الفاطميين.

سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م أنتزع القائد القرمطي الحسن
الأعصم دمشق من القائد الفاطمي جعفر بن فلاح،
المتحدّر، بحسب الطويل، من عائلة علوية مُهمّة في مصر^(٣).
فقتل جعفر ولعن الفاطميون على منبر المسجد الأموي
في دمشق^(٤). غادر الفاطميون دمشق نحو مصر يلاحقهم
القرامطة. لكن الفاطميين استطاعوا إنزال الهزيمة بالقرامطة
بعد إبعادهم عن مجالهم المفضل. سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م كان

(١) A. Metz: الحضارة الإسلامية II ص ٧١.

(٢) أبو الفدا: مختصر II ص ١٠٩.

(٣) طويل: علويون ص ٣١٨.

(٤) أبو الفدا: مختصر II ص ١١١ - ١١٢ / ح. حسن: الدولة الفاطمية ص ٣٩٦.

انتصارُ الفاطميين وإعادة غزو سوريا ^(١). وأصبح ظالم بن موهوب العقيلي الحاكم الفاطميّ لدمشق. ومُجَدِّداً عادت الخطبةُ فاطميةً شيعيةً ^(٢). وأُعدم القادة القرامطة في مصر. في هذا الجوِّ العاصف غرقت دمشقُ في الفوضى ^(٣). فالفاطيون الذين لم يعودوا قادرين الآن على الحفاظ على سوريا، وجدوا أنفسهم مُبْعَدِينَ عنها على يد القائد التركي أفتكين، الذي كان على خلافٍ مع البويهيين. ولهذا السبب فإنّه ترك واسط في العراق وجاء يبحث عن حظوظه في سوريا. بدأ باحتلال دمشق سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م، حيث أقام الخطبة للعباسيين ^(٤). استدعى أفتكينُ القرامطة، الذين لا يمكن تجاوزهم على المسرح السوري بغياب أيِّ قوّةٍ أخرى، لدعمه ضد «جوهري» الفاطمي سنة ٣٦٥هـ/٩٥٧م. تمكن أفتكين مع القرامطة من طرد جوهري من دمشق ومحاصرته في عسقلان ثم إطلاقه، عاملين على محورين: القرامطة في فلسطين وبالأخصّ في الرملة، وأفتكين على السواحل في

(١) أثير: كامل VIII (B) ص ٦٣٨-٦٣٩، قلانسي: ذيل ٢، أبو الفدا: مختصر II ص ١١٢، م. كرد علي: ختلط: I / ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) قلانسي: ٤، ح. حسن: الدولة الفاطمية / ٣٩٩.

(٣) أثير: كامل VIII (B) ص ٦٤٠ - ٦٤٣.

(٤) أبو الفدا: مختصر: II / ١١٥، قلانسي: ذيل / ١٥، أثير: كامل VII (A): ٦٣، كرد علي: ختلط: I / ٢٢٦.

(صيدا) ^(١). لكن العزيز القلق من خيبة ممثله خرج بنفسه وألحق الهزيمة بالحليفين معاً، فألقى القبض على أفتكين وعفا عنه مُبقياً إياه في مصر. وانتقم من القرامطة وحصل على عودتهم إلى شرق شبه الجزيرة العربية ^(٢). حيث ظلوا أوفياءً للفاطميين حتى السنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م. إن غياب سياسة شيعية موحدة في سوريا قد جعلت الشيعة يتواجهون، كما كان السبب في انشقاقات في نفس المجموعة أحياناً. من ناحية أخرى، يجب ألا ننسى الدور الذي لعبه الطابور الخامس المكوّن من جنود إخشيديين التحقوا بالقرامطة، وأرادوا بأي ثمن الانتقام من الفاطميين ^(٣). ختاماً، يجب ألا ننسى التعارض في مصالح مختلف المجموعات الشيعية. هكذا يُبرّر الدور الذي لعبه القرامطة. ذلك أنّهم، فيما يبدو، قد تركوا المكان للقوة الفاطمية الشيعية الجديدة بعدما اقتنعوا بقدراتها وقوّتها.

٢- سوريا الوسطى والجنوبية (فلسطين):

(١) قلائسي: ١٥، أبو الفدا: مختصر: II / ١١٥.

(٢) قلائسي: ذيل / ٢٠.

(٣) قلائسي: ذيل / ٢، M.Canard: تاريخ السلالة / ٥٥٥.

تشيع ومعارضة التشيع.

على الرغم من أنّ التشيع بمختلف أشكاله قد اجتاح سوريا منذ النصف الثاني للقرن الثالث للهجرة (الإسماعيلية لفترة، ثم القرمطية، ثم التشيع الاثنى عشري الذي نافسته النصيرية في عقر داره)، فقد ظلت بلاد الشام، بحسب Metz، غير ملائمة للدعوة العلوية^(١). ويجب أن نفهم ببلاد الشام قلبها دمشق بالأخص، بوصفها المقر القديم للإمبراطورية الأموية.

أ- دمشق

كان سكان دمشق بغالبيتهم سنة وبميوّل أموية. ما جعلهم يواجهون الفاطميين، الشيعة والاسماعيليين^(٢). لكنّ الإصفهاني^(٣) جعل من المدينة مركزاً شيعياً كبيراً منذ عهد سيف الدولة، خلافاً لما رأينا، ولما هو ثابت على كلّ حال. والمعارضة الدمشقية ميّزت قسماً كبيراً من التاريخ الفاطمي. وقد أمّلت هذه المعارضة على الحكام انحرافاً في سياستهم ابتغاء الإستجابة لمتطلبات رعاياهم الأثريين

(١) A.Metz: الحضارة الإسلامية: ١ / ١٢١.

(٢) فلانسي: الحضارة الإسلامية: ١ / ١٢١.

(٣) اصفهاني: ذيل / ١٦، كرد علي: خملط: ١ / ٢٢٥.

(السادة، الأشراف)^(١). لكن هذه السياسة المتوازنة سرعان ما باءت بالفشل لصالح الحكومة المركزية القويّة في مصر. مع وصول جعفر بن فلاح إلى دمشق، قاومت المدينة بفضل سكانها^(٢) السُنّة، الذين أظهرُوا عداوةً مُطلَقةً للشيعة الفاطميين والقرامطة. خنقَ القائدُ الفاطميّ المقاومةَ وأذنَ للصلاة على الطريقة الشيعية: «حيّ على خير العمل». بعد الصلاة وبسبب الوضع الذي لا يُحتمل المفروض بالقوّة على السُكان السُنّة، عاد الدمشقيون إلى الثورة بقيادة شريف هاشميّ لبس السواد وألقى الخطبة العباسية دفاعاً عن السُنّة. كان الوضع خطيراً جدّاً، فقرّر القائدُ الفاطمي أن يحلّ الموضوع سلمياً بالتقرّب من سكان المدينة^(٣).

جاء القرامطة، الذين كانوا واثقين من موقف الدمشقيين تجاههم، لتكبيد الفاطميين^(٤) الخيبة. وقد كانت إعادة السيطرة الفاطمية على دمشق سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م من قبل ظالم بن موهوب العُقيلي، مصحوبةً بفوضى كبيرة وحرائق

(١) الأثير: كامل VII: (A) / ٦٢ - ٦٣.

(٢) الأثير: كامل VI: (A) / ٣٢، أبو الفدا: مختصر: II / ١٠٩، كرد علي: خطبة: I / ٢٢٤.

(٣) الأثير: كامل VII: (A) / ٣٢، أبو الفدا: مختصر: II / ١٠٢.

(٤) الأثير: كامل VIII: (B) / ٦١٥.

في دمشق. وعند محاولة ظالم كسب ودّ الدمشقيين، فقد ثقة الفاطميين، فترك مكانه لابن الصمصامة^(١)، الذي تصدّى بدوره للدمشقيين، وترك المدينة للحاكم الفاطمي في طرابلس ريان الخادم^(٢).

الحالة في دمشق: الظلم الفاطمي المتماذي على أهل المدينة، كذلك طلب الدمشقيين النجدة، كل هذا حمل أفتكين التركي على احتلال المدينة سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م بمساعدة من سكانها، وعلى إلقاء الخطبة باسم الخليفة العباسي^(٣). يبدو أن دمشق كانت حصن الأشراف الهاشميين المرتبطين بتعصب للسنة، ومُرتبطين أيضاً بالتقاليد التي كانت تريد بأيّ ثمن الحفاظ على المدينة بأمن من الأفكار الاجتماعية التقدمية، العاملة على تحويل البلد، وكلا الارتباطين وجها العملة نفسها. هؤلاء الأشراف، وضمن خوفهم من مجتمعات الأحداث، ومن خلال علاقة هؤلاء مع الحركة القرمطية، كانوا صدى لرد فعل حقيقي للدفاع عن الطبقات البائسة^(٤). وطلبوا قدوم

(١) أثير: كامل VII (A): ٥٤ / قلانسي / ٤.

(٢) قلانسي: ٩-١٠.

(٣) أثير: كامل VIII (B): ٦٥٧.

(٤) J.sauvaget: حلب / ٩٥.

أفتكين^(١) المحافظ والتقليدي، إلى المدينة. أتمّ افتكين مهمته بنجاح لصالح الدمشقيين والمعادين للشيعة^(٢). الذين (أي الدمشقيين) أظهروا تعلقاً كبيراً بحاكمهم، وبالأخص حين علموا بقدوم الفاطمي جوهر^(٣). لكن المدينة لم تتأخر عن الوقوع بأيدي الفاطميين. هكذا يبدو أن التسنن كان متجذراً جداً عند سُكّان دمشق، على الرغم من التمدّد الفاطمي على كل أفريقيا الشمالية والشام حتى الفرات، وعلى الرُغم من نشاط دُعائه في بذر الإسماعيلية من خلال رعاية مُنظمة جيّداً^(٤). ظلّ الوضع مؤاتياً لمعارض الشيعة في دمشق ومنطقتها. فقد وقف "قسّام الغوطة" بوجه الفاطميين والحمدانيين في آن واحد معاً. وحاول بعد قدومه بوقت قصير، تحديداً في السنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، أن يدخل دمشق، مستفيداً من عفو الخليفة العزيز الفاطمي، الذي كان قاسياً جداً مع السُنة، وبخاصة المالكيين المتعصّبين جداً في

(١) الأثير: كامل VII: (A) / ٦٢-٦٣.

(٢) مثل ابن خنّار: الأثير: كامل VIII: (B) / ٦٥٦ / قلانسي / ١٦.

(٣) الأثير: كامل VII: (A) / ٦٣ / قلانسي / ١٦.

(٤) A. Metz: الحضارة الإسلامية: II / ٧٣ / art/ M.canard: الفاطميون I. ٢٠٨٧٩.E.

سُنِّيَتِهِمْ^(١). ولكن عندما علم الخليفة بنواياه الانفصالية، أرسل ضده القائد التركي منجكين الذي دخل دمشق سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م. أعطى العزيز دمشق لبكجور غلام عبد المعالي ابن حمدان، الذي أجبر على ترك المدينة لمير الخادم، ومن ثم على الدخول إلى الرقة^(٢).

انطلاقاً من هذه الفترة، كسب الفاطميون عادة حكم دمشق، وبدأت سياستهم العاملة على نشر التشيع توتّي ثمارها. ففي السنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م، بدأ التشيع ينشأ في العاصمة السابقة للأمويين، التي وجدت نفسها مُحاطة بالشيعة فاضطرت للخضوع هي أيضاً.

يمكن أن نتساءل أيضاً عما إذا كانت هذه الفترة تتطابق مع هجرة الدمشقيين إلى حمص^(٣)، يائسين من تحسّن الأحوال في مدينتهم؟

هكذا تميّز الحضور الشيعي في دمشق بوجود منجكين عندما جمع المشايخ والأشراف لدغم الفاطميين. ونذكر من بين الأشخاص المعنيين رجالاً محترماً ومعروفاً جداً:

(١) Y. Canard: art E.1.

(٢) قلاسي / ٢٦.

(٣) قلاسي / ٢٨، كرد علي: خطم: ٢٢٤.

موسى العلوي^(١).

قادت السياسة القمعية لمنجكين في دمشق و سوريا الشمالية، كذلك صراعه مع مصر، سليمان بن جعفر الكتامي نحو الشام، حيث واجه شقيقه علي سُكَّانا عدوانيين^(٢)، لأنَّ جيشه كان مؤلفاً بشكل أساسي من الكتاميين الشيعة الاسماعيليين.

كانت سياسة الحاكم الفاطمي قائمة على انتزاع الشام من الكتامي بمجرد أن صارت مصر تحت تأثير أمين الدولة الحسن بن عمار، ابتغاء عدم ترك مصر وسوريا في الأيدي نفسها. مما قاد إليَّ ضرب سليمان بن جعفر في الشام بعدما تخلص من الكتاميين في مصر^(٣). انعدام الثقة هذه، بالإضافة إلى هذه العدوانية بين الشيعة أنفسهم، أفادت التيار السني الذي كان موجوداً في دمشق. هكذا عاد الدمشقيون إلى حالهم الأولى تجاه الحكام الفاطميين. فقد عمل جيش بن الصمصامة على توحيد الدمشقيين وعلى الحفاظ على علاقات جيدة بين الجيش والسكَّان^(٤).

(١) قلائسي: ٤٥.

(٢) اثير: كامل VII (A): ١٧٨ / .

(٣) نفسه / ١٧٨.

(٤) اثير: كامل: VII / ١٧٩.

مع وضوح الوضع في مصر، استمرت سياسة التشيع. فأعدم الحاكم مشايخ دار الحكمة السنية، ومنعت الشعائر السنية^(١)، وكلف الحاكم الفاطمي في دمشق بمعاقبة السنية. وفي السنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢ م ضرب رجل سني وسبق في أزقة المدينة على ظهر حمار مع المناداة بأن هذا عقاب من يحب أبا بكر وعمر ثم قطع رأسه^(٢). إن هذه الدورة في المدينة تعني أنه كان يوجد في المدينة أناس تتقاسم أفكاره وأن الحاكم أراد بذلك تهديدهم.

ينتج من ذلك أن الطابع العام لسكان دمشق وجوارها كان سنيًا. وأن الغوطة التي اعتنقت الاسلام منذ القرن الأول للهجرة، كانت سنية بكاملها بحسب المذهب الشافعي والحنبلي، وإن يكن المذهب الإسماعيلي المعترف به رسمياً طوال العصر الفاطمي^(٣). فالدمشقيون اتهموا الفاطميين (الأفارقة) بقلّة التهذيب والقسوة وبمذهبهم الشيعي^(٤). استطاع الفاطميون بعد الكثير من الجهد، الحفاظ على المدينة كما على وجهها الشيعي في نهاية الحقبة الفاطمية

(١) M.canard : art ٢٠٤ / II ٢٠٤٩٩ .A

(٢) اثر: كامل Metz / A. 178 / IX (B) : الحضارة الإسلامية: ١ / ١٢٢ .

(٣) كرد علي: الغوطة / ٢٢-٢٣ .

(٤) فلاسني: ١٦، جواد بولس: لبنان / ٢٤٦ .

برفقة الحُكَّام. هكذا كان الحال سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٦٥ م مع الشريف أبي يعلى حمزة الذي رافق ناصر الدولة الحسن بن حسين بن حمدان ^(١) إلى دمشق. سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م، كان لدينا دائماً في دمشق ممثلاً علويّاً: ابن أبي الرضا المدعوم من السكان والكلبيين بوجه بدر الجمالي ^(٢). أما الشريف ابن أبي الجن، فقد قدم من مصر وقاد دمشق لمدة سبعة وعشرين يوماً يعاونه الجرّاحيون. لكن الأمور جَرَتْ بشكّل سيئ، واستُدعي بدر الجمالي من جديد إلى دمشق، بعد الصراع بين أحداثها والجيش الفاطمي. في نهاية المطاف أُعدم الشريف من قِبَل بدر، الذي حاول أن يضع يده على الشريف بمساعدة الكلبيين. ولكن نجح الفاطميون بإسترجاع المدينة واضطهدوا الأحداث ^(٣).

أما فيما يخصّ الطابع الشيعي الرّسمي لدمشق تحت الحُكم الفاطمي. فقد أظهر الفاطميون كثيراً من التفهّم والتسامح تجاه الدمشقيين. ففي السنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م كان حاكمُ المدينة شيعياً، بينما كان قائد الشرطة سُنياً.

(١) قلائسي: ٨٢.

(٢) نفسه: ٩٦-٩٧.

(٣) قلائسي: ٩٧ (من خلال سبط بن جوزي).

واستقبل الشريف ابن أبي الجن في منزله الخطيب الهارب من البساسيري والمهدد بالسجن من قبل الحاكم الشيعي للمدينة^(١).

حول هذا الموضوع يعطينا القلانسي ضمناً معلومات هامة:

- الاحترام الرسمي للشريف العلوي في دمشق ولحرمة بيته التي لا تنتهك.
- الوحدة السياسية والمصيرية الشيعية، فلا تُساء معاملته الخطيب في دمشق كيما لا تُساء معاملته الشيعة في العراق. كان الحضور الشيعي في المنطقة الشرقية لبلاد الشام قليلاً جداً ومرتباً بالحضور الفاطمي. ما يجعلنا نُفكر بوجود إسماعيلي. أظهر الدمشقيون القدر الأكبر الممكن من المعارضة للخليفة الفاطمي^(٢). وشجعوا الحكام على إدارة ظهورهم للحكومة المركزية. إن المؤرخين - الجغرافيين الذين مروا في المنطقة في ذلك العصر لم يذكروا إلاّ الذميين في دمشق أو السُنة، أناس على المذهب

(١) قلانسي: ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) أجبروا المولى ابن حيدرة سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م على أن يستولي على إمارة صهره جلال الملك بن عمار.

الشافعي والحنفي في كل مكان. مع أنهم أشاروا إلى وجود شيعي في أماكن أخرى من سوريا (كان هذا حال المقدسي^(١)). وجد ابن حوقل (الذي تحدّث عن سوريا في ست صفحات من كتابه «صورة الأرض»، وذكر أكثر من خمسة عشر موقعاً فاطمياً مع مُعطيات اقتصادية واجتماعية مهمة جداً)، نفسه سعيداً بذكر المساجد الأكثر أهمية في القدس ودمشق من دون ذكر أي مُعطى عن الشيعة أو الأماكن ذات العلاقة بوجودهم في ذلك العصر^(٢). بينما يبدو أن ناصر الدين خسرو لم يمرّ بدمشق، ومعلوماته لا تبدو لنا مفيدة لنا إلا فيما بعد.

مهما يكن، ففي الوقت الذي بدأت فيه المدينة تتقبّل التشيع، مع إظهار صعوبات بوجه أتسز التركماني^(٣)، الذي جاء لقطع الخطبة الفاطمية وإلغاء الصيغة الشيعية في الصلاة، احتلّ تُشش السلجوقي المدينة سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م، وبذلك وضع حداً نهائياً للحلم الفاطمي بنشر التشيع في المنطقة.

(١) مقدسي: تقاسيم / ٢١٦.

(٢) حوقل: صورة / ١٦٧ - ١٧٣.

(٣) فلانسي / ١٠٩.

ب - لبنان:

يبدو أن المنطقة الواقعة في غرب الشام، كذلك في الشمال وفي الجنوب الغربي من منطقة دمشق، قد عرفت التشيع بكل أشكاله قبل وصول الفاطميين بكثير. كانت هناك سلسلة من المذاهب، إسماعيلية، قرمطية، شيعة اثني عشرية ونُصيرية. مع وصول الفاطميين كان عصر الإثني عشرية والنُصيريين الذين ستنافسهم الإسماعيلية الفاطمية ثم الدرزية. وبحسب حتي، ففي لبنان كما في فلسطين، فإن الإثني عشريين الياثسين من عودة إمامهم الذي اختفى في سامرا قد تحوّلوا إلى الإسماعيلية^(١). كان هذا العصر الذهبي للتشيع أو بالأحرى للإسماعيلية في بلاد الشام^(٢). كان الفاطميون قُساءً جدًّا مع السُنة. لكنهم كانوا قرييين كثيراً من العقليّة السورية بسياستهم المتسامحة تجاه غير المسلمين. فاستطاعت الرعاية الشيعية أن تعمّ سوريا بفضل هذه السياسة. وأصبح الشيعة يشكّلون الغالبية في سوريا ولبنان وفلسطين^(٣).

(١) حتي: إسماعيليون / ٧٠.

(٢) صليبي: لبنان / ١٦.

(٣) بولس: لبنان ص ٢٧٠.

كان الشيعة غالبية في العهد الفاطمي في أغلب المناطق اللبنانية باستثناء الشمال الشرقي. وفيما بعد في المناطق الوسطى الدرزية بحسب رأي بولس^(١). امتزج الاثنا عشريون مع النصيرين، ويبدو أن الأوضاع كانت لصالح هؤلاء (أي النصيرين). في جبل عامل، الذي سمّاه البلدان المقدسي «جبل صديقا»، شجّع نصف استقلاله تدريجاً وتطوّر الطوائف على حساب التقليدية الإسلامية. كان النصيريون كُثُراً في المنطقة^(٢). ويبدو أنهم لم يغيروا مذهبهم عند قدوم الفاطميين، ذلك أنهم كانوا دائماً هنا عند بدء الدعوة الدرزية.

كان الجزء الساحلي من الجبل مركزاً لنشاط ديني وثقافي شيعي. وبحسب مكّي^(٣)، فقد لعبت مُدُن الساحل دوراً كبيراً في هذا النطاق. كان هذا حال صور وصيد والصرفند، قبل أن يدفع الاحتلال الصليبي النشاط الشيعي إلى الداخل (جزّين). يتحدث المقدسي عن لبنان^(٤) في

(١) نفسه / ٣١٧.

(٢) فيليب حتي: لبنان / ٢٢٢.

(٣) محمد كاظم مكّي: حركة / ٤٩.

(٤) مقدسي: تقاسيم / ٢٢٧.

بداية الحقبة الفاطمية عن الأشجار والثمار والينابيع والنسك (النصاري؟)، لكنه لا يذكر وجوداً شيعياً في هذا البلد، مع أنه ذكر ذلك في فلسطين. لذلك علينا انتظار زيارة ناصر خسرو سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وهو الذي وجد في صور سُكَّاناً شيعية، بينما كان القاضي فيها سُنيّاً^(١).

كان النشاط الشيعي في جبل عامل مُوجَّهاً من قِبَل أئمة مساجد صيدا وصور والصرفند بحسب مكي^(٢). نذكر في هذه المرحلة شخصيات شيعية سورية، وكان الأكثر شهرة الشاعر عبد المحسن ابن غلبون الصوري (٣٣٩هـ/٩٥٠م - ٤١٩هـ/١٠٢٨م)، الذي كان شيعياً علناً^(٣). ومدح آل الرسول في عدة قصائد^(٤). كما رثى الشيخ المفيد الذي توفي في بغداد بأبيات معروفة. وتُثبِت مؤلفات ورسائل الفقيه الشيعي أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكي الطرابلسي (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) لسُكَّان المنطقة وجوداً شيعياً في صور. فقد صنَّف إلى الصوريين كتاب «الأصول في مذهب آل الرسول». كما أنَّ ثورة علاقة

(١) ناصر خسرو: سفرنامه / ٥٠.

(٢) مكي: حركة / ٤٧.

(٣) ي. ديس: سوريا: ٧ / ٤٧٩.

(٤) مكي: حركة / ٥٤.

في صور في عهد الحاكم الفاطمي^(١) وموقف السوريين تجاه هذه الانتفاضة^(٢) لا يمكن تفسيرها ضمن إطار مُعاد للشيعة. لأننا نؤكد بذلك أن نبتعد عن الموضوع، وأيضاً عن الدور الذي لعبه حكام المدينة في علاقاتهم بالسكان، وعن تعزيز رغبة قديمة عند سُكَّان المُدن اللبنانية الساحلية بالحكم الذاتي. كما يجب أن نُضيف إلى ذلك السياسة الدينية التي اتبعتها الحاكم تجاه الذميين وحتى ضمن اطار التشيع. موقفُ الصوريين سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٤م تجاه انتفاضة مُنير الدولة تُظهرُ الوجهَ الشيعي للمدينة^(٣) التي بقيت من بين المدن السورية الأخيرة في ايدي الفاطميين (٥١٨هـ/١١٢٥م)^(٤).

منطقةُ أخرى شيعية في الجبل [الساحل] هي صيدا. فمؤلفاتُ الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٤٤م المُوجَّهةُ إلى سُكَّانها في رسالته «المسائل الصيداوية»^(٥). كذلك قُدومُ الكراجكي إلى صور وصيدا بهدف دفع الفقه

(١) هل أملى هذه الانتفاضة ايضاً تأثيرُ أبي سعيد التستوري في البلاط؟

(٢) فلانسي: ٥١.

(٣) اثير: كامل X (B)؛ ٢٢٢ / فلانسي / ١٢٤.

(٤) M.canard: art. «الفاطميون» ٢٠٤.١.٢ / ٨٧٤B.

(٥) س. ظاهر: جبل عامل، مجلة العرفان (١٩٤٢): ٥ / ٣١.

الشيعة، كذلك كتابه للصيداوين «إنتفاع المؤمنين»^(١). كل هذا يظهر نوعاً ما الطابع الشيعي الذي لن نتأخر بفقدته في المرحلة المقبلة.

لم تكن المنطقة الساحلية وحدها شيعية، بل كذلك التلال العاملة، فقد كانت بحسب حتي شيعية ونصيرية^(٢). ولكن يجب أن ننتظر القرن السادس للهجرة حتى تصبح المنطقة الداخلية مركز نشاط شيعي:

هكذا كان حال جزين وجبا.

عند أقدام جبل حرمون، في وادي التيم الذي اشتق اسمه من اسم قبيلة من أصل اثنتي عشرة قبيلة يمانية هي (تيم الله بن ثعلبة) سكنت الوادي، قدام جزء كبير من السكان من سوريا الشمالية، حيث عرف التشيع بمختلف أشكاله النجاح. وكان هناك امرأة تنوخيون إسماعيليون^(٣). كما عرفت هذه البقعة التشيع المتطرف (النصيري)^(٤). مما سهّل إنغراز الدروز في المنطقة على عهد وبسعي الحاكم الفاطمي كما في جبل عامل. كان هناك نجاح

(١) مكّي: حركة / ٤٧.

(٢) حتي: سوريا: II / ٢١٩، نفسه: لبنان ص ٣٢٢.

(٣) ديس: سوريا V / ٤١١.

(٤) H.Lammens: سوريا I / ١٥٢، حتي: سوريا: II / ٢١٧.

درزي في وادي التيم، قابله نوع من الفشل في جبل عامل لصالح الاثنى عشريين المعتدلين. وأبعد النصيريون نحو الشمال في جبل لبنان، كما أبعاد الدروز نحو الشوف^(١). استطاع الاثنى عشريون أن يعملوا بشكل ناجح ومعلن في العهد الفاطمي، مستعينين بتسامح الدولة وبالتقارب بين الإسماعيلية والاثني عشرية^(٢). باستثناء هاتين المنطقتين، الشوف ووادي تيم، كانت الإسماعيلية في كل لبنان متطابقة مع الشعائر الدينية الشيعية الاثنى عشرية^(٣). وكانت ضواحي بيروت^(٤) ومنطقة كسروان المجاورة منطقة تعايش اثني عشري ونصيري: سكن النصيريون منطقة البترون والمنيطرة والعاقورة^(٥).

كان كل الساحل اللبناني وبالأخص الجنوبي، متعلقاً جداً بالشيعة وبالدولة الفاطمية. وعلى الرغم من وجود نوع من الفسيفساء الشيعية، فقد كان الكل مستعداً للقتال، كل بحسب امكاناته، ضدّ السلاجقة من جهة والصليبيين من

(١) بحسب استنتاجات حتي: لبنان / ٢٢٢، ح. حسن: دولة / ٢٥٧.

(٢) بحسب خلاصة محمد جواد مغنية: حاكمون / ١٧٥-١٧٦.

(٣) صليبي: لبنان / ١٥.

(٤) ابن يحيى: بيروت / ٢٢، ١٩.

(٥) Lammens: تسريح: II / ٥٧.

جهة أخرى.

وصلت طرابلس في هذا العصر إلى نفس مستوى المناطق الشيعية الكبرى. فمنذ وصول سليمان ابن جعفر بن فلاح الكتامي إلى سوريا في عهد الحاكم. حسنت هذه القبيلة وجودها في البلد وبالأخص في المنطقة الساحلية. فعين سليمان أخاه علي^(١) حاكماً على طرابلس. لكن هذا الأخير لم يتأخر بفقد منصبه مع خيبة آمال الكتاميين في مصر. ولكن المدينة استمرت تحت إدارة هذه العائلة، وجذبت الشيعة من دمشق حيث كانوا يعانون المصاعب. [هذا مبني على أن بني عمار أمراء وقضاة طرابلس كتاميين. ولكننا أثبتنا في غير مؤلف لنا أنهم عرب أقحاح من بني طي (المهاجر)].

كان بنو عمار قضاة المدينة الفاطمية. وتمكنوا سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، يساعدهم الوضع في سوريا خلال ضعف الفاطميين، من تأسيس الكيان السياسي الاثني عشري الثاني بعد الدولة الحمدانية (هذه المسألة سنبحثها لاحقاً). سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، مرّ ناصر خسرو بطرابلس قبل استقلالها

(١) قلانسي: ٤٤.

بعدة سنوات على يد بني عمّار. كانت تعدّ ٢٠٠٠٠ نسمة كلهم من الشيعة. ويضيف أنّ الشيعة بنوا مساجد جميلة في كل البلد^(١). فماذا كان يعني بـ «البلد»؟ أهى منطقة طرابلس فقط، أم كلّ بلاد الشام؟

يبدو أنه كان يعني طرابلس ومحيطها. لأن عدداً كبيراً من القرى كانت تُعتبر جزءاً من المدينة^(٢).

كان شيعة لبنان في ذلك الأوان مَقْسُومِينَ إلى فئتين: الذين يعيشون في المُدُن، والذين يُقيمون في الجبال اللبنانية.

أمّا الفئة الأولى، فبالإضافة إلى النشاط الديني والثقافي لعلمائهم ومشايخهم وساداتهم^(٣) الذين نشروا التشيع، فإنهم انشغلوا بنشاطات ضرورية كالزراعة والعناية بالحمضيات وقصب السكر وأشجار أخرى مُثمرة وغير مُثمرة والحدايق^(٤). إضافةً إلى بعض الصناعات الحرفيّة في صيدا. وقد عُرفت صور بغناها^(٥). وفي طرابلس^(٦)

(١) ناصرالدين خسرو: سفرنامه / ٤٧ - ٤٨.

(٢) Fr.Buhl:art «طرابلس» IV E.1 / B ٦٩٣.

(٣) أناس عاملون متحذرون من أهل البيت.

(٤) ناصر إي خسرو: سفرنامه ص ٤٩.

(٥) نفسه ص ٥٠.

(٦) نفسه ص ٤٨.

٢٢٠ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

أهتمّ الشيعةُ بالزراعة كذلك (قصب السكر، الموز، الحمضيات... الخ.) وبالصناعات ذات المنشأ الزراعي (الورق، السكر). أما باقي المدن الساحلية، فقد جاءت في المرتبة الثانية كجبل وبيروت.

أما الشيعة الذين سكنوا الرّيف اللبناني فقد اهتموا بالزراعة وتربية المواشي. هذا ما كان عليه الشيعة العامليون الذين سكنوا «قرى جميلة»، حيث نجد الكروم وأشجار الزيتون^(١) والزراعات الموسمية. وقد أمضوا وقتهم بين اهتماماتهم بالزراعة وتربية المواشي، وهكذا كان حال الشيعة في كسروان وجبل. لقد استفاد شيعة هذه المناطق من الوجود الفاطمي لزيادة أنشطتهم على كل الصعيد. [الحقيقة أننا لم نفهم وجه العلاقة بين هذه الحالة الإنتاجية المتأصلة، وبين الوجود الفاطمي الطارئ والمؤقت (المهاجر)].

ج- فلسطين

كان حال فلسطين كحال لبنان نوعاً ما. ففي هذا العصر، ضمت فلسطين الكثير من الشيعة. فمنطقة الجليل، التي

(١) مقدسي: تقاسيم ص ١٨٠.

تُمثل استمراراً طبيعياً لجبل عامل، وبخاصة طبريا، المدينة الرئيسية في الأردن، كانت بأكملها شيعية بحسب المقدسي: «أهل طبريا كلهم شيعة»^(١). وقد مرّ الجليل بنفس المراحل التي مرّ بها جبل عامل، وكان مرتبطاً به طبيعياً وسياسياً. وكما عرفَ جبل عامل، مثل كل سوريا، التحوّلات العقائدية نحو التشيع، كذلك أصبح الجليل شيعياً هو أيضاً وبحسب نفس التحوّلات. يمكن لنا أن نجد فيه إثني عشرين ثم نصيرين. وهذا واقعي جداً عندما نعلم بأن القائد النصيري في اللاذقية أبا سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني (٣٥٨هـ/٩٦٩م - ٤٢٦هـ/١٠٣٥م) مُتحدّث أصلاً من طبريا كما تدلّ نسبته. ولم يغادر مدينته التي وُلد فيها إلّا ليكون إلى جانب الخصيبي والجنبلاني^(٢) في حلب. كل ذلك يحملنا على الاعتقاد بأن طبريا عرفت التشيع قبل مجيء الفاطميين بكثير^(٣). ولنلاحظ هنا أن هذا لا يتناقض مع رأي المقدسي، الذي يركّز على الطابع السني للمدينة قبل مجيء الدعاة الفاطميين^(٤). كانت الخطب في طبريا

(١) نفسه ص ٢١٦.

(٢) زركلي: أعلام: III / ١٢٨، طويل: علويون / ٢٠٦.

(٣) وجدت مظاهر شيعية في عهد الطولونيين.

(٤) مقدسي: تقاسيم / ٢١٦.

تلقى باسم الخليفة الفاطمي المعز قبل قدوم جعفر بن فلاح إلى المدينة بكثير^(١).

وبحسب ناصر خسرو^(٢) فإن محيط طبريا، الغني بالمزارع والقرى المطيعة ببُحيرتها العذبة، كان شيعياً بأكمله. وكما الحال في طرابلس وصيدا وصور، فإن كتابات (رسائل) الشريف المرتضى تظهر وجود الشيعة في طبريا. أما الكراكجي فقد أثبت في الرملة التي كان سكانها شيعة بحسب كتابه «كنز الفوائد»^(٣).

احتوت مدُن أخرى في منطقة فلسطين على شيعة: «نصف سكان نابلس وقدس»، كذلك «أكثر سكان عَمَّان»^(٤). حتى القدس كان فيها شيعة. فالأحداث التي ذكرت من قبل غالبية في المصادر كذلك عند Laoust^(٥) بين السنة والشيعة في السنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م في كربلا وبغداد وسامرا والقدس تُثبت ذلك.

إن وجود الدروز في فلسطين^(٦) وبالتحديد في صفد

(١) اثير: كامل: VII / ٢٢، ابو الفدا: مختصر II / ١٠٩.

(٢) ناصر خسرو: سفر نامه / ٥٣.

(٣) الأمين: خطوط / ٧٠، ظاهر: جبل عامل، العرفان ١٩٤٢ جزء ٣١ / ١٢٢.

(٤) مقدسي: تقاسيم / ٢١٦.

(٥) Laoust: Schismes / ١٦٨.

(٦) أسود: ذخائر / ١١٨.

وعكاً وجبل الكرمل ومنطقة طبريا، يُثبتُ وجود تشيُّع في الأراضي الفلسطينية إبان العصر الفاطمي. وإن يكن بالإمكان تسجيل عودة بعض الدروز إلى السُّنَّة في جبل صغد والكرمل. ويمكن تفسير ذلك بأنه ردّة فعل على السياسة المذهبية للحاكم، التي كانت نتائجها مضرّة على التشيُّع إجمالاً. فالظاهر أنها أدت إلى حدوث تصدّعات في قلب التشيُّع. وهذا خطيرٌ جداً. إنّ حصول ذلك في شمال فلسطين، ترك التشيُّع المُنهار لصالح السُّنَّة التقليدية، التي ظلّت على الرغم من ذلك موحّدةً بوجه الدعاية الشيعية.

د- الرملة و الجراحيون:

لعب بنو الجراح الطيِّيون، وكذلك الكلبيّون، دوراً مهماً في تاريخ هذه المرحلة في سوريا الجنوبية والوسطى. من الصعب جداً معالجة الموضوع السياسي - الديني للجراحيين. حيث تتداخل عدة عوامل لجعل المهمة مُعقّدة جداً. ولكن بما أننا استطعنا أن نقع على أجزاء مُبعثرة من تاريخهم في المصادر، فسوف نحاول أن نكشف، بالرغم من عدم كفاية المادّة، بعض المظاهر التي يمكنها الإضاءة على المصيدة السياسية - الدينية للجراحيين.

هـ- يمانيون:

كان الجراحيون في الرملة طيبيين يمانيين، كذلك بنو كلب في الشمال الذين عملوا معهم ابتغاء التصدي للحكومة الفاطمية المركزية. من هنا فإن كون اليمانيين^(١) قد تصدّوا للفاطميين في سوريا هذه التي تحوّلت إلى التشيع، يحملنا على الاعتقاد بميول شيعة اثني عشرية عند الجراحيين دون تأكيد ذلك.

و- مع القرامطة:

يبدو أن الجراحيين قد استفادوا جيّداً من الصراع الذي دار بين السبّعيين/الاسماعيليين، بوجهيهم الفاطمي والقرمطي. فتحالّوا مع القرامطة منذ الوجود الفاطمي في سوريا. فحافظ دغفل بن الجراح سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١-٧٢ م على الرملة لصالح الجنابي القرمطي أثناء حملة هذا على مصر^(٢). وبعد سنتين كان حسان بن الجراح في الجيش القرمطي ضد مصر^(٣).
إذا سمح الجراحيون لأنفسهم بأن يُشتروا بالمال من

(١) تمت دراسة العلاقات بين اليمانيين والشيعة في القسم الأول من الجزء الأول من هذه الأطروحة.

(٢) قلانسي ص ٢.

(٣) نفسه ص ٢.

قَبْلَ الفاطميين، كما حصل غير مرّة، فذلك تحديداً لغياب قضيةٍ عُلِّيا يمكن أن تربطهم بحلفائهم، وسوف تتكرّر هذه الحالة عدّة مرات في تاريخ الجراحيين^(١).

ز- مع الفاطميين:

استطاع الجراحيون أن يفرضوا أنفسهم على الفاطميين لقوّة تأثيرهم ولأهميّة قبيلتهم في فلسطين. فقد كان باستطاعتهم التّأرجح بين الفاطميين وحُكّامهم في سوريا، دون أن يتمكنوا من العمل لحسابهم الخاص بنجاح.

وبسبب عدم قدرتهم على تأسيس بُنيةٍ سياسيةٍ خاصّةٍ بهم، وجدّ الجراحيون أنفسهم أحيانا بالسّعي إلى تحصيل المال من أينما تأتّى لهم. وغالباً غارقين في سياسةٍ بدويّةٍ، أملتّها عليهم حالةٌ عدم التوازن السياسي بين القوَى المُحيطة بهم، بالإضافة إلى نقصٍ طَبْعِيٍّ مُزمنٍ في خطّة التنظيم.

كان المنحى العام للسياسة الجراحيّة مُعاداة الفاطميين. وكانت السياسةُ الفاطميّةُ إجمالاً ضدّ الجراحيين. لذلك بحث الطرفان عن المناسبات الملائمة ليفرض كلّ طرفٍ

(١) نفسه ص ٤٧ و ١٩.

منهما سياسته من جانبه على الآخر. فمُساعدة الجُراحيين للقرامطة، وانتفاضة مُفرج في أعقاب إبعاد الكتّامين عن السلطة في مصر^(١)، والمناداة/إعلان خليفة في الرملة مقابل الموجود عباسياً- فاطمياً، وتشكيل ثلوث قبلي، كذلك العلاقات الجراحية - البيزنطية، كل ذلك يدخل ضمن إطار سياسة الجُراحيين المُضادة للفاطميين. وبالمقابل فإن سياسة الفاطميين المُضادة للجُراحيين^(٢) يمكن أن نراها من خلال الدور الذي لعبه القائد الفاطمي الفضل سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م بين أبي تغلب الحمّداني ومُفرج الجُراحي. ذلك أنه أعطى الرملة للثاني، وجاء إلى طبريا ليُحرّض الأول على الاستيلاء على المدينة نفسها، فنجح بذلك بمواجهة الاثنين ببعضهما البعض، وأدّى إلى التخلص من الحمّدانيين. لكن الجُراحي عرف كيف ينقذ نفسه في اللحظة الأخيرة بالتوجّه للخليفة العزيز ليوقف قائده الفضل^(٣).

مظهر آخر من مُعاداة الجُراحيين تتمثل بالحملة الفاطمية

(١) قلانسي: ص ٥٠.

(٢) هذا ليس فقط مُعاداة للجُراحين، بل مُعاداة للشيعة الاثنى عشريين.

(٣) قلانسي: ص ٢٢-٢٤.

سنة ٣٧١هـ / ٩٨١ م^(١). فقد رأى الحُكَّام الفاطميون في الجراحين اعداءً يجب التخلص منهم^(٢).

ح- مع سوريا الشمالية:

كانت سوريا الشمالية وبالأخص حلب الحمدانية شيعيةً في ذلك العصر. فدخل الطيبيون في علاقةٍ مع حُكَّام حلب. لقد بدأوا مع بكجور الحاكم الحمداني لحمص، ثم استمروا بدعمه عندما أصبح حاكماً ثم ثائراً ضد الفاطميين في دمشق^(٣). لم يكن ذلك فقط مع بكجور، ولكن مع أول مرداسي: صالح بن مرداس، الذي دخلوا معه في تحالف، وشكّلوا معه ومع سنان الكلبي الثالوث العربي الذي حاول الحلول مكان الفاطميين في سوريا^(٤).

ط- مع البيزنطيين:

لمحةٌ أخرى مميزةٌ للسياسة الجراحية، هي التآرجح بين الفاطميين والبيزنطيين. فعندما طُرد حسان من فلسطين على يد الدزبري سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م، مرّ بإنطاكية

(١) نفسه: ص ٢٥.

(٢) نفسه: ص ٢٩، ٣١-٣٢.

(٣) فلانسي: ص ٢٥، ٣٠-٣١.

(٤) الأثير: كامل IX B: ص ٢٣٠ - ٢٣١ K ابن العديم I ص ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣١.

وساعد البيزنطيين في حملاتهم على سوريا الشمالية^(١). هذا الطابع في السياسة الجراحية مُعَبِّرٌ جداً، لأنه يأتي بعد المطالبة بخليفة معاد للموجود، أو بالأحرى الموجودين: العباسي والفاطمي. ويمكن وضع ذلك في إطار المُعاداة للفاطميين من قبل الجراحيين والمنافسة في سوريا بين مختلف المذاهب الشيعية، في ظل غياب المنافسة السنية القادرة على توحيدهم. إضافة إلى ذلك فإن هذا التقارب يأتي بعد عدّة سنوات على تعيين الخليفة لشريف علوي على الرملة.

مهما يكن فإن الجراحيين لم يستديروا باتجاه بيزنطة لأنهم كانوا اثني عشرين فقط، بل بغياب أي مساعدة أخرى. ويجب البحث عن أسباب أخرى لا تدخل ضمن إطار التعصّب والسلطة.

ي- بعض الملامح التي تعكس تشييع الجراحيين.

يمكن لسلسلة من الملامح السياسية أن تفسّر أقلّه نوعاً ما تعاطفاً شيعياً اثني عشرياً عند الطائيين. فقد بدأ اتجاه سليمان بن جعفر بن فلاح^(٢) الذي حاربوه أولاً

(١) نفسه ص ٤٢٠.

(٢) شيعي كُتامي. تسامحه مع الدمشقيين لاثني بائتي عشرين: قلانسي ص ٤٨.

ثم دعموه وسلّموه منجوتكين^(١). دليل آخر هو سلسلة من الانتفاضات التي حصلت تماماً بعد السياسة المعادية للكتاميين في مصر. فثار علاقة في صور، ومفرّج في فلسطين. فجاء البيزنطيون للمساهمة إلى جانبهم^(٢). أفلا يدعونا هذا للتفكير بدعم جراحي للكتاميين الاثنى عشرين [كذا! ولكن هؤلاء الكتاميين البربر كانوا إسماعيليين بالتأكيد (المهاجر)] الموجودين في سوريا منذ وصول سليمان بن جعفر؟ هذا، بالإضافة إلى المُنَاداة بخليفة شيعيٍّ مقابل الموجود فاطمياً وعباسياً. ومع أن هذا القرار اتُخذ نحو سنة ٤٠٢ هـ/ ١٠١١-١٠١٢، بتحريض من الوزير الفاطمي أبي القاسم الحسين بن علي المغربي، الذي هرب حديثاً من مصر إلى فلسطين، طالباً حماية حسان الطائي، فقد ظلّ (أي هذا القرار) نقطة ارتكاز حول المعتقد الديني للجرّاحيين، وحول سياستهم ومستوى صراعهم مع الفاطميين، الذي لم يُعد الآن مسألة أموال ولكنه بات مسألة سياسية - دينية بامتياز، على مقياس كلّ الخلافات التي كانت قاعدة لكلّ التصدّعات في تاريخ الإسلام.

(١) فلانسي ص ٣٦ - ٤٧.

(٢) نفسه ص ٤٩ - ٥٠ / اثير: كامل IX (B) ص ١٢٠.

ولقد ذكرت قصة هذه المناداة / الإعلان في مختلف المصادر^(١). كان اختيار الشريف المكي أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الموسوي من قبل الوزير المغربي الغاضب^(٢) مناسباً تماماً لتظهير اعتراض شيعي اثني عشري وكذلك سني أيضاً حول علاقة القرابة بين حكام مصر وآل النبي. فتوجه الوزير الفاطمي السابق إلى مكة، واصطحب معه أثناء العودة هذا الشريف إلى فلسطين، الذي كان عند وصوله محاطاً بالعلويين، حيث أعلن أميراً للمؤمنين في الرملة. وكان يحمل سيف علي بن أبي طالب (ذو الفقار). واستناداً إلى كرد علي^(٣)، فقد صك الطائيون عملة باسمه. واتخذ الخليفة الجديد من جانبه إجراءات تقديمية يمكن أن ترضي الفئات الشعبية، من ذلك أنه ألغى تقليد الانحناء أمامه وتقبيل الأرض، ووزع الأموال على الناس.

لكن الحاكم الفاطمي لجأ إلى سطوة المال التي يحسنها جيداً، كما جرب تأثيرها السريع. وعن هذا الطريق

(١) اثر: كامل IX (B) ص ١٣٢، فلانسي ص ٦٤ عن الذهبي.

(٢) موسوي نسبة لموسى الكاظم.

(٣) كرد علي: خطط: ١ ص ٢٤٦.

توصل إلى إقناع حسان وأبيه بالتخلي عن الخليفة المضاد، الذي عاد إلى مكة، بينما فرّ المغربي إلى العراق. كانت الإجراءات الجراحية في هذا المشروع الطموح عريضة جداً. وبذلك تخطت بمسافة كبيرة كل امكانياتهم الذاتية، وإن كانت تستجيب لمعتقداتهم وطموحاتهم. لذلك يستحيل علينا أن نضع الحركات الجراحية ضمن مجرد إطار سياسي بدوي للنهب وذهنية عدم الاهتمام بالاستقرار في سوريا. هذه التي فتحتها الإسلام بكل مشاكله الاجتماعية والسياسية والدينية. والتناقضات بين الجراحين والفاطميين وضعها هلال الصابي^(١) في إطار حضري من الاختلافات المذهبية. ويّلام ابن الجراح على كتاب «المعتقد الذميم والغدر في الدين». وقد ذكر بعض الجراحين الآخرين لدى سبط ابن الجوزي إلى جانب شريف شيعي اثني عشري سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م^(٢). تُظهر هذه الاستنتاجات التي قمنا بها، حول مختلف ملامح السياسة الطائفة في فلسطين إبان العهد الفاطمي، نوعاً ما الطابع الشيعي الاثنى عشري لفلسطين، وكذلك

(١) ذكره القلاسي / ٧٤.

(٢) ذكره القلاسي / ٩٦-٩٧.

مناطق جنوب لبنان (جبل عامل). لقد قاومت فلسطين عند قدوم أتسز بن اق^(١)، التركي الذي عمل لصالح السلطان ملك شاه^(٢)، فاحتل سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م الرملة والقدس ثم دمشق سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، حيث ألقى الخطبة باسم الخليفة العباسي المقتدي، وألغى العبارة الشيعية من الأذان. وبعدها عاد إلى مصر خائباً، ثارت الرملة حيث حمل السكان السلاح ضد أتسز. وفي القدس سُرق ماله فتوجب عليه الدخول إلى دمشق لتحضير غزو فلسطين مرةً أخرى التي عادت للخطبة الشيعية. فاستعمل العنف لأخذ القدس والرملة وغزة، فقتل سُكَّان هذه المُدن. فأصبحت فلسطين مزروعةً بالعنف والنهب، مهجورةً من غالبية سكانها عشية الاحتلال السلجوقي للمنطقة. ولم يكن هذا حال الفلسطينيين فقط، فدمشق أيضاً أصبحت مدينة خالية: فمن أصل ٥٠٠ ألف من سكانها و ٤٠ من خبازيها لم يبق إلا ٣ آلاف نسمة وخبازين اثنين. لقد كان الوضع خطيراً جداً في كل سوريا بشكل عام.

تمكن الشيعة الاثني عشريين من التأثير على تاريخ سوريا

(١) اثير: كامل IX (B) / ١١١، ١٠٠، ٩٩، ٦٨، قلانسبي: ذيل / ٩٨-٩٩-١٠٩-١١١.

(٢) اثير: كامل IX (B) / ٦٨.

من دون أن تكون النتائج لصالحهم. فقد آذوا الوجود الفاطمي دون التمكن من اقتلعه. لكنهم لم يسمحوا بأن تصبح سوريا ملكية فاطمية صلبة، دون التمكن من اقتلعه. كان المسرحُ خالياً فعرف السلاجقة كيف يملأوه، فاحتل تُتَش بن ألب ارسلان دمشق سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م، ووقعت فلسطين في أيدي الأرقبيين حتى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م. استطاع الفاطميون الحفاظ على عسقلان وبعض المُدن الساحلية مثل بيروت وصور وصيدا وعكا حتى وصول الصليبيين.

٣- سوريا الشمالية والجزيرة:

نظراً لموقعهما الجغرافي الأقرب إلى العراق من مصر، شكَّلت سوريا الشمالية والجزيرة «الممرَّ الخلفي للعراق»^(١). ممَّا فرَضَ على هاتين المنطقتين تاريخاً مُعقَّداً جداً، كما كانت حركة الوفود الشعبية التي غَدَّتَهما دائماً.

من هناك استطاع التشيُّعُ المرورَ من العراق نحو الغرب والجنوب الغربي. ومن الطريق نفسه حاولت الإسماعيليَّة دون نجاح الوصولَ إلى العراق: المركز الروحي والسياسي

(١) فلانسي: ٣٣ - ٣٤.

لكل العالم الإسلامي.

كانت الحقبة الحمدانية مُزهرةً بالنسبة للتشيع الإثني عشري، كما بالنسبة للنصيرية كما رأينا في القسم السابق. لكن الحمدانيين أبعدوا من قِبَل العُقيليين في الموصل وفي جنوب وشرق الجزيرة، ومن قِبَل المروانيين في ديار بكر. أما في سوريا الشمالية فقد بدأ موظفو الحمدانيين بإبعادهم لترك المجال للفاطميين ثم للمرداسيين.

صحيحٌ أنَّ سكان هذه المناطق تلقوا تحولات. نذكر مسألة العنصر التغلبي في ديار ربيعة الذي سندرسه في إطار العقيلية. لكنَّ عملنا يتوقف على تحليل وضع السكان تجاه المشاكل الدينية- السياسية لعدم كفاية المعطيات في المَظان. لذلك سوف نرى أنفسنا مضطرين إلى تلمُّس طريقنا مستخدمين سياسة الحكام تجاه رعاياهم ومحيطهم (الفاطميون، البويهون، السلاجقة) لفهم موقفهم تجاه التشيع والوجود الشيعي في إماراتهم.

أ- الإمارة المروانية: السُّكان

تألَّفت هذه الإمارة في ديار بكر^(١). وهي منطقة شكَّلت

(١) C. cahen, M. canard art "ديار بكر، I. E. ٢. II. ص ٢٥٣ A. b وما يتبع.

مع أرمينيا ملكية حمدانية لسيف الدولة في حلب حتى موته سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م، حيث ألحقت بالإمارة الحمدانية في الموصل. قبل أن يستولي عليها بويهيو بغداد، ثم لاحقاً بان الكردي. ومن بعده سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ابن أخته أبو علي الحسن بن مروان.

جذر الوجود الحمداني في ديار بكر التعاطف مع التشيع. وسيف الدولة ولد ودُفن في ميفارقين. وقد ظلت هذه المدينة بالنسبة له ولكل الحمدانيين في الموصل ملجأ لهم في كل مرة يأتيهم التهديد من الغرب (البيزنطيين) أو من الشرق (بغداد).

لم تستطع الإمارة المروانية وضع حد لما قام به الحمدانيون في ديار بكر: ففي أيام المرواني الأول أبي علي بن مروان (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م - ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م)، ظل سكان ميفارقين، وبالأخص الطبقات الشعبية، مؤيدين للحمدانيين^(١)، ما قاد المرواني إلى التخلص، بمساعدة واليه، من سكان المدينة الذين تصدوا للوجود المرواني، فتم نهب المدينة وإعادة بناء ميفارقين جديدة مقرية من المروانيين^(٢).

(١) H.F.Amedroz الأسرة المروانية في ميفارقين. JRAS ١٩٠٣ ص ١٢٤.

(٢) نفسه ص ١٢٥.

ولتثبيت الإمارة جيّداً، حاول المروانيّ الزواج من ابنة سعد الدولة الحمّداني صاحب حلب. كما انفق ٢٠٠ ألف درهم^(١) ابتغاء التأكّد من دعم المقرّبين من الحمّدانيين. لكن قلة ثقة السكّان بالمرواني استمرّت في آمد بعد السياسة المروانية تجاه ميفارقين، واغتيل أبو علي في هذه المدينة بمؤامرة دبّرها شيخ المدينة مع الحمّدانيين^(٢).

بعد أبي علي بن مروان، خلفه أخوه أبو منصور سعيد (٣٨٦هـ/٤٠١هـ/٩٩٦م-١٠١٠م). وظلّ الشعب حكماً وداعماً. واضطرّ ابنُ دمنة الذي أخذ المدينة، للتوجّه إلى سكّانها طالباً دعمهم ليتمكن من الحكم. فظلّت المدينة خارج السيطرة المروانية حتى سنة ١٠٢٠هـ/١٠٢٠م. ظلّ السكّان فعّالين ضمن جوّ الغضب، ويبدو لي أنّ المروانيين لم يستطيعوا وضع نهايةٍ بشكل فعال للتأثير والنشاط الحمّداني مع وجود الغاصبين (ابن دمنة، شروه، ابن فليوس....) الذين لم يتركوا للمروانيين الوقت لتجذير سلطتهم وبدء عملهم، فجرت محاولات لكسب السكّان

(١) نفسه ص ١٢٥، انظر: كامل IX (B) ص ٧٢

(٢) Amerdoz ص ١٢٦.

بأيّ ثمن في ميفارقين^(١). قلق السكان من موقف شرويه بعد اغتيال ابن منصور وإرسال أمواله إلى آمد، والإشاعات عن أنه يريد تسليم المدينة للبيزنطيين، فانتفض الناس ونهبوا المدينة وسيطروا عليها، وأعطيت لأبي نصر نهاية عام ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م. فبدأ حكمه بسياسة مُتسامحة ومُحسنة تجاه الشعب^(٢).

أكمل السكان لعب دور مُهم حتى خلال وجود ابن جهير. في أرزن توجه السكان للسلطان السلجوقي بهدف تغيير حاكمهم أبي علي البلخي، وقد نجحوا بذلك وحل مكانه أبو طاهر الأنباري^(٣). في ميفارقين كما في كل ديار بكر والجزيرة. دأب السلاجقة على دفع مبالغ من المال ابتغاء تحسين الوضع الاقتصادي للسكان^(٤). فسكان ميفارقين هم من طلب مجيء السلطان بركياروق سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٩٣ م، وهم من أجبروا القاضي ابن مجور على قبول مفاتيح المدينة^(٥).

(١) Amedroz: ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) نفسه ص ١٣٢.

(٣) Amedroz: ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤) نفسه: ص ١٥٠.

(٥) نفسه: ص ١٥١.

مهما يكن فنحن أمام سُكانٍ لعبوا دوراً كبيراً في كلّ المنطقة، وأجبروا الحكام على تغيير مشاريعهم، ابتغاء خدمة مصالح الشعب أكثر فأكثر. هذا الحراكُ لعبه كلّ الشعب، وليس فقط أبناء الطبقة الميسورة^(١). وإذا نحن أضفنا إلى ذلك أنصارَ الحمدانيين في ديار بكر، والقاعدة العربية للسُكان^(٢) بحضور حاكم كرديّ، وفي ظل غياب قاعدة كردية كافية لتستطيع دعمه، يمكننا أن نتساءل بشكل أو بآخر عما إذا كان جزءٌ من السكان على الأقل^(٣) لا يتعاطف مع الشيعة؟!

يمكننا تكوين فكرة أوضح حول هذا الموضوع بعد تحليل السياسة المروانية.

ب- السياسة المروانية في الميزان:

بين البويهيين والفاطميين:

لم يستطع المروانيون، وبحكم موقع أراضيهم، اتباع سياسة خارج مدار القوتين الكبيرتين المطوّقتين لديار بكر: البويهيين من جهة، والفاطميين من جهة أخرى

(١) نفسه: ص ١٥٠.

(٢) حصل ضمور للمنصر التغلبي لصالح القيسي (canard: تاريخ السلالة ص ٥٧٦).

(٣) يجب ألا ننسى وجود قسم مسيحي بين السكان (Amedroz ص ١٤٩).

الذين اضطروا لقتالها أولاً لإقامة أمارتهم. لذلك سوف نرى عندهم سياسة مُقَرَّبَة من الشيعة، ملائمة أكثر للإثنى عشرين من «السبعين» / الإسماعيليين، إذ أنهم كانوا مقربين من الأول أكثر من الآخرين.

كان الخلاف بين باذ والبويهيين^(١) ثم الحمدانيين حقيقةً بديهية. إذ أن هذا القائد جاء لانتزاع أراضٍ كانوا يملكونها. كان هذا الإعتداء موجَّهاً بنحوٍ أخَصَّ نحو البويهيين الذين كانوا أسياد المنطقة التي كان حُمدانيو الموصل مرتبطين بها سنة ٣٨٠هـ. انتزع ابنُ أخته أبو علي السلامَ لحمدانيي الموصل، وجعل يحكم من قِبَل الخليفة العزيز^(٢). ثم تَمَّ هذه السياسة بالتحالف مع حُمدانيي حلب المرتبطين بمصر سنة ٣٨٦هـ.

لكنهم لم يتأخروا في ممارسة سياسةٍ مُتوازنة، فتحسنت علاقاتهم ببغداد أيام أبي منصور سعيد سنة ٣٨٦ / ٤٠١هـ الذي تلقى المرواني الثالث: أبو نصر أحمد سنة ٤٠١ - ٤٥٣هـ^(٣) سبعَ خلعٍ تكريمٍ من قبل البويهى سلطان الدولة،

(١) انظر: كامل IX (B) ص ٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٣٩ - ٥٤ - ٥٥ - ٧٠ - ٧١ / Amerdoz: ص ١٢٢ - ١٢٤.

(٢) أبو الفدا: مختصر. II ص ١٢٦.

(٣) Amerdroz: ص ١٢٨، ١٢١ - ١٣٢.

مع كتاب مديح وألقاب التشريف ودعمه. وقد تُلي كل ذلك أمام السكان ابتغاء الحصول على دعمهم وإخلاصهم معهم ألقاب الشرف من قبل الخليفة الفاطمي في القاهرة. وبعد عدة أيام وصل وفد بيزنطي إلى ميفارقين، فاحتفل الأمير بعيد الأضحى مُحاطاً بالوفود الثلاثة.

سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م استقبل المرواني لاجئاً بويهياً هو الملك العزيز ابن جلال الدولة الذي جاء لتمضية بقية حياته في قلعة إسعرد^(١). وفي العام التالي (٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) أُلقيت الخطبة في ديار بكر باسم السلطان البويهي كالجار^(٢).

– وزير اثنا عشري:

نسجل في زمن أبي نصر وصول شيعيٍّ اثني عشريٍّ حَسَن السمعة جداً إلى الوزارة هو أبو القاسم المغربي، وذلك سنة ٤١٠ هـ / ١٠٢٤ م^(٣). كان هذا قد لعب دوراً كبيراً إلى جانب الفاطميين والجراحيين والعُقيليين والبويهيين والمروانيين. وكانت لهذه الشخصية علاقة قرابة

(١) نفسه: ص ١٣٥.

(٢) الأثير: كامل IX (B) ص ٥٢٥.

(٣) إعدام ١ ص ٢٥٩.

مع العلويين. وكان زوج اخته علي بن أبي طالب بن عمر بن علي. لقد كسب هذا الوزير ثقة أبي نصر المغربي وتوفي سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م^(١). ودُفن في الكوفة بقرب مقام الامام علي في مشهد الغري^(٢).

- قرآن بخط علي:

من الملامح التي تُظهر تعاطفاً شيعياً عند المروانيين، يمكن أن نلاحظ أيضاً الأهمية التي حظيت بها نسخة من القرآن مكتوبة بخط الإمام علي، احضرها المملك العزيز البويهي الملتجئ عند أبي نصر.

اتخذ هذا القرآن قيمة كبيرة، وتمت توأمة مع الحجر الثمين الأحمر المسمى جبل الياقوت الذي كان يزن سبعة مثاقيل، واعتبرا هديتين مهمتين قدّمهما البويهي للأمير المرواني^(٣).

- علاقات مروانية مع أربع شخصيات بميول شيعية: مرداسيين وعُقيليين:

لقد كانوا متأثرين بصالح بن مرداس لإنهاء خلاف مع

(١) سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م بحسب اثر: كامل IX (B) ص ٢٦٢.

(٢) Amerdoz ص ١٢٤.

(٣) نفسه ص ١٢٥.

عُطير النميري حول أدسا^(١). تحالفت العائلتان على عهد ثمال ونصر بن مروان.

أما فيما يتعلق بالعُقيليين، فقد حصل تحالف عائلي على عهد قرواش المعروف جيداً بميوله الشيعية. ثم تحالف مع مسلم بن قريش ابتغاء التصدي لابن جهير، الذي احتل الجزيرة من قبل السلاجقة^(٢).

– الصراع المرواني مع السلاجقة:

إذا كان حكم أبي نصر تجربةً سياسيةً مهمةً لهذه الإمارة الفتية بين قوتين متفوقتين جداً، فقد أتى السلاجقة لتعقيد هذه التجربة.

أتى طغرل بك مع ١٠٠٠٠ فارس لاحتلال ديار بكر، رافضاً الانسحاب مقابل مبلغ من المال. فاضطر أميرها لمحاربته. وبالنتيجة نجح في هزيمة السلاجقة وأسّر عدد من رجالهم^(٣).

ولكن بالرغم من أن أبا نصر ألقى الخطبة باسم طغرل بك، كما سنرى لاحقاً، فإن هذا الأخير جاء سنة ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦

(١) إ. عديم ١ ص ٢٥٩.

(٢) أثير: كامل IX (B) ص ١٣٤ / إ. بن العديم II ص ٨٤.

(٣) Amedroz ص ١٣٧.

م لوضع اليد على نصيبين وديار بكر^(١) ومحاصرة ميفارقين سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م، ابتغاء إجبار الأمير أبي القاسم نصر (٤٥٣ هـ / ٤٧٢ هـ / ١٠٦١ - ١٠٨٠ م) على ترك الإمارة لأخيه سعيد. دفع الأمير ٥٠٠٠٠ دينار مقابل انسحاب الجيوش السلجوقية، وترك آمد لأخيه سعيد^(٢).

وفي العام نفسه (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م) طرد ابن جهير من ديار بكر، وجاءت جيوش سلجوقية بقيادة سلالر لمحاصرة ميفارقين. فقتل شقيقان للأمير، وقتل سلالر^(٣). وهكذا نجح المروانيون بإنقاذ أنفسهم من ثلاث محاولات سلجوقية للسيطرة على ديار بكر عنوة.

وعلى الرغم من أن لقاء نظام الملك ألب أرسلان سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م قد هدأ الوضع، فإن ابن جهير العامل لصالح السلاجقة، قد نجح سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٥ م بقيادة جيش تركماني سلجوقي للسيطرة على ديار بكر^(٤). وقد نجح مع ابنه بوضع نهاية للإمارة المروانية سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٦ م. بعد

(١) أبو الفدا: مختصر II ص ١٧٥.

(٢) Amedroz ص ١٤٢.

(٣) نفسه ص ١٤٤.

(٤) اثير: كامل IX (B) ص ١٣٤، ١٤٣-١٤٤، أبو الفدا: مختصر II ص ١٩٦، ٢٠٠ / Amerdoz ص

١٤٦-١٤٧، طبّاخ I ص ٣٤٧.

سبع سنوات، جاء الأمير المرواني منصور ليحكم ميفارقين لمدة خمسة أشهر، مستغلاً الفوضى التي حصلت بعد موت ملك شاه. لكن البلد لم يُعتم أن وقع بين يدي تُتش عم السلطان بركياروق سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٤، قبل إعادتها لبركياروق نفسه الذي كان قائد السلاجقة في العراق. لكن المروانيين استمروا مع ذلك بالتأثير على ديار بكر لعدة سنوات بعد انتهاء وجودهم الرسمي^(١).

هذه هي، نوعاً ما، بعض الملامح التي بإمكانها أن تصنع من مروانيي ديار بكر إن لم يكونوا شيعة، فإنهم على الأقل لم يكونوا أخصاماً لهم. هذه السياسة أملاها عليهم محيطهم الشيعي (بغداد البويهية والقاهرة الفاطمية)، كذلك وجود قسم كبير من الشيعة والنصارى بين سكان إمارتهم. جاء كل ذلك قبل وبعد ظهور السلاجقة على مسرح العراق وإمارتهم. وإن يكن هذا الظهور قد أجبرهم على تعديل سياستهم، دون التمكن من الإفلات من الخطر السلجوقي، الذي جاء ليفرق كل المسرح بهذه الاطروحة بفارق بضع سنوات بين منطقة وأخرى.

(١) Amerdoz ص ١٥٤

– مظاهر تقرب من السلاجقة:

إذا كان المروانيون قد أظهروا الكثير من التعلق بإمارتهم، فقد أظهروا أيضاً الكثير من الموهبة السياسية في سبيل الحفاظ عليها أمام رياح الشرق (الغز، السلاجقة) العاتية. ضمن هذا الإطار من السياسة، يمكننا تفسير التقرب السلجوقي – المرواني، الذي بدأ أيام أبي القاسم نصر أثناء حملة الغز سنة ٥٤٢٠ / ١٠٢٩ م.

قام الغز بحملة نهب واسعة^(١). حاول المروانيون والعُقيليون معاً وقف الموجة التي اجتاحت نصيبين وسنجار والخابور. إلا أن تدخل طغرل بك السلجوقي هو الذي وضع نهاية لهجمة الغز وانهزمت الإمارة المروانية^(٢).

سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م وفي نفس السنة التي مُنح فيها سكان الكرخ في بغداد من إقامة مراسم عاشوراء، أُلقيت الخطبة من قبل أبي نصر باسم طغرل بك^(٣). فقد أقام أبو نصر علاقات جيدة مع طغرل وتبادل الهدايا معه^(٤). وضمن إطار هذه العلاقات الجديدة، استقبل حفيد

(١) انظر: كامل IX (B) ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

(٢) نفسه IX ص ٢٨٩.

(٣) نفسه IX ص ٥٥٦، ٥٦١.

(٤) انظر: كامل IX ص ١٨.

الخليفة القائم، الذي سوف يصبح المُقتدي، في آمد سنة ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م مع أمه بعد ثورة البساسيري في بغداد^(١) التي انتهت بإلقاء الخطبة المستنصرية في بغداد.

بعد عدة سنوات (٢٦٣ هـ/١٠٧١ م)، وبالرغم من المحاولات السلجوقية الثلاث المذكورة سابقاً، حصل لقاءٌ مهمٌ في تاريخ العلاقات بين الطرفين، فقد أتى نظام الملك لزيارة أبي القاسم نصر، الذي التقى بدوره السلطان الب أرسلان، وحصل تبادل للهدايا، وعاد بعدها المرواني بلقب «سلطان الأمراء»^(٢).

ارتفعت أصواتٌ في البلاط السلجوقي، قبل سقوط ميافارقين تماماً سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٦ م، حول السلطان ابتغاء تسليم منصور (٤٧٢ هـ/١٠٨٠ م - ٤٧٨ هـ/١٠٨٦ م) ميافارقين وآمد ومناطق أخرى في ديار بكر. لكن الأمير رفض بانتظار نتيجة مقاومة أبي سالم^(٣). تُظهر هذه الأصوات في البلاط نوعاً ما رأياً سلجوقياً ميّالاً لكسب المرواني والخضوع لمخطط ابن هجير، الذي نفذ بحملته تصفية حساب مع المروانيين. لكن عزوف الأمير يُفسّر بالعودة

(١) Amerdoz ص ١٢٥.

(٢) نفسه ص ١٤٤.

(٣) نفسه ص ١٤٦.

إلى العداوة السلجوقية بعد فشل سياسته التقريبية. لكن الأوان كان متأخراً والإمارة كانت قد ضاعت. بعد هذه المحاولة في البحث عن التشيع في ديار بكر في العصر المرواني وعند الأمراء المروانيين، يمكننا القول أن هذه المرحلة تقع في إطار الانتشار الشيعي. وكانت المنطقة واقعةً بين الاثني عشرين والسبعين / الإسماعيليين. ولم تستطع الحكومة الكردية أن تخطو خطوة إلى الأمام ابتغاء تحقيق العودة إلى الخط القويم للمعتقد. وكان المروانيون مضطرين للتأرجح بين الفاطميين والبويهيين أحياناً إلى عدم مناقضتهم خلال ستين عاماً تقريباً ٣٨٠هـ - ٤٣٦هـ (خطبة أبي كاليجار) أو ٤٤١ هـ (خطبة طغرل بك). بينما لم يكن الحال كذلك في السنوات الأربعين للتأثير السلجوقي ٤٤١-٤٧٩هـ، حيث كان عدم الثقة مهماً. وجاءت الجيوش السلجوقية عدّة مرات لتهديد المروانيين قبل وضع حدٍّ لأعمالهم سنة ٤٧٩هـ.

٤- عُقيليوا الموصل (٣٨١هـ - ٤٨١هـ / ٩٩٠ - ١٠٨٨ م): كانت آخر سلالة عربية كبيرة في الشرق قبل هذه الفترة هي سلالة العُقيليين التي كانت لها نقاط تشابه كثيرة مع

المروانيين، أقلّه من حيث تواريخ الولادة ونهاية الكيان السياسي التي تتقارب. وكان الوضع الجغرافي والسياسي ذاته، وإن يكن الأول أقرب إلى الجنوب بقليل من الآخر. وظلت بغداد من جهة والقاهرة من الأخرى المحور التي تدور حوله هاتان السلالتان، قبل أن يأتي السلاجقة للحلول مكان البويهيين، ولإعطاء بغداد منحى آخر ولحرف السياسة العقيلية، ما أن صار العقيليون على الطريق نحو الغرب مُحاولين استرجاع محور القاهرة، دون أن ينسوا محور بغداد السلجوقي، ابتغاء انقاذ النصف الشرقي لإمارتهم.

أ - استمرار الإمارة الحمدانية في الموصل:

إن المصادر التي عُدنا إليها، كما الأعمال الحديثة، لا تعطي معلومات فيما يتعلق بسكان هذه الإمارة، لا نستثني من هذه الملاحظة إلا دراسة كانار على تاريخ السلالة الحمدانية^(١)، حيثُ استنتج من خلال غياب أي معلومات عن التغلبيين عند بدء العدوان الكردي باتجاه الجزيرة، أنّ العقيليين وجدوا مكانهم تكتيكياً في حقيقة أنّ العنصر التغلبي كان في حالة ضمور، على حساب الاندفاع القيسي نحو الجزيرة.

(١) Canard : تاريخ السلالة الحمدانية ص ٥٧٤-٥٧٦.

لأن السياسة الحمّدية الحربية ولّدت خسائر سكانية بين المجموعة التغلبية من جهة، ومن جهة أخرى هجرة تغلبية واسعة باتجاه الأراضي البيزنطية وسوريا الشمالية. ولكن هل يعني ذلك أن الصورة السكانية للجزيرة قد تغيّرت كثيراً، على الأقل على المستوى السياسي - الديني؟ من المؤكد أن المائة عام من حكم العقيليين لم تستطع أن تمحو، أو لم تحاول أن تمحو، كل ما كان متأصلاً في الجزيرة. وقد أعطى الحمّديون للمنطقة السيادة، كما التعاطف مع التشيع الذي لم يكن غريباً عن هذه المنطقة. وبدل أن يعمل العقيليون لصالح أبناء قبيلتهم الحمّديين المتراجعين، أتوا للتصدي لبأذ ليستولوا على السلطة^(١) لأجل مصالحهم الخاصة.

ب - السياسة العقيلية في الميزان:

بين البويهيين والفاطميين:

كما كان حال الحمّديين، كان الخضوع العقيلي للبويهيين أمراً لا مفرّ منه، يُمليه حال الإمارة الأقرب إلى بغداد من القاهرة. وكان هذا الخضوع ظاهراً بحسب

(١) انظر: امل IX (b) ص ٧٠-٧١ / CANARD: تاريخ السلالة / ٥٧٥.

Zetterteen^(١). ولكن بالرغم من كل ذلك وصل ممثل بويهى إلى الموصل سنة ٣٨١ هـ لمراقبة ابي الذؤاد محمد بن المسيب^(٢) الذي بقي السيد الحقيقي. لقد أُملى الخلاف مع ممثل بغداد على العقيليين أن يلقوا الخطبة في الموصل سنة ٣٨٢ هـ باسم الخليفة الفاطمي العزيز^(٣).

يبدو أن العقيليين كانوا مستعدين لإلقاء الخطبة باسم خليفة بغداد ومُساندة السلطان البويهى، ومُساهمة الحمّدانيين بنفس الطريقة بـ «كنز الدولة»، دون القبول بتدخل بويهى متقدم أكثر. لأجل ذلك، وبعد موت أبي الذؤاد، أجبر أخواه ممثل البويهيين على ترك الموصل^(٤). وحلت المصالحة مع بهاء الدولة البويهى في الخطبة وبمساهمة «كنز الدولة»^(٥).

لكن البويهيين جاهدوا في ممارسة تأثير أكثر وسلطة أكثر على من هم تحت سلطتهم. مما دفع قرواش^(٦) إلى الدخول في صراع مع البويهيين سنة ٣٩٢ هـ/١٠٠١ م.

(١) K.V.Zetterteen: art Okailides E.I. III. ص ١٠٣٩. A.

(٢) اثر: كامل IX (B) ص ٩٢، ٧٥.

(٣) اثر: كامل II (A) ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) اثر: كامل IX (B) ص ١٢٥.

(٥) نفسه IX ص ١٢٦.

(٦) كانت لقرواش فترة حكم طويلة ابي نصر المرواني (٣٩١ هـ/١٠٠٠ م-٤٤١ هـ/١٠٤٩ م).

بعد سنة على اغتيال والده مقلد على يد مواليه الأتراك^(١)
سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م، بحسب ابن الأثير^(٢) وسنة
٤٠١هـ / ١٠١٠م بحسب أبي الفدا و Laoust^(٣)، ألقى
قراوش الخطبة باسم الخليفة الفاطمي في القاهرة الحاكم
في كل من الموصل والأنبار والمدائن والكوفة. وهذا ماقاد
laoust إلى وصفه بالأمير الشيعي.

مهما يكن فإن قراوش، من خلال تصديده للبويهيين الاثنى
عشرين، وجد نفسه عند الفاطميين السبعين / الإسماعيليين.
لكن الجهة الأولى كانت مؤثرة أكثر، فاضطر قراوش لقطع
الخطبة الفاطمية للعودة إلى العبارة البويهية^(٤).

سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م اعترض قراوش على بغداد بمعاونة
العسكريين الاتراك، في ظل غياب المساعدة الفاطمية.
وهكذا وجد نفسه مهزوماً^(٥).

لكن ذلك مهدّد لدخول قوة جديدة على المسرح.
أكمل الأمير العقيلي الاعتماد على الاتراك مع ثقته بقوته.

(١) اثير: كامل IX (B) ص ١٧٠، ١٦٤.

(٢) نفسه IX ص ٢٢٢.

(٣) أبو الفدا: مختصر II ص ١٣٩-١٤٠ / laoust: تصدعات ص ١٦٧.

(٤) اثير: كامل IX (B) ص ٢٢٣ / أبو الفدا: مختصر II ص ١٤٠.

(٥) نفسه ص ٢٢١-٢٢٢.

سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م حرّض أترك بغداد على جلال الدولة البويهى. ولكن وجب عليه الخضوع للبويهيين، لأنه ثار على الأترك^(١) بعد علاقاته الجيدة معهم.

أيام قرواش (٣٩١هـ - ٤٤١ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٤٩م) بدأ التأثير التركي. أمّا خلفاؤه: بركة (٤٤١هـ/١٠٤٩م - ٤٤٣هـ/١٠٥١م) وقريش بن بدران (٤٤٣ - ٤٥٣هـ / ١٠٥١ - ١٠٦١م)، بتأثير قوة طغرل بك من جهة، والبساسيري من جهة أخرى، فقد وجدا أنهما مضطرين إلى تغيير السياسة العقيلية ابتغاء البقاء إلى جانب بغداد القريية^(٢). قاتل قريش البويهيين سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م^(٣) مع قبوله سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م بالخطبة الفاطمية وبالمصالحة مع المقرّبين من الفاطميين: البساسيري ودبّيس بن مزّيد في الموصل^(٤). في السنة ٤٤٧ هـ، وضع طغرل بك نهايةً للوجود البويهى في بغداد، فوجد العقيليون صعوباتٍ في ترتيب أمورهم بين بغداد والقاهرة.

صحيحٌ أنّهم لم يكونوا مضطرين لأخذ رأي الفاطميين

(١) اثير: كامل IX ص ٤٩١، ٤٨٩.

(٢) سوف تُدرس هذه المسألة في إطار العلاقات مع السلاجقة.

(٣) اثير: كامل IX (b) ص ٥٨٦.

(٤) نفسه IX ص ٦٣٦.

طالما أن الأمور كانت تجري جيداً مع بغداد، لكن مسلم (٤٥٣ - ٤٧٨ هـ / ١٠٦١ - ١٠٨٥ م)، وتأثير ميوله الشيعية^(١) وقبل بسط إمارته نحو سوريا الشمالية، دخل في دائرة التأثير الفاطمي (٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م). لكن السيطرة على حلب سنة ٤٧٢ هـ / ١٠٨٠ م جعله يفقد تحالفاً مع الفاطميين ابتغاء انتزاع دمشق من تُشش^(٢). لكن الفاطميين كانوا غير قادرين على إرسال فرق مساعدة / إسناد لدعم إمارات سوريا الشمالية والجزيرة لوقف الاندفاع السلجوقي نحو الغرب. ذلك ما أجبر مُسلم في النهاية على إلغاء كافة مشاريعه مع الفاطميين، وعلى التكيف مع الوضع الجديد. ولم يكن ذلك صعباً على شيعيٍّ معروف جيداً، فهو لم يستطع الاعتماد على القوة الفاطمية حتى في المواقف الأكثر حرجاً وخطورة^(٣).

العُقيليون والبساسيري:

لا يمكن إطلاقاً أن نضع الصراع بين قريش بن بدران والأمير الشيعي ديبس بن مَزِيد الحلّي^(٤)، كذلك مع

(١) سوف نعالج الملامح الواضحة لتشييع العقيليين بشكل منفصل.

(٢) أنظر: كامل IX (B) ص ١٢٧ / طَبَاخ I ص ٢٤٦ : sobernheim . مسلم بن قريش. E.I II ص ٨٠٨ - ٨٠٩ .

(٣) ابن العديم II ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٤) ولاية شيعية كاملة: أنظر: كامل IX ص ٥٧٧ - ٥٧٨ .

البساسيري حمو ابن ديبس، الذي جاء لينتزع الأنبار من العقيليين سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م^(١)، في إطار الخصومة مع الشيعة، مع كون وجود صراعات إقليمية أُقحمت فيها المصالح العقيلية. ففي هذا الاتجاه هدّد قريش مدينة الحلة سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، وسلب إبلاً وماشية من البساسيري سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م، قبل طرده من الأنبار^(٢). أُقحمت الموصل سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. وتحالف قريش مع أعدائه السابقين ليدخل عاصمتها^(٣).

هناك سببان اثنان أمليا على قريش سياسته مع هذين الشيعيين، الأول: هو المصلحة الإقليمية لإمارته، والثاني هو بغداد، من خلال ضغط سلاطينها السلاجقة. بعد استيلاء السلجوقي إبراهيم يّنال شقيق السلطان على الموصل، لحق العقيلي بالبساسيري في الرحبة، وحاول معه انتزاع الموصل من يّنال دون أن ينجحاً. فاحتلّ بغداد حيث أقيمت الخطبة باسم الخليفة الفاطمي وبحسب العبارة الشيعية، ورُفع الأذان بـ (حي على خير العمل)^(٤). لكن

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٥٨٦.

(٢) نفسه IX ص ٥٨٦، ٥٩٨، ٦٠٠.

(٣) نفسه IX ص ٦٢٥-٦٢٦.

(٤) قلانسى ص ٨٨.

قريشاً لم يتأخر في لبس السواد والالتحاق بالخليفة تاركاً حليفه لنهايته المحتومة^(١).

إنه الخوف من القوة السلجوقية هو الذي وضعه في المأزق، وهو الذي تركه يخون حليفه كي ينقذ نفسه ويعود إلى ملكيته.

العُقيليون والسلاجقة:

كانت العلاقات بين العُقيليين والسلاجقة طبيعية، كما كانت مع البويهيين أو أي قوة أخرى جاءت للسيطرة على بغداد لوضع الخليفة تحت وصايتها.

مع استيلاء طغرل بك على بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م لم يُطرح موضوع التّقرّب مع هذه القوة الفتية جديّاً. وكان الاتراك في خدمة بويهيين بغداد، كذلك في خدمة عُقيليّ الموصل. فقد كانوا يتحرّكون دون القدرة على تغيير السّلالات الحاكمة.

بدأت المسألة التركية تصبح جديّة للعُقيليين على عهد قرواش عندما استولى العُزّ، موالي طغرل بك، على الموصل وألقوا الخطبة باسمه. دافع العرب، وعلى رأسهم

(١) اثير: كامل IX(B) ص ٦٤٢، ٦٤١، ٦٣٩، ٦٣٢، ٦٣٠ / قلانسي ص ٨٩.

العُقيليّون، عن مناطقهم، وقاتلوا الغُزَّ^(١)، متعرضين لصعوبات من جانب الأتراك الذين كانوا في الجيش العُقيلي كما في الجيش البويهّي.

حاول العُقيليّون الذين شعروا بأهميّة الأتراك استعمالهم لتحرر من القيود البويهية. وفي السنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠م حرّض قرواش أتراك بغداد ضد جلال الدولة كما رأينا. ولكن وجب عليه التّكرّر لهذا المشروع تحت ضغط عُقيل وعدم ثقته بالأتراك.

لكن بداية التّكريم العُقيلي للسلاجقة حصل سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م، عندما سيطر قريش بن بدارن، المختلف مع البساسيري، على الأنبار وألقى الخطبة باسم طغرل بك^(٢)، الذي كان يمثّل القوة الوحيدة في المنطقة القادرة على الوصول إلى بغداد لوضع الخليفة العباسي تحت وصايتها. كانت وجهة نظر قريش منطقية جداً. فجاء في السنة التالية ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م إلى بغداد لمقابلة السلطان السلجوقي طغرل بك نفسه الذي كان قد احتلّ العاصمة لتوّه^(٣).

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٣٨٧-٣٩١.

(٢) اثير: كامل IX (B) ص ٦٠٠.

(٣) نفسه IX ص ٦١١.

وللدفاع عن مصالحه، استمرّ قريش بسياسة التقرب من بغداد، فقاتل مع ابن قطلمش الشيعيين البساسيري ودبّس دون النجاح بذلك^(١). ثمّ تصالح قريش مع خصومه لأجل استعادة الموصل، حيث كانت الخطبة فاطمية. ولكن عند قدوم طغرل بك أعيدت الخطبة السلجوقية^(٢). وإن يكن قريش قد قاتل ضدّ السلاجقة بعد سيطرة ابراهيم يتال على الموصل. ذلك تحديداً لأنّه فقد القضية التي لأجلها كان مضطراً للتقرب منهم. ولكن عندما أصبح في بغداد مع البساسيري، أقرّ بقوة السلاجقة وخان حليفه بهدف الحصول من السلاجقة على الثقة المفقودة.

لكن شرف الدولة مسلم بن قريش ظلّ الأمير العقيلي الوحيد الذي وجد أكبر قدرٍ من الصعوبات في علاقاته مع السلاجقة. إذ أنه كان مضطراً للدوران على محوري الفاطميين والسلاجقة في نفس الوقت للحصول على إمارة مُزدوجة (الموصل وحلب)، أو حتى مثله إذا أخذنا بعين الاعتبار نواياه بالوصول إلى دمشق. كان مسلم أميراً شيعياً علناً أكثر من باقي العقيليين.

(١) اثير: كامل IX ص ٦٢٥-٦٢٦.

(٢) نفسه IX ص ٦٢٧-٦٢٩.

وكان من المنطقي بالنسبة اليه الاعتراف بالخلفاء الفاطميين الشيعة قبالة الخليفة السني العباسي تحت الوصاية السلجوقية. لكن السلطان ألب أرسلان، الذي كان يسعى للحاق به وانتزاعه من دائرة التأثير الفاطمي، استدعاه إلى بغداد سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، حيث تلقى الخلع ومُدنًا في بلاد ما بين النهرين (الانبار، هيت، حربا، البوازيج)^(١). ومن المحتمل جدا أنه تزوج في هذه الفترة من خاتون عمّة ملك شاه^(٢) التي عندما ترمّلت، تزوجت من أخيه ابراهيم. بعد هذه المعاهدة اضطرّ مسلم لقتال بني كلاب (الشيعة) في الرحبة، لا لشيء إلا لأنهم كانوا من اتباع الفاطميين^(٣).

استمرّ مسلم بالتعويل على رضى بغداد. فاجتاح حلب سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م، متأكدا من مساعدة السلطان ملك شاه ابن ألب أرسلان، و طالبا من بغداد أن تنصبه أميراً مقابل المال^(٤). لقد أراد مسلم الاستفادة من التناقضات بين سلاجقة سوريا وسلاجقة العراق، دون أن

(١) اثر: كامل IX (B) ص ٥١ / sobernheim: art. ص III J. E. ٨٠٨-٨٠٩.

(٢) إبن العديم II ص ٧٦ / بحسب sobernheim هي صفية: art. مسلم.

(٣) اثر: كامل IX (B) ص ٧٥.

(٤) نفسه IX ص ٥١ / ابوالفدا: مختصر II ص ١٩٤/ طباخ I ص ٣٤٤.

ينسى مدّ يده للفاطميين^(١).

أغضبت هذه السياسة ملك شاه، الذي أرسل ابن جهير سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م^(٢) ابتغاء انتزاع سوريا الشمالية والجزيرة من مؤيدي الفاطميين. فهزم مُسلم ومنصور بن مروان قُرب آمد. بعد خيبة أمله، تقرب مسلم من السلطان ملك شاه، بفضل عملية ابن الوزير نظام الملك، وطلب منه العفو راعياً، فعفا عنه السلطان وأعادته إلى ممتلكاته^(٣)، فأكمل نشاطه في سوريا الشمالية، وإن يكن قد قاتل ابن قتلش سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، فقد كان ذلك بإيحاء من ملك شاه ومن دون معارضته. فخسر المعركة لأن التركمان في صفوفه لم يكن لهم ثقة به، وانقلبوا إلى جانب عدوّه^(٤).

سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م^(٥) سيطر تُتش على حلب، ثم تركها عند وصول السلطان ملك شاه الذي أخذ قلعة سالم بن بدران العُقيلي مقابل قلعة جعبر. وأقام على حلب قاسم

(١) اثير: كامل IX (B) ص ١٢٧.

(٢) اثير: كامل IX (B) ص ١٣٦/عديم II ص ٨٤، ٧٥.

(٣) ابن العديم II ص ٨٥ /sobernheim: art مسلم بن قريش.

(٤) اثير: كامل IX ص ١٤٠ / طباخ I ص ٣٥١.

(٥) اثير: كامل IX ص ١٤٨ / ابو الفدا: مختصر II ص ١٩٧/عديم II ص ١٠٠-١٠٢.

الدولة اق سنقر المؤسس الحقيقي للامارة الزنكية. في الموصل، خلف ابراهيم أخاه مسلم (٤٧٨هـ/١٠٨٥م-٤٨٢هـ/١٠٩٠م)، فدعاه ملك شاه الى بغداد حيث أُلقي في السجن. وحكم الموصل فخر الدولة ابن جهير. وبعد موت ملك شاه عادت الموصل عُقيلية، لكنها سقطت بيد تُتُش سنة ٤٨٦هـ الذي كان سلجوقياً أكثر منه عُقيلياً^(١). بعد السنة ٤٨٩هـ/١٠٩٠م أصبح القادة العسكريون الاتراك أسياد سوريا وبلاد ما بين النهرين. يجب أن نفهم أنّ إبراهيم آخر عُقيلي حقيقي في الموصل. ومع مسلم اختفت القوة العقيلية فعلياً.

الملاحح الواضحة لتشييع العُقيليين:

حتى الآن، وفي طور البحث عن قواعد وأسباب السياسة العُقيلية، وإظهار كيف أن هذه السياسة في طرفيها المقرب من الفاطميين والمقرب من السلاجقة، قد استطاعت عدم مناقضة تشييعها الذي سوف يُكشف بشكل أوضح فيما يلي: إن لم تكن لدينا معلومات تستطيع تأكيد تشييع كل العُقيليين، فلدينا على الأقل معطيات أكيدة عن مسلم بن

(١) كانت امه سلجوقية، عمّة ملك شاه.

قريش الذي كان «رافضياً خبيثاً يشتم السلف»^(١).
لَسنا نعرف ما كان المقصود بكلمة «رافضي» التي تصف
الشيعة كافة. وفي سبيل الإجابة على التساؤل فيما يخص
مُسلم نستعرض ما يلي:

بحسب الزركلي^(٢)، كان مسلم شيعياً، اضطهد السُّنة
في حرّان، وفكر بالاستيلاء على بغداد بعد طغرل بك.
قبره موجود منذ السنة ٦٥٠ هـ تحت قبة بناها في مشهد
الامام الحسن العسكري^(٣). لم يكن مسلم شيعياً بشكل
علنّي فقط، بل ان عامله في حرّان جعفر العقيلي أعلن بدوره
تشيّعه، ما جعل السُّنة وتحديدًا الحنبلين في المدينة ينتفضون
ضده. اضطُرَّ مُسلم لترك كرسي دمشق سنة ٤٧٦ هـ ليُعيد
إخضاع المدينة^(٤). إضافة لما قلنا عن مسلم، هناك مظاهر
أخرى أقل وضوحاً تعود إليه وإلى قرواش يمكن أن تساعدنا
في الكشف عن تشيّعهما.

فوزارة أبي القاسم الحسين بن علي المغربي على عهد
قرواش، وهو الشخصية الشيعية المعروفة جيّداً سابقاً

(١) طبّاخ ١ ص ٣٥٤.

(٢) زركلي: أعلام VIII ص ١١٩ B.

(٣) طبّاخ: ١ ص ٣٥٢.

(٤) إعدام: II ص ٨٢-٨٣/قلانسبي: ص ١١٦.

عند الجراحين والمروانيين، هذه الوزارة تنطوي على مغزى واضح . نتساءل اذا لم يكن العقيلي شيعياً اثني عشرياً فما هو وجه القبول بهذه الشخصية الهاربة من الفاطميين، والتي حاولت منافستهم بتنصيب خليفة مُضادٍ اثني عشري؟! تتضح الملامح الشيعية الخالصة في سياسة مسلم تجاه سكان سوريا الشمالية الشيعة بمجملهم، فقد فتح أبواب إمارته أمام كل السوريين المضطهدين والهاربين من ظلم تُشش^(١). بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما هاجم الفرق التركمانية التي جاءت لمساعدة تُشش لحصار حلب^(٢). ودخوله إلى حلب كان تلبيةً لطلبٍ كلابيٍّ مرداسيٍّ^(٣). ونتساءل عن ماهية الدور الذي لعبه الشريف الحيتي لتسهيل دخول مسلم إلى المدينة؟!

مهما يكن فإن السياسة التي اتبعتها مسلم تفسر روابطه مع الحلبيين، فقد بدأ يصير شيعياً بقوة: صارت المؤن تُنقل وتوزع في حلب، ابتغاء مساعدة السكان على الصمود أمام الحالة المعيشية الصعبة^(٤)، وحرر الشريف

(١) ابن العديم II ص ٦٧.

(٢) نفسه II ص ٦١.

(٣) أبو الفدا: مختصر II ص ١٩٤ / ابن العديم II ص ٦٧.

(٤) ابن العديم: II ص ٦٩، ٧٢.

الهاشمي الحثيثي^(١). وجاءت الوفود الشعبية إلى حلب لتقديم فروض الطاعة لمسلم من جبل بُهراء (منطقة شيعية، هي نفسها ما يُسمّى اليوم جبال العلويين)، من حمص، من أفايا ومن شيزر^(٢). وعوّضَ على الامراء المرداسيين بإعطائهم مُدناً صغيرة مثل قلعتي اعزاز وأثارب^(٣). هكذا تظهر السياسة الشيعية لمسلم بن فُريش العُقيلي. ولكن مع بقائه شيعياً فقد أراد التقرب من ملك شاه السلجوقي، كما رأينا، للحفاظ على الموصل. لكن الحلبيين المنزعجين من هذا التقرب أصبحوا عديمي الثقة به، فطالب الشريف الحثيثي كما عرب كلاب بتُشش دون أن يُريدوه فعلاً^(٤).

لكن السؤال الأخير الذي يجب علينا طرحه قبل أن نختم قصة تشيع العُقيليين، يتعلّق بنوع تشيّعهم بين الأنواع الأساسية الثلاثة للتشيع. فهل كانوا إثني عشريين، أم غير ذلك؟

الحقيقة أننا لا نملك معطيات قاطعة يمكن أن تُستعمل

(١) نفسه: II ص ٦٨.

(٢) أيضاً II ص ٧٠.

(٣) أيضاً II ص ٧٠ / sobernheim: art / مسلم E. I الصفحة غير المذكورة.

(٤) أيضاً II ص ٧٩، ٨٩، ٩٨.

في هذا المجال. لكن موقع إمارتهم الاقرب الى بغداد،
والقرية أيضاً من تأثير العراقيين الذين انتقلوا إلى الجزيرة منذ
القرن الاول للهجرة، كذلك تاريخ السبعين / الإسماعيليين
الذين لم يستطيعوا الاستقرار في سوريا منذ سنواتهم الاولى،
والذين وجب عليهم الالتحاق بشمال افريقيا لتكوين أول
كيان سياسي لهم، ومن تاريخ استقرار حسن بن صباح في
قلعة ألموت سنة ٨٤٣ هـ.

من كل ذلك نستنتج أنّ تشييع العقيليين كان اثني عشرياً.
سوريا الشمالية والمرداسيين (٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م - ٤٧٢ هـ
/ ١٠٨٠ م).

من الحمدانيين إلى المرداسيين.

— الغلمان (٣٩٢ هـ - ٤٠٦ هـ) بعد سعيد الدولة المتوفى
سنة ٣٩٢ هـ انتهت الامارة الحمدانية فعلياً. وسيطر على
الحكم غلمان الحمدانيين (لؤلؤ وابنه منصور).

أثبت الحلبيون، الاثنا عشريون بمعظمهم، أثناء حكم آخر
الحمدانيين، تكرّهم لأي نوع من التعصّب والعدوانية تجاه
الدولة الفاطمية. كانت الخطبة فاطمية والمساهمة بالأموال
كانت محترمة. لكن انقلاب لؤلؤ الذي خلفه ابنه منصور،

أظهر فترة من العداوة للاثني عشرين من خلال:
 - طابع حكومتهم المعادي للشعب، فكسبوا حقد الحلبين
 (الشيعة^(١))، وذلك بتقريب تقريب النصارى واليهود^(٢)
 وإبعاد القبيلة العربية الاثنى عشرية الأكبر: بني كلاب.
 كانت كلاب تجمع السكان حولها، وبدأت بمعارضة
 نشطة ابتغاء إعطاء حلب إلى أبي الهيجا أحد أبناء سعد
 الدولة^(٣).

اجبر ثقل كلاب منصور على التفاوض^(٤) ولكن بسبب
 التعلّق بالسلطة نشب الخلاف مجدّداً، فسجن زعماء
 كلاب^(٥)، وعلى رأسهم صالح بن مرداس الذي تمكّن من
 الهرب وأعاد جمع الكلابين واجبر منصور على التفاوض
 مرّة أخرى. وكانت النتيجة ذاتها. فما كان من الحلبين
 الغاضبين من سياسة منصور إلّا أن هاجموا مقرّاته وبيوت
 النصارى واليهود^(٦) وأجبروه على الجلاء إلى أنطاكية سنة
 ٤٠٦ هـ.

(١) ابن العديم ١ ص ١٩٨.

(٢) نفسه ١ ص ٢٠٤.

(٣) أيضاً: ١ ص ١٩٩.

(٤) أيضاً: ١ ص ١٩٩.

(٥) اثير: كامل IX (B) ص ٢٢٨ / ٢٢٨. عديم ١ ص ٢٠١.

(٦) ابن العديم ١ ص ٢٠٩.

- طابع التقرب من الفاطميين لدى حكومة الغلمان، الذين كانت لهم علاقات جيدة مع الخليفة الحاكم، وحصلوا منه سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م على السماح بحكم حلب ومساعدة حاكمهم علي طرابلس ابن حيدره^(١).

هذا المظهر يُفسّر على أنه معاداة للتشيع الاثنى عشري. من حيث أنه مرتكز على أهداف نفعية من قبل الغلمان ابتغاء الحصول على الدعم المعنوي والمادي من الفاطميين لحكم حلب واضطهاد السكان الشيعة الاثنى عشريين. لذلك فشلت تجربة الغلمان، لأنهم فقدوا مساعدة من كان يجب ان يكسبهم. واثبت الاثنا عشريون قوتهم وجدواهم في اللعب بمصير سوريا الشمالية.

- الفترة الفاطمية القصيرة (٤٠٦هـ - ٤١٥هـ):

إنما استطاع الفاطميون وضع حلب تحت وصايتهم أثناء هذه الفترة، فذلك لأنهم اظهروا أنفسهم شعبيين، وجهدوا في كسب ود السكان الشيعة في المدينة.

هذه السياسة الشعبية تظهر من:

- اقتسام حكومة الإمارة بين فتح القلعي قائد القلعة وصالح

(١) اثر: كامل IX (B) ص ٢٢٨ / ابن العديم ١ ص ١٩٨-٢٠٠.

بن مرداس زعيم بني كلاب^(١). وعندما أصبحت هذه القبيلة محظية، أكدت خضوعها للفاطميين.

— المساعدة والحكم المتسامح الذي أمنه الحاكم للحلبيين. فأرسل من جانبه والي طرابلس وصيدا. وأمر الطائي حسان بن مفرج والكلبي سنان بن عليان بمساعدة حلب^(٢).

— إرسال حكام قرامطة (شيعة) بعد السنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ابتغاء عدم إثارة السكان.

— خضوع الخليفة الظاهر أمام رغبة بني كلاب، عندما دعمت عزيز الدولة ضد الفاطميين. أرسل الخليفة التفويض إلى حاكم حلب ٣ كي لا يفقد المدينة، وبانتظار اللحظة المناسبة لكسب السكان. حصل ذلك بعد فكرة إرسال القرامطة إلى المدينة.

تظهر هذه الفترة مرة أخرى أهمية سكان حلب في سياسة مدينتهم. هو ذا ما يُفسر من جهة لين الحكومة الفاطمية، ومن جهة أخرى هذه المنافسة بين الإثنى عشرين والسبعين في كل المنطقة.

(١) ابن العديم ١ ص ٢١٢.

(٢) نفسه: ١ / ٢١٤-٢١٥.

٣ نفسه: ١: ٢١٦، ١٩.

لكنّ المرداسيين، الذين كانوا منذ نهاية العصر الحمداني يحلمون بأخذ السُلطة، توصّلوا في نهاية هذه الفترة إلى تحقيق حُلُمهم، مُستفيدين من السياسة الفاطمية ومن قوّة كلاب، التي عرفت حتى الآن كيف تلعب، وكيف تقدر أن تحلّ في النهاية محلّ تغلب.

هـ- التشيع في سوريا الشمالية في عصر المرداسيين (٤١٥هـ/١٠٢٤م - ٧٢هـ/١٠٨٠م).

أ- تشيع المرداسيين:

بالنسبة للمؤرخين الشيعة الحديثيين والمعاصرين، فإن المرداسيين هم سُلالة عربية شيعية. هذا كان رأي محسن الأمين وابنه حسن^(١) من بين آخرين، دون أن يعرضوا لنا المعطيات التي من خلالها بنوا رأيهم.

سوف يكون عملنا على هذا الموضوع هو أن نعكس المظاهر الشيعة البارزة للسياسة المرداسية. ذلك قبل أن نعالج موضوع سكان إمارتهم.

ب- المرداسيون والفاطيون:

تركت السياسة الفاطمية في سوريا، التي أخذت طابعاً

(١) م. الأمين: خطلط ص ٦٨، ح. الأمين: بنو مرداس، العرفان ١٩٦٤ مجلد ٥٢ ص ٦٥٥.

نفعياً متقدماً جداً، والتي كانت جديرةً بدولة تبحث عن مصالحها ونفوذها دون أدنى اعتناء باعتبارات معنوية، سياسة الصراع مع الحكام الشيعة في سوريا (الجراحيين، الحمدانيين....) وسياسة التقرب من الحكام المناهضين للشعب والمناهضين للشيعة (غلمان)، تركت هذه السياسة المرداسيين عديمي الثقة بعلاقتهم مع الفاطميين، دون المس بالخطبة الفاطمية.

ماعدًا قلة الثقة بالفاطميين، دخل المرداسيون في صراع معهم لعدة اسباب. نذكر بعضاً منها:

- ١- وجود حاكم فاطمي طموح أراد إخضاعهم لمصالحه الخاصة: هكذا كان حال الدزبري الذي وضع نهاية سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م لنصر بن صالح (٤٢٠هـ/١٠٢٩م- ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) للإعتماد فيما بعد على الاتراك ابتغاء الابتعاد عن الحكومة الفاطمية المركزية^(١). وأثار الدزبري نفسه خلافاً مع ثمال بن صالح من خلال وضعه له شروطاً مادية صعبة ليترك له حلب^(٢)

(١) انظر: كامل VIII (A) ص ٢٦١ / أبو الفدا: مختصر II ص ١٦٥-١٦٦ / إيديم I ص ٢٥٠.

(٢) ابن العديم I ص ٢٥٩.

٢- مساهمة المرداسيين بخزينة الدولة الفاطمية^(١).
أرسل المستنصر قائدين بوجه المرداسيين هما الحمداني
ناصر الدولة ورفق الخادم^(٢)

ج- الضغط الكلابي:

كانت هذه القبيلة القوة الوحيدة القادرة على الكلام باسم
سوريا الشمالية في ذلك الوقت.
وكان الفاطميون، من خلال تحالفهم مع الغلمان أولاً،
ثم من خلال حكمهم المباشر لحلب، قد أذابوا الكلابيين
من مسرح المنطقة.
وللعودة إلى المسرح، دعمت هذه القبيلة صالحاً بهدف
السيطرة على السلطة. ويمكن أن نفسر التحالف مع القبائل
العربية الأخرى ضد الفاطميين ضمن هذا الإطار. فدفع صالح
حياته ثمناً لمعارضة الفاطميين في معركة الأقحوانة^(٣).
أما الصراع بين محمود بن نصر والفاطميين فقد كان
على قاعدة دعم الكلابيين لمحمود^(٤) في محاولاته لإعادة
تكوين الامارة المرداسية البحتة.

(١) نفسه ١ ص ٢٥٩، ٢٦٣.

(٢) نفسه ١ ص ٢٦٣، ٢٦٦.

(٣) ابن العديم: ١ ص ٢٣١.

(٤) نفسه ١ ص ٢٧٧، ٢٩٣ - ٢٩٤.

ما عدا كل ذلك، فقد حاول المرداسيون عدم قطع التواصل مع الفاطميين. فأرسل نصر بن صالح الهدايا إلى الخليفة الظاهر، واستقبل مبعوثين من قبله^(١). سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م دخل ثمال إلى حلب مع تواقع وتكريم الخليفة المستنصر^(٢). ثم بعد خلاف أساسه المال، عادت الهدايا تُرسل إلى القاهرة وعادت التكريمات تُرسل إلى حلب^(٣). سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م، قبل الخليفة مقايضة ثمال حلب مقابل بيروت وعكا وجبيل^(٤)، مفضلاً بذلك الابتعاد عن التأثير الكلابي، ولاجتباب مواجهة جيش فاطمي يبدو من بعيد متفوقاً على جيشه^(٥).

بالرغم من الصراع بين محمود بن نصر والفاطميين ابتغاء السيطرة على حلب، فقد أبدى رغبته بعدم الوقوف بوجه الفاطميين، وبأن الخلاف كان مفروضاً عليه، مُطلقاً المساجين الفاطميين، وعلى رأسهم ابن حمدان ورافق^(٦). إنَّ عدم ثقة المرداسيين بالفاطميين توازنت مع عدم ثقة

(١) نفسه: I ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) أيضاً: I ص ٢٦٠، ٢٦٢.

(٣) نفسه: I ص ٢٦٧-٢٦٩.

(٤) نفسه: I ص ٢٧٢.

(٥) انظر: كامل IX (B) ص ٥٦٠.

(٦) انظر: IX ص ٢٢٣ / إيديم I ص ٢٨٠.

فاطمية. وبعدها أخذ محمود حلب، اضطرُّ ثمال إلى ترك حكم مُدنه الساحلية الثلاث ضمن خطة فاطمية تقضي بعدم ترك سوريا الشمالية والساحل اللبناني^(١) بأيدي المرداسيين في وقت واحد. كان ذلك منطقياً. حيث أن هذه المناطق كانت مسكونة بغالبية شيعية اثني عشرية. إننا إذا كنا نشهدُ بشكل واضح جداً في تاريخ المرداسيين هذا الخلاف مع الفاطميين، فإنما لأن مصالحهم بالتحديد قد تهددت، ومعتقداتهم الدينية قد نأت بغياب قوة ثالثة يمكن أن تأتي لتحداهم على هذين الصعيدين في نفس الوقت.

شجع عطية بن صالح (٤٥٤هـ/١٠٦٢م - ٤٥٧هـ/١٠٦٤م) تسرب التركمان نحو الشام. فساند المستنصر محمود ضد عطية مع إعطائه لقب عضد الدولة^(٢). اعتباراً من عطية افلتت سوريا الشمالية من التأثير الفاطمي. ووجب عليها الدخول، كما كان الحال في عدة مناطق، في إطار التأثير التركي. صار الدور المرداسي صعباً، فألقوا بأنفسهم بين أذرع العقيليين بعد عشر سنوات من اعتراف الخليفة

(١) اثير: كامل IX (B) ص ٢٣٣ / إديم: ١ ص ٢٨١ / ابن يحيى: بيروت ص ١٦.

(٢) إبن العديم: ١ ص ٢٩٥، ٢٩٧.

العباسي والسلطنة السلجوقية.

د- المرداسيون والاتراك:

تقع بداية العلاقات المرداسية- التركية مع عهد عطية بن صالح، الذي كان على خلاف مع محمود. فطلب الأول من ديار بكر إرسال القائد التركي ابن خان، الذي جاء للإقامة مع ألف من أنصاره في منطقة حلب. كان ذلك الدخول الأول للاتراك إلى الشام^(١). كان مسلك المرداسيين تعسفياً، وبدون رؤية واضحة للوضع المتأثري عن ذلك. من هنا كان انقلابهم على الاتراك^(٢). الاعتراض المرداسي على طلب ابن خان العون^(٣). قُدِّم هذا الرأي من قبل محمود.

لكن محمود استعان بدوره بالاتراك أنفسهم كي يطرد عمه من حلب^(٤). فنجح بالاستيلاء على حلب. والاتراك الذين كانوا حتى الآن يُستخدمون في القضايا المرداسية، بدأوا يكسبون أهمية تمكنهم من فرض أنفسهم على المرداسيين. دخل هارون بن خان معرة النعمان، وبدأت الفرق التركية صراعاً مع البيزنطيين سنة ٤٥٩ هـ داخل

(١) ابن العديم ١ ص ٢٨٤-٢٩٥.

(٢) نفسه: ١ ص ٢٩٥.

(٣) نفسه: ١ ص ٢٩٥.

(٤) نفسه: ١ ص ٢٩٥-٢٩٦.

الأراضي البيزنطية وفي منطقة إنطاكية. قبل أن تعرف حلب صراعاً حليياً - تركيا^(١).

كان استخدام الأتراك ممكناً في البداية. ولكن مع وجود أتراك في الإمارة، إلى جانب قُوَّة تركيَّة في بغداد أصبح وضع المرداسيين دقيقاً. تجاه هذه المتغيرات، دخل محمود في مراسلات مع السلطان ألب أرسلان، ولبس المؤذنون والخطباء السواد في حلب. ثم في السنة ٤٦٢ هـ أُلقيت الخطبة باسم الخليفة القائم والسلطان السلجوقي معاً، مع تبرير هذا القرار بأنه يأتي في إطار مصلحة سكان حلب الشيعة الاثني عشرين، كي لا يتلقوا ظلم الغزاة السلاجقة السنة^(٢). هكذا أنقذت سياسة محمود حلب من ألب أرسلان الذي حاصر المدينة سنة ٤٦٣ هـ، والذي اكتفى فيما بعد بملافاة محمود، مُعطياً أيَّاه التواقيع السلجوقية للمدينة^(٣).

استمرت سياسة المرداسيين بالتقرُّب من السلاجقة ابتغاء المحافظة على أنفسهم، مع محمود الذي نفَّذ أوامر

(١) نفسه: II ص ٩-١٦.

(٢) الأثير: كامل IX (B) ص ٦٣ / إ. عديم II ص ١٦-١٨ / قلانسي ص ٩٨.

(٣) إبن العديم II ص ٢٣.

السلطان سنة ٤٦٤ هـ، وتمثّل بابن منزو الكتامي في منطقة دمشق. في السنة ٤٦٨ هـ حاصر طرابلس. ولم يرفع الحصار عنها إلّا مقابل مبلغ من المال^(١). دون أن ينسى في الأوقات الحرجة طلب المساعدة من القادة الأتراك في فلسطين مثل أّسز وقرلو^(٢).

لكنّ الوجود التركي فقد معناه بالحفاظ على المرداسيين، فبالإضافة إلى التناقضات الدينية، كان هناك مصادر أخرى للخلاف، فانفجر على عهد محمود^(٣) ثم «نصر» و«سابق»^(٤).

في هذه الفوضى في حلب، أصبح المرداسيون غير قادرين على السيطرة على الأتراك^(٥). وفقدوا في الوقت عينه ثقة الحلبيين، فحاولوا طلب ملك شاه، ما دفع مسلم بن قريش إلى احتلال حلب وإزاحة المرداسيين.

مهما يكن، فإن المرداسيين حاولوا استعمال قوّتهم الفتيّة. لكن بعد فترة من الوقت، وجد أمراء حلب أنفسهم

(١) أثير: كامل IX (B) ص ٢٣٤.

(٢) ابن العديم: ٢ / ٢٢.

(٣) ابن العديم II ص ٢٢.

(٤) أثير: كامل IX (B) ص ٢٣٤ / ابن العديم II ص ٤٩، ٥٣.

(٥) ابن العديم II ص ٥٣.

مُجبرين على أن يكونوا مُقرّبين من الأتراك، ثم بشكلٍ أخصّ التقرب من السلاجقة. لم يكن ذلك حالةً استثنائيةً بالنسبة لهم. فكل المنطقة كانت تتلقّى الضغط نفسه ضمن تحوّل جديد سياسي أولاً ثم فيما بعد عقائدي.

هـ - بنو كلاب والمرداسيون:

منذ بداية حكمهم، كان المرداسيون، المتفرّعون من كلاب، مرتبطين بهذه القبيلة بشكلٍ ضيق، واستفادوا من قوتها بهدف إقامة إمارةٍ مرداسيةٍ - كلابيةٍ خالصةٍ في سوريا الشمالية. وكان صالح بن مرداس أول من مشى مع قبيلته من بلاد ما بين النهرين إلى حلب، حيث استقروا بشكلٍ صلب^(١). فكّر صالح بعد عدّة سنوات باقتسام سوريا بين كلاب وطيء^(٢). لكن مشروعه فشل في الاقحوانة سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م.

ظلّ الكلابيون الاثنا عشريون (عالجنا هذا الموضوع في مطاوي هذا العمل)^(٣) السند الوحيد المُجدي للمرداسيين في منطقة حلب:

(١) M.Sobornheim:art صالح بن مرداس. IV ص ١١٧. A.

(٢) ابن العديم I ص ٢٢٣.

(٣) انظر ايضا c.cahen ملاحظات حول اصول التصيريين ص ٢٤٤.

١- تدخّل قادة كلابيون لحلّ الصراع بين الأخوين المرداسيين شبل وثمان^(١) بهدف تقوية حكم هذه القبيلة وإبعاد الغشاشين.

٢- دُعِم الكلابيين للمرداسيين أثناء المخاطر الخارجية التي أتت من البيزنطيين أو من الفاطميين^(٢). أمّا المساعدة الكلابية تجاه الخطر التركي، فقد كانت مهمة جداً. ذلك أنّهم دعموا محمود ضدّ عطية المعتمد على التركمان^(٣)، ووثاب ضد أخيه سابق^(٤). وإن يكن محمود قد ألقى الخطبة العباسية عن مصلحة وعن رؤية واضحة للأمر، فقد وجب عليه دائماً الإتيكال على كلاب في كل مرّة أراد فيها التخلص من الأتراك^(٥). كان الخلاف بين بني كلاب وثمان على قاعدة المصالح الاقتصادية. فثمان، الذي كان يغتنى من مساعدة هذه القبيلة، رفض اقتسام العائدات معها. فترك حلب نحو الساحل اللبناني - الفلسطيني ليكون بعيداً عن كلاب، الذين أثبتوا

(١) ابن العديم I ص ٢٣٩.

(٢) نفسه I ص ٢٤٠-٢٤١، ٢٦٦، ٢٧٥-٢٧٧.

(٣) أيضاً I ص ٢٩٣-٢٩٥.

(٤) أيضاً II ص ٥٤.

(٥) أيضاً II ص ٥٤.

مرةً أخرى أهميتهم وتأثيرهم على منطقة حلب. ما اضطرّ السلطان السلجوقي ألب ارسلان إلى التقرب منهم^(١).
ترافق الدّعْمُ الكلبي للمرداسيين مع دعم يمانى، على رأسه طيء وكتب^(٢). كل هذا يدعم البحث، ويؤكد تشييع المردياسيين.

و- المردياسيون والحلبيون:

كان سكان حلب أيام الحكم المردياسي للمدينة موضع تساؤل مع بداية قدومهم، وإن يكن وصولهم للسلطة من عمل بني كلاب، كما غالبية الحلبيين الذين نجحوا باحتلال القلعة^(٣).

أخطأ المردياسيون في تقييمهم لموازن القوى في حلب. فقد وقفوا إلى جانب الطبقة الميسورة في المدينة وعلى رأسهم التجار، واضطهدوا الأحداث فيها^(٤)، الذين كانوا على علاقة قوية مع الطبقات البائسة. فاتخذ الصراع أبعاداً اجتماعية وسياسية. واعترضت الطبقة الشعبية على المردياسيين بمساعدة من الفاطميين، الذين كانت

(١) أيضاً II ص ٢٢.

(٢) نفسه I ص ٢٦٦، ٢٧٨ / حتي: سوريا II ص ٢١٤.

(٣) ابن العديم: I ص ٢٨٨-٢٢٩.

(٤) نفسه: I ص ٢٥٥، ٢٤٩-٢٥٦.

لهم مصلحة في كسر الطبقة الميسورة في المدينة بهدف السيطرة على ثرواتها.

لذلك أتبعَت معارضة نصر بن صالح (٤٢٠هـ/١٠٢٩م- ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) للأحداث بتدخل الدزيري^(١). وتقرَّب ثُمّال (٣٢٩هـ- ٣٧٠م/ ٤٥٤هـ- ١٠٦٢م) من التجار قدّم المدينة للفاطميين^(٢).

لكن ثُمّال لم يتأخّر في سلوك الطريق السليم لحكم حلب، مُعتمداً على الطبقة الشعبية. ويفسّر دعم الخليفة الفاطمي المستنصر^(٣) في أعين الطبقة الشعبية نوعاً من الابتعاد عن أغنياء حلب. فاحتلَّ ثُمّال المدينة بمساعدة الأحداث وسكانها^(٤)، وأصبح المرادسيون حكاماً شيعيين. واجه الحلبيون ناصر الدولة بن حمدان الذي أتى لاحتلال المدينة من قبل الخليفة الفاطمي، علماً بأن الطبقة الميسورة كانت تُشير عدم ثقة ثُمّال^(٥).

كانت العلاقات بين الحلبيين والمرداسيين وثيقة. فقد

(١) نفسه: أ ص ٢٥٠.

(٢) نفسه: أ ص ٢٥٦.

(٣) نفسه: أ ص ٢٦٠.

(٤) انظر: كامل IX (B) ص ٢٣١/إعديم أ ص ٢٦١.

(٥) انظر: كامل IX ص ٢٣١/إعديم أ ص ٢٦١.

اصطدم الأولون بالحكام الفاطميين من سنة ٤٤٨ هـ حتى ٤٥٤ هـ، وطالبوا بقدوم محمود بن نصر إلى مدينتهم. هذه الحركة قادها الأحداث ضد الوجود الفاطمي والمجتمع الراقي في المدينة^(١).

يبدو أن التجار في هذا العصر قد تحالفوا مع باقي السكان، لأن الحاكم الفاطمي ابن ملهم حاول مهاجمتهم ومهاجمة «الأحداث»^(٢).

ضاع الأحداث في الصراع الذي واجه شمال ومحمود ووجدوا أنفسهم معرضين لتلقي عقاب الاثنين معا^(٣). فخلصوا إلى الاستدارة باتجاه البيزنطيين^(٤)، وأن يشتروا بالمال من قبل المرداسيين غير المحبوبين من الطبقات الشعبية (عطية)^(٥).

لكن فرعاً من السلالة المرداسية كسب ثقة الحلبيين، ونجح في إقناعهم بقبول الخطبة العباسية - السلجوقية، كي لا ينتقم السلاجقة منهم. كان يُمثّل هذا الفرع نصر بن

(١) اثير: كامل IX ص ٢٢٢ / إ. عديم I ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) إبن العديم: I ص ٢٧٨.

(٣) إبن العديم: I ص ٢٨٠-٢٨٦، ٢٨١.

(٤) نفسه: I ص ٢٨٧.

(٥) اثير: كامل IX (B) ص ٢٢٣ / إ. عديم I ص ٢٩٤-٢٩٥.

محمود (٤٦٧هـ/١٠٧٥م - ٤٨٦هـ/١٠٧٦م) من خلال إحسانه تجاه الحلبيين و«الأحداث»^(١).

أصبحت العلاقة بين المرداسيين و الحلبيين، وبالأخص الطبقة الشعبية فيها، وثيقة جداً. فقد تمكن المرداسيون بعد بضع سنوات من قدومهم من كسب ثقة الحلبيين حتى في الأمور الدقيقة كتغيير الخطبة. ولجأ أمراؤهم إلى الشعب عند كل أمر مُشكل، واثقين من أن بقاءهم كان مرهوناً بشكل وثيق بموافقة السكان.

ز- ملامح أخرى من تشييع المرداسيين:

بعد كل ما كشفنا من مظاهر التشييع في السياسة المرداسية، يبقى أن نُضيف الملامح التالية إلى سياستهم، التي يُمكن أن تكون مُعبّرة ومفيدة للبحث.

١- سياسة تُمال مع البساسري الهارب من طغرل بك، فقد أرسل له المال في الرحبة وقدم له كل علامات التكريم^(٢).

٢- السياسة الدينية المتسامحة تجاه النصارى. فقد اتخذ صالح وزيراً نصرانياً (تادرس) وحمى النصارى من تعصب المسلمين. كما أن ابنه نصر اتخذ أيضاً وزيراً

(١) نفسه: ١١ ص ٤٥.

(٢) ابن العديم: ١ ص ٢٧٠.

نصرانياً (المؤمل بن يوسف الشماس)^(١).

٣- بناء الخزّان الشمالي لمشهد الدّكة^(٢) في جبل الجوشن.

ح- سُكّان الإمارة المرداسية:

إعتباراً من الحقبة الحمدانية، صار التشيع الاثنا عشري مُعترفاً به رسمياً في سوريا الشمالية، والتحق السكّان بشكل جماعيّ بهذا المذهب^(٣)، الذي ظلّ قائماً لفترة قرن من الزمن قبل أن يتعرض للتعصب الزنكي والأيوبي الذي وضع حدّاً للانتشار الشيعي في حلب تُظهر بعض المعطيات التاريخية بشكل مُعبر تشيع الحلبين:

- حُلم ابن ابي نمير سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م خلال حصار حلب من قبل البيزنطيين، فقد رأى في المنام الإمام علي باللباس الأخضر مُشاركاً بالدفاع عن المدينة، ما شجع المحاصرين في اليوم التالي على مضاعفة قواهم^(٤).

-تصرّف الطبقات الشعبية الحليّة في أعقاب الخطبة العباسية سنة ٤٦٢هـ. فقد نزعوا حُصر المسجد قائلين أنها حُصر علي. ومن أراد حُصراً فما عليه إلّا أن يطلب

(١) نفسه: ١ ص ٢٢٢-٢٢٨، ٢٢٤.

(٢) ابن شداد: أعلام (حلب) ص ٤٩ / شعبنا: درر ص ٨٧.

(٣) J.Sauvaget: art. III E.I. ٢، J. halab ص ٨٨.

(٤) ابن العديم ١ ص ٢٤٣.

- من أبي بكر وعمر أن يأتيًا بحُصْرٍ مشابهة^(١).
- معلومات تعود إلى العام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م تقول أن فقهاء حلب كانوا يصدرّون فتاوى بحسب المذهب الإمامي^(٢).
- رَفُضَ السَّكَّانَ ومعارضتهم للوجود التركي السُّنِّي في سوريا. وكان ذلك ظاهراً في المعرّة حيث استُقبل المؤيدون الألف لهارون بن خان بشكل سيء، ممّا اجبر محمود بن نصر على طلبهم إلى حلب^(٣). عندما دخل الأتراك إلى حلب وكفرتاب وحماة وحمص ورفنيّة سنة ٤٦٢هـ، أثاروا استياء السكّان^(٤).
- محاولة محمود إقناع الحلبيين بقبول الخطبة العباسية تُثبت درجة عدائهم للسنة وحاكمهم لما تبقى سوريا الشمالية أرض الشيعة الاثني عشرين فقط، بل أصبحت أيضاً مركز الجذب لديهم.
- وبحسب الطويل^(٥)، جاءت مجموعة من الاثني عشرين

(١) نفسه: II ص ١٨.

(٢) ياقوت: معجم II ص ٢٨٢B / طبّاخ I ص ٢٢٣.

(٣) ابن العديم: II ص ٩-١٠.

(٤) نفسه: II ص ١٦.

(٥) علويون ص ٢٣١-٢٣٢.

من شبه الجزيرة العربية وعلى رأسها حسان بن سرحان الدريدي التميمي للاستقرار من تخوم حرمون في منطقة جبل الحلو حتى حماه في عصر العزيز. كانوا اقوياء وفرضوا غرامات مالية على سكان هذه المنطقة. تفاهموا مع البويهيين والسوريين دون أن ينجحوا في إخراج الفاطميين من سوريا أو من مصر. [هذه الرواية موضع ريـكـبـير لسببين، فلا الجزيرة العربية أنبتت شيعة في تاريخها، ما عدا شـرقـيـها، ولا بني تميم عرفت بميولها الشيعة (المهاجر)]

مهما يكن، فإن هؤلاء السكان الشيعة الاثني عشرين في سوريا الشمالية كانوا موجودين قبل نهاية المرداسيين على أيدي السلجوقي تُشش، الذي اغتصب المناطق الشيعية في جبل السّماق، وقتل السكان كما فعل في المعرة وكفر تاب. وأخلى كل المنطقة من المعرة حتى حلب وكذلك إنطاكية^(١). في هذه الأجواء القمعي حلّ التسنن مكان التشيع في سوريا. كانت المرداسية في سوريا الشمالية امتداداً للحمـدانـية. واستمرت المنطقة اثني عشرية ومؤثرة على حكامها، مع مواجهة الدرزية في جبل السّماق^(٢).

(١) ابن العديم: ١١ ص ٦٦-٦٧.

(٢) نفسه: ١١ ص ٢٤٨-٢٤٩، محمد كرد خطاط: ١ ص ٢٥١.

مهما يكن، فإنه يبدو لي من الضروري القول بأن الشيعة كانوا موجودين في سوريا الشمالية في القرنين العاشر والحادي عشر. وهذه حقيقة واضحة جداً بعد الرجوع إلى المصادر والدراسات اللاحقة (القرن الثاني عشر) لفترة عملنا. هذا إذا تركنا النتائج التي توصلنا إليها.

من خلال كتاب «سوريا الشمالية» لكلود كاهن^(١) نرى وجوداً شيعياً في مناطق كانت مُهيَّنة جيداً في العصور السابقة لتكون مسكونة من قبل الشيعة خاصة. وأن هؤلاء كانوا موجودين، ولم تكن هناك أحداث تمنع وجودهم من هنا، فإن وجودهم هو مؤكد وهو استمرار لما قبله.

٦ - إمارة بني عمار في طرابلس (٦٢ هـ/١٠٧٠م -

١١٠٩ هـ/١١٠٩م)

إن وصول بني عمار الكُتّامين [كذا! وهو وهم شائع. وقد سجلنا فيما سبق ملاحظة على ذلك. وانظر أدنى (المهاجر)] الذين توجهوا نحو سوريا بعد غُلو شأن القائد الكُتّامي الحسن بن عمار في البلاط الفاطمي. قاد سليمان بن فلاح جيشاً كُتّامياً شيعياً بغالبيته. وأسكن كُتّامة في كل سوريا.

(١) C.CAHEN : سوريا الشمالية... ص ١٨٨-١٩٠.

في طرابلس أخذ علي شقيق سليمان مكان جيش ابن الصمصامة، لكن انقلاب الأوضاع في مصر ضد كتامة كان له تأثيره في سوريا فأبعد الفاطميون علي.

إذا كان بنو عمّار قد أبعادوا الأكثر من نصف قرن عن المسرح السياسي الظاهر للمدينة، فأنهم ظلوا مؤثرين بانتظار الوقت المناسب للقفز إلى الصف الأول. كان ذلك سنة ٤٦٢ هـ حين ضعفت الحكومة المركزية الفاطمية، فاستولى بنو عمّار على طرابلس، وأعلنوا استقلالهم، كما كان حال ابن أبي عقيل في صور، وبني صليحة في جبلة. [هناك التباسات كثيرة في هذا السرد غير المُسند، كما يُلاحظ القارئ، سنراه بأشكالٍ مختلفة فيما سيأتي من البحث. ومن الثابت عندنا أنّ بني عمّار الطرابلسيين هم عربٌ أقحاح من بني طي. وقد أثبتنا ذلك بما لا يدعُ مجالاً للريب في كتابنا (شيعة لبنان) الفصل المُخصّص لطرابلس (المهاجر)].

أ- تشيع بني عمّار:

لدينا معطيات تاريخية أكيدة تؤكد تشيع بني عمار: تشيع مختلف عن تشيع الفاطميين. وهذا يجعلنا نعتقد أنه كان اثني عشرياً كما كان سكان طرابلس ومنطقتها في ذلك

العصر^(١). إذا كان الفاطميون قد أبعادوا كُتامة عن السلطة السياسية في سوريا، فالظاهر أن هذه القبيلة استمرت بالتأثير على المنطقة وخاصة طرابلس على الصعيد الديني الذي لا ينفك أصلاً عن المسائل السياسية لذلك العصر. فبنو عمّار كانوا القضاة الشيعة للمدينة ابتداء من سنة ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م. ذلك كان حال أمين الدولة أبو طالب الحسن [صَحَّح: عبد الله (المهاجر)] بن عمّار الذي كان فقيهاً بحسب المذهب الشيعي، وكان يقوم بمهام القاضي الشيعي في المدينة^(٢). مصدر آخر يمكنه أن يعطينا معلومات حول هذه النقطة: بحسب (النجوم الزاهرة) لأبي المحاسن^(٣). فقد كان لأبي طالب الكثير من الإحسان للعلويين.

لا نملك معطيات دقيقة عن تشييع العمّاري الثاني أبي الحسن بن علي بن محمد بن عمّار (٤٦٤ هـ/١٠٧٢ م - ٤٩٢ هـ/١٠٩٨ م). لكن يمكن أن نستنتج ذلك من خلال سياسته تجاه محمد بن عبد الله بن منصور (ابن صليحة)، قاضي جبلة، الذي ألقى خطبة عباسية. هذا القرار أغضب

(١) إن التشييع الاثني عشري لسكان طرابلس اثبتته بشكل قاطع رحلة ناصر خسرو.

(٢) ابن شداد: اعلاق (لبنان، الأردن.....) ص ١٠٧، sobernheim: art ابن عمار E.I.II ص B ٣٨٢.

(٣) ابو المحاسن يوسف: نجوم ٧ ص ٨٩.

جلال الملك وأمر بإعلان الحرب على ابن صليحة. فما كان من هذا الأخير إلا تسليم جبلة للسلاجقة، وطلب مساعدة «دقاق»، وسلم المدينة إلى «بوري بن طغتكين» سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م مع التوجه إلى دمشق ثم إلى بغداد^(١).
كان حكم العمّاري الثالث، أبي علي فخر الدولة عمّار بن محمد (٤٩٢هـ/١٠٩٨م - ٥٠٢هـ/١١٠٩م) قصيراً ومليئاً بالأحداث المهمة جداً في تاريخ المنطقة وعلى رأسها وصول الصليبيين.

وجد فخر الملك نفسه وقد استوعبته مهام ثقيلة. كذلك المؤرخون الذين حاولوا معالجة هذه الحقبة. لذلك نجد أنفسنا أمام غياب للمعلومات حول تشيعه، إن لم نلجأ إلى تحليل سياسته الداخلية والخارجية، هذا ما سنبحثه لاحقاً. لكن غياب المصادر ليس كاملاً لأن القلانسي^(٢) صنّف بني عمّار «بشيعة طرابلس» وهو يتحدّث عن الإغارة الطرابلسية على حصن سانت جيل Saint Gilles. ركّز معظم المؤرخين الحديثين والمعاصرين على

(١) اثير: كامل IX ص ٣١٠-٣١١.

(٢) قلانسي: ص ١٤٦.

تشيع بني عمار. فبالنسبة لفيليب حتّي^(١) جعل قدومهم من طرابلس مركز ثقافة شيعية. لكن بالنسبة للسيد محسن الأمين^(٢)، فهم مجرد شيعة.

مهما يكن، فإن بني عمار قد خدموا كثيراً التشيع الاثنى عشري من خلال المدرسة الشهيرة: «دارالعلم» التي أسسها أمين الدولة، والتي تخصصت بالدراسات الإسلامية: كلام، تفسير، حديث....^(٣) بحسب وجهة النظر الشيعية بالتأكيد. إلى جانب هذه المدرسة، فإنهم قد أعادوا إنشاء مكتبة غنية^(٤) تحتوي على مليون مجلد بحسب ابن شدّاد^(٥)، وثلاثة ملايين مجلد بحسب ابن أبي طي^(٦).

ويبدو الرقم الأول منطقياً أكثر إذ أن أكبر مكتبة في ذلك العصر كانت مكتبة الخليفة الفاطمي الحاكم ولم تكن تحصي هذا العدد من المجلدات: والمؤرخ Sobernheim هو من

(١) فيليب حتّي: سوريا II ص ٢٢٢.

(٢) م. الأمين: أعيان I قسم II ص ٢٥٩.

(٣) ابن شدّاد: أعلام (لبنان) ص ١٠٧ / Sobernheim: art. ابن عمار II. E.I. ص ٢٨٢ / B

quatremere ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٤) كانت توجد مكتبة قبل مجيئهم وقد جذبت أبا العلاء المعري من بين آخرين: طباطبا IV ص

١٢٨.

(٥) ابن شدّاد: أعلام (لبنان) ص ١٠٧.

(٦) كاترمير / ٥٠٦ ٥٠٧، عن مخطوطة لابن الفرات.

هذا الرأي^(١). كما كانت تضم أكثر من مئة خطاط ينسخون الكتب المهمة (يتناوب ثلاثون خطاطا بشكل دوري على البقاء في المكتبة)، وعدداً مهماً من الرجال المتخصصين بشراء الكتب من كل الدول^(٢) بهدف إغناء هذه المكتبة. وقد وضعت السيطرة الصليبية على هذه المدينة نهاية لهذه المكتبة^(٣).

هذه بعض المظاهر التي يمكن أن تبرهن تشييع هذه السلالة العربية. يمكن لملاح أخرى من سياستهم أن توضح تاريخهم مع التركيز على الجوانب المؤيدة للتشييع وتبرير الجوانب الأخرى.

ب - بنو عمار والفاطميون:

لم يكن الخلاف بين خلفاء القاهرة وحكام طرابلس إلا امتداداً للخلاف الذي بدأ مع الحسن بن عمار في مصر. يمكن لنا أن نتساءل إن كان هذا الصراع مواجهة بين الاثنى عشرين والسبعين / الإسماعيليين؟! حافظ ابن عمار على قيادة دينية في طرابلس أيام الفاطميين، دون أن يستطيع

(١) M. Sobernheim: art ابن عمار I. II E. ص ٣٨٢. B.

(٢) Quatremere: ص ٥٠٦-٥٠٧ عن مخطوطة لابن الفرات.

(٣) أثير: كامل X ص ٤٧٥-٤٧٦ / قلانسي: ص ١٦٣..

الفاطيون الذهاب أبعد من ذلك في سياستهم المعادية للكُتّامين^(١).

سنة ٤٦٢ هـ، سيطر أبو طالب على السلطة بعد موت الحاكم الفاطمي في طرابلس: مختار الدولة بن نزال، وصار مُستقلاً عن الخليفة الفاطمي^(٢). استمر أبو طالب بهذه السياسة المنفصلة عن محور القاهرة، لكن حكمه كان مختصراً. كان حكم جلال الملك امتداداً لحكم العماري الأول، فأكمل سياسة الاستقلال والانفصال عن الفاطميين^(٣). ولكن طالما أن الفاطميين بقوا قوة كبيرة في المنطقة، فقد حاول أن يتذبذب بينهم وبين السلاجقة^(٤) دون ترك استقلال أمارته. اقترح الأمير فخر الملك على الصليبيين بعد رفع الحصار عن عرقة أن يكون أحد مواليتهم إذا تمكنوا من هزيمة الفاطميين واحتلال القدس. لسنا نعلم إلى أي درجة كان فخر الملك جدياً في طرحه. ولكن بالرغم من قلة الثقة بهذا الطرح الضرورية قبل أخذه على محمل الجد، فإنه يبقى مع ذلك مُعبّراً ويعكس طابع العلاقات العمارية - الفاطمية.

(١) يجب ألا ننسى دور سكان المدينة.

(٢) قلائسي: ص ٩٧-٩٨ sobernheim:art/ ابن عمار E.I.II ص ٣٨٢ .

(٣) قلائسي: ص ١١٢ .

(٤) G.Wiet:art . عمار E.II ص ٤٦١ .A

بالمقابل، فقد كان الفاطميون ينتظرون اللحظة التي ينتقمون فيها من حُكام طرابلس. فاستغلّوا الوضع الصعب لبني عَمّار، وغياب فخر الملك، عندما ذهب إلى بغداد يطلبُ مساعدةً عسكريةً ابتغاءً إنقاذ المدينة من الصليبيين. فاجتاحوا طرابلس، وأقاموا عليها من قبلهم شرف الدولة بن أبي الطيّب^(١). وغلبت روحُ الثأر من بني عَمّار، فاستولى الفاطميون على أموال عَمّار ومحازبيه وعائلته^(٢) دون الاهتمام بإنقاذ المدينة من هجوم الصليبيين بشكل مُجد. لذلك أتى الأسطولُ الفاطميُّ إلى صور بعد سقوط طرابلس بثمانية أيام^(٣) ولم يتأخّر بالعودة إلى مصر. كانت طرابلس مُحاصرة بشكل مُستمرٍّ منذ سبع سنوات، والكلُّ يعرفُ ذلك. لكن حقد الفاطميين على بني عمار، والخطر الذي كان يُمثّله هؤلاء، كان أقوى من إرادة الفاطميين بالدفاع عن طرابلس من الصليبيين.

إنّ العلاقات العَمّارية- الفاطميّة تمثل نوعاً ما الأوج في الخلاف السبعي / الإسماعيلي - الاثنى عشري. فالطرفان

(١) اثير: كامل X ص ٤٥٢، ٤٥٤.

(٢) نفسه: X ص ٤٥٤ / sobernheim: art عمار E.I.II ص ٢٨٢A.

(٣) اثير: X ص ٤٧٦-٤٧٧، قلانسي ص ١٦٤.

تصرّفا وكأنهما الوحيدين على الساحة، على الرغم من أنه كان يتوجب عليهما الدفاع عن نفسيهما ضد السلاجقة من جهة وضد الصليبيين من جهة أخرى.

ج - بنو عمار والسلاجقة:

لم تكن لدى أمراء طرابلس الاثنى عشرين القدرة على إعلان الحرب ضد السُّنة والسبعين والصليبيين في آن واحد معاً. لقد كانت لهم إمارة صغيرة المساحة قليلة السكان، وكانوا همّهم الأوّل في كيفية الحفاظ عليها قبل أي اعتبار. وعلى الرغم من تعلقهم بالتشيع، فقد كانوا أقساة مع المصريين، ديبلوماسيين جداً مع جيرانهم السلاجقة، وأحياناً صادقين معهم، ابتغاءً للتصدّي للصليبيين، الذين اتوا لتهديد الاثنى عشرين معاً.

إن سياسة هذه السُلالة مع السلاجقة تقع في إطار المصلحة المشتركة على الأقل لدى الطرف الأوّل. وكل تفسير خارج هذا الإطار ومن زاوية انحراف مذهبي هي برسم الإهمال^(١). ولكي تكون الأمور أقل صعوبة، يمكننا الكلام عن تحالف بين الاثنى عشرين والسُّنة بوجه

(١) تصدى جلال الملك لابن صليحة حاكم جبلة عندما ألقى الخطبة العباسية ولم يتأخر العمّاري بالسيطرة على المدينة التي أعطيت لتاج الملوك بوري.

الصلبيين والفاطمين^(١).

بدأ بنو عمار حكمهم بالتقرب من السلاجقة^(٢)، وإن يكن ذلك من باب المصلحة. ويبدو أن العلاقات مع السلاجقة قد اتخذت ثلاث مسالك:

— الأول: قبل أن يصبح الوجود الصليبي مهدداً ينبغي أخذه بعين الاعتبار. فقد قاد حكام طرابلس صراعاً ضد الثالث: تُتَش، اق سنقر، بوزان سنة ٥٤٨٥هـ/١٠٩٣م، مع إيجادهم مخرجاً قانونياً للوضع. وذلك بأن قدّموا للمحاصرين تولية من قبل السلطان مالك شاه^(٣) فتفرّق الثالث.

— الثاني: مرّة أخرى سنة ٥٤٩٤هـ/١٠٩٢م، وعلى إثر الصراع مع ابن صليحة، سلّم هذا الأخير مدينة جبلة لدقاق، الذي أرسل تاج الملوك بوري. جاء فخر الملك وسيطر على المدينة بالقوة^(٤)، ولكن من دون أن يجعل عمله مؤدياً إلى قطع العلاقة مع دمشق بشكل نهائي،

(١) ظلّ الفاطميون أنهم مستفيدون في بداية وصول الصليبيين.

(٢) قلاوسي: ص ١١٢.

(٣) الأثير: كامل X ص ٢٠٣.

(٤) قلاوسي: ص ١٣٩ / أبو الفدا: مختصر II ص ٢١٣.

تصرّف جيّداً مع بوري وأعادته إلى دمشق^(١).

– الثالث: بعد التهديد الصليبي الخطير، وابتغاء مواجهة هذا التهديد بما لديهم، لجأ بنو عمار إلى سياسة جامعة، حيث سلك عدّة طُرُق تُظهرُ جميعُها أنّ السّلاجقة بوصفهم القوّة العسكريّة الأقوى في المنطقة، أمراء وسلطان، هم القوّة الوحيدة على السّاحة التي يمكن لأُمراء طرابلس أن يعملوا معها.

ابتداءً من سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، بدأ فخرُ الملك يطلب النجدة من الأمراء والحُكّام المُجاورين. فطلب المساعدة من دقاق، ومن جناح الدولة حاكم حمص^(٢). وبعد عدّة سنوات (٤٩٨هـ/١١٠٥م) طلب المساعدة من التركيين، فحصل عليها من رضوان أمير حلب^(٣)، دون الحصول على مساعدة أمير حصن كيفا سقمان بن أرتق الذي مات في الطريق^(٤).

أن أهمّ قرارٍ في سياق هذه الأحداث كان سفرُ فخر الملك إلى دمشق ثم إلى بغداد. وبالرغم من أن هذه الرحلة تشير إلى

(١) أبو الفدا: مختصر II ص ٢١٤.

(٢) اثير: كامل X ص ٣٤٤.

(٣) إ. عديم: II ص ١٥٠.

(٤) اثير: كامل X ص ٤١٢ / قلانسي ص ١٦٠.

قمة العلاقات بين بني عمار مع السلاجقة، إلا أنها ساهمت في الوقت عينه بوضع حدٍّ لإمارة عمار في طرابلس. ففي السنة ٥٠١هـ/١١٠٨م غادر ابنُ عمار طرابلس نحو دمشق لطلب النجدة. بعد دمشق اتجه إلى بغداد، حيث استقبل جيِّداً من السلطان السلجوقي محمد والخليفة المستنصر، دون أن ينجح في تحقيق أي هدف عمليٍّ من أهداف هذه الرحلة^(١). فقد فات الأوان وأصبحت طرابلس فاطمية قبل أن تقع بأيدي الصليبيين وتغدو إمارة صليبية. كان المسلك الثالث سلجوقياً خالصاً، فابنُ عمار الذي صار بلا إمارة^(٢)، احتلَّ مؤقتاً جبلة بمساعدة فرق الأتابك طغتكين. ولكنه لم يتأخر في تركها ليتوجه إلى دمشق، حيث أخذ الزبداني كإقطاع من طغتكين. انتقل لاحقاً إلى بلاط الموصل حيث أصبح وزيراً للأمير مسعود حتى سنة ٥١٢هـ/١١١٩م. ثم انتهى به الأمرُ بالدخول في خدمة الخليفة العباسي. في سبيل تقييمٍ مُنصفٍ لموقع هذه الأسرة من تاريخ مدينتهم نقول:

(١) اثيرك كامل X ص ٤٥٢-٤٥٣ / أبو الفدا: مختصر: II ص ٢٢٢

(٢) اثيرك كامل X ص ٣٩٩، ٣٩٥ / فلانسي ص ١٦٤

لقد أظهر بنو عمار الكثير من الموهبة في التصدي للأخطار، مُتناسين كل الخلافات السياسية الدينية خدمة قضية مشتركة. هذه الحقيقة وهذا الحافز لم تكن يؤخذ بعين الاعتبار عند الفاطميين، الذين شعروا أنهم أكثر بُعداً عن الخطر الصليبي وأكثر قوة. لقد وضعوا بأنفسهم نهاية سعي فخر الدولة للتقرب من السلاجقة، بالسيطرة على طرابلس، وبالأخص بنهاية المدافعين الحقيقيين عن المدينة، قبل أن يُنهى الصليبيون الضربة الفاطمية المطلوبة.

د- بنو عمار والصليبيون:

أظهر ابنُ عمار الكثير من الحكمة والتفهم والدبلوماسية، صفات جديرة بشخصية كبيرة في ذلك العصر. فإمارته الصغيرة وجدت نفسها في مواجهة الحصار الصليبي الطويل في موقف أصعب من موقف الحمدانيين. لقد وضع ابنُ حمدان كل ثروته وطاقاته السياسية والعسكرية في خدمة قضيته.

منذ ظهور ريمون دو سان جيل أمام عرقة، بدأ أمير طرابلس بتنفيذ خطته لإنقاذ إمارته. فدخل في مفاوضات مع الصليبيين، مُهدياً لهم الأحصنة والبغال والمؤن، واضعاً شعارات ريمون

على جدران عاصمته^(١). نجحت خطته، لكن انطربوس وقعت بأيدي الصليبيين. لاقت محاولته عدم احترام الاتفاق كي لا يدفع الثمن الموعود فشلاً، لأن الصليبيين الذين اختلفوا حول خطة الغزو تجمعوا من جديد وحاصروا طرابلس. كان حصار طرابلس مستمراً نوعاً ما. ففي السنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، رفع ريمون الحصار مقابل المال والخيل^(٢). وبدأ ببناء قلعة قبالة المدينة على جبل الحجاج قرب مضيق قاديشا. ما حمل ابن عمار على مهاجمة القلعة من جهة أخرى^(٣). ويبدو أن هجوم بني عمار كان مُجدياً، لأن سان جيل عوّض خسارته باحتلال جبيل في العام نفسه^(٤)، وقَبِل اتفاقاً مع ابن عمار في العام التالي (٤٩٨هـ/١١٠٥م) ينصّ على إعطاء محيط طرابلس للصليبيين، بشرط ترك حرية المرور عبر المدينة^(٥). سنة ٤٩٩هـ/١١٠٦م جاء ريمون لمحاصرة المدينة، فخرج ابن عمار من عاصمته واحرق القلعة وحاول هدمها. لاقى

(١) دويهي: أزمنة ص ٩.

(٢) اثير: كامل X ص ٢٤٤ / ابو الفدا: مختصر II ص ٢٢٠-٢٢١.

(٣) ابو الفدا: II ص ٢١٧ / قلانسي: ص ١٤٦.

(٤) ابو الفدا: مختصر II ص ٢١٧.

(٥) قلانسي: ص ١٤٧.

سان جيل حتفه على إثر هذا الهجوم^(١).
إذا كان ابنُ عَمَّار قد أراد إبعاد الصليبيين باستعمال ثروته
الكبيرة، فإنه يبدو أن هذه الثروة كانت من الأسباب الرئيسية
التي دفعت الصليبيين والفاطميين إلى التبادل على احتلال
طرابلس، التي كانت مُحَصَّنَةً في هذه الفترة بنحو أفضل
من وقت زيارة ناصر خسرو لها قبل زهاء الستة عقود^(٢).
ولم تستطع مفاوضات ابن عمار، ولا خضوعه الظاهري،
ولا هجماته على المحاصرين إنقاذ طرابلس. وأخيراً غادر
مدينته على أمل الرجوع إليها مع مساعدة سلجوقية تستطيع
أن تضع حداً لمشاكلها. لكن الفاطميين سارعوا إلى أخذها،
دون تقديم أي وسيلة سياسية أو دفاع عسكري سريع
ومُجدد. وفي السنة ٥٠٢ هـ سقطت المدينة.

هـ- سُكَّانُ إمارة طرابلس في العصر العُمَّاري:

إننا نتكلم هنا عن سكان المنطقة الممتدة من نهر الكلب
جنوباً حتى طرطوس شمالاً. مشتملة من ناحية الشرق
على قلعة الخوابي، صافيتا وعِرْقَة ونقاط قريبة من بشرّي.

(١) الأثير: X ص ٤١٢ / أبو الفدا: مختصر II ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) سنة ٤٣٨ هـ/١٠٤٧ م كانت طرابلس محمية من البحر من كل الجهات، من جهة اليابسة،
كانت محمية بخندق عريض محفور أمام المور: خسرو: سفرنامه ص ٤٧.

وكانت مدينة جبل جُزءاً من ملكيات بني عمار. يمتدُّ الجزء الجبلي لشمال طرطوس وقلعة الخوابي وبالتحديد جهة مصياف قدموس.

كان سكان إمارة طرابلس ومناطق نفوذها إجمالاً شيعةً اثنا عشرين. وكان أقصى الشمال في منطقة اللاذقية والهضاب والجبال المجاورة لها مُعرّضاً دائماً لتلقي ضربات البيزنطيين قبل ضربات الصليبيين منذ النصف الثاني للقرن الرابع للهجرة. كما كانت هذه الفترة من وجهة نظرٍ سياسية امتداداً للفترة الفاطمية. ومُرورُ الرحالة ناصر خسرو بالمدينة وما سجّله من مُشاهداته مُهمٌّ جداً لنا، لأنّه المرجع الوحيد تقريباً عن فترة ما قبل إمارة بني عمار في طرابلس. ولم يتغير السكان كثيراً منذ هذه الفترة، لقد ظلّوا شيعةً بغالبيتهم^(١). لكن هذا لا يستثني نوعاً من الوجود الاسماعيلي والنصيري والمالكي في المدينة.

إنّ وجودَ العَمّارين الكُتّامين [كذا! ونؤكد دائماً على خطأ هذه النسبة (المهاجر)] الاثنى عشرين كقُضاة للمدينة، ثم كحُكام لها، قد زاد من عددِ وأهميّةِ الاثنى عشرين

(١) بحسب مغنية: الشيعة والتشييع ص ٢٢٢ فإن الطرابلسيين كانوا شيعة اثني عشرين.

بين رعاياهم. وهم الذين لم يكونوا بالأساس بعيدين عن مذهب حُكّامهم الكُتّامين، وأظهروا دائماً تعاطُفاً وإخلاصاً معهم، وثقةً تامةً بهم^(١). [كذا! مع أن من الثابت قطعاً أن الكُتّامين لم يكونوا اثني عشرين أبداً، بل كانوا إسماعيليين دائماً، إلى أن ذابوا في المحيط المصري بعد سقوط دولتهم الفاطمية].

ونسجلُ هنا الإخلاصَ غير المشروط عند السكان الشيعة للإمارة تجاه حُكّامها الجُدد. ويمكن أن نستنتج الملاحظة نفسها من استنجد المُدن بـابن عمار عند الشدائد، كما كان حالُ جبلة سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١ م. بعد أن سلّمها القاضي ابنُ صليحة إلى تاج الملوك بوري. حيث أساء هذا الأخير مُعاملة أهلها، وتابع إلقاء الخطبة السلجوقية. فطلب سكانُ المدينة النجدة من فخر الملك ابن عمار، فجاء وألحق المدينة مُجدداً بإمارة طرابلس^(٢). وحتى في طرابلس، أثناء غياب ابن عمار في بغداد، استمرَّ جزءٌ من السكّان بتنفيذ أوامره، فحملت ابن عمه أبي

(١) G.Wiet: art ١٢.E. عمار، ص ٤٦١. A.

(٢) اثير: كامل X ص ٢١٢ / قلانسي ص ١٢٩.

المناقب إلى قلعة الخوابي، حيث أعلن ولاءه للفاطميين^(١). هنا نتساءل: إذن لماذا طلب السكان معونة أسيا مصر الفاطميين سنة ٥٠١ هـ؟ هذا القرار المتخذ من قبل جزء من السكان على الأقل لا يمكن أبداً اعتباره خارج الحالة العاملة للمدينة وسكانها. هو ذا ما يُسَوَّغ التساؤل.

منذ العام ٤٩٩ هـ/١١٠٦ م وجدت المدينة نفسها تحت حصار دائم من الصليبيين، وأظهر السكان إرادة كبيرة بالصمود والمقاومة. فالذين كانوا أغنياء جداً صاروا فقراء، بعدما باعوا كل شيء ليشتروا بثمنه المؤن الضرورية، وبعدها تعرضوا للخيانة من قبل مواطنيهم الذين التحقوا بالصليبيين^(٢). كان ابن عمّار بعيداً عن المدينة. صحيح أنه كان يبحث عن غوث، لكن السكان، وفي الوقت الذي كانت المفاوضات عالقة في دمشق ثم في بغداد، وهنت عزيمتهم واشمأزوا من سياسة أبي المناقب المُخادعة، التي كانت في الحقيقة انعكاساً لصراع عالق داخل الأسرة العمارية الحاكمة. هذا، ومن المؤكد أن جزءاً من السكان المُقرّبين من الفاطميين قد لعب دوراً مهماً في إضعاف عزيمة الجزء

(١) اثر: كامل X ص ٤٥٢.

(٢) اثر: كامل X ص ٤١٢-٤٧٦، ٤١٣/أيو الفدا: مختصر II ص ٢٢١.

الباقى من السكان، يعاونهم على ذلك الحكام الفاطميون. في خضم هذه الأوضاع، سلم الطرابلسيون المدينة للفاطميين. ولكن مهما يكن، يبدو أنهم كانوا مخلصين لقضيتهم ولحكّامهم العماريين. وبدل تسليم المدينة للصليبيين، فضّلوا نقل السلطة في المدينة الى إخوانهم الشيعة في مصر.

تلقى السكان الشيعة في إمارة طرابلس، بعد هذه السنين القاسية من المقاومة، ثارا شرسا من قبل الصليبيين، يساعدهم أحيانا النصارى الذين كانوا يسكنون الجبال المجاورة^(١) منذ سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. وأثناء حصار عرقّة، بدأت المنطقة، وبالأخص منطقة طرابلس، تعتاد على النهب والمجازر. فقد شهدنا سنة ٤٩٥هـ/١٠٩٩م وأثناء حصار عرقّة، كيف بدأت المنطقة تعتاد على النهب والمجازر على يد سان جيل في طرطوس^(٢). وفي السنة ٤٩٧هـ شهدنا ثارا صليبيا في جبيل مع أن السكان كانوا سلّموا المدينة بلا مقاومة^(٣). أمّا السنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م،

(١) اثير: كامل X ص ٣٤٤ / دويهي: ازمّة ص ٩.

(٢) اثير: كامل X ص ٣٤٤.

(٣) نفسه: ص ٣٧٢، قلاتسي ص ١٤٣.

فقد كانت رهيبة بالنسبة للطرابلسيين: فاستيلاء الصليبيين على المدينة بعد ثلاث سنوات من الحصار تُمثّل فاجعة^(١)، مايجعلنا نفكر بسياسة واعية من قبل الغزاة لإفراغ المدينة، آخر حصن مسلم كبير على الساحل السوري. غادر قسم كبير من السكان طرابلس إلى دمشق. إنّ معطيات أبي الفدا^(٢) تجعلنا نفهم أن كل من بقي من السكان إلتجأ إلى دمشق. ومنذ هذا الوقت، أصبحت طرابلس فرنجية، قبل أن تعود مسلمة ولكن سُنِّيَّة هذه المرّة، بعد استعادتها من قبل المماليك وحتى يومنا هذا. [ولكن الحقيقة أن طرابلس هذه هي غير طرابلس العَمَّارِيَّة، التي هدمها المماليك بحجّة الخوف من عودة الصليبيين إلى الاستيلاء عليها. وهي اليوم المُسمَّاة «المينه»]. وبنوا طرابلس الحالية فيما كان من أرباض المدينة ومُزدرعها المهاجر].

إن التجربة الشيعية لطرابلس، حُكاماً وسُكَّاناً كانت الأكثر صعوبة بالنسبة لشيعة المناطق الأخرى. فقد وجب عليهم الدفاع عن كيان سياسي يخصّصهم، وعن وجودهم الذي كان على المحكّ من قِبَل الغزاة القادمين باسم الصليب ليحتلوا

(١) أثير: كامل X ص ٤٧٥-٤٧٦، قلانسي ص ١٦٣.

(٢) أبو الفدا: مختصر: II ص ٢٢٤.

أرضهم. لقد وجدوا أنفسهم وحدهم يدافعون دون أن يحصلوا على الدعم المُجدي من إحدى القوتين الكبيرتين المسلمتين في ذلك العصر (الفاطميين والسلاجقة)، دون أن ينجحوا بإبعاد الصليبيين بالطرق الدبلوماسية.

كما رأينا، فإن سوريا الفاطمية كوّنت قَمّة التشيع الاثني عشري، الذي كان له كيانان سياسيان، الأول في سوريا الشمالية يُمثله الحمدانيون، والثاني في طرابلس يمثله بنو عمّار. كذلك مجموعة من الامارات في سوريا الشمالية كانت مضطرة للتعاطف مع التشيع بسبب غالبية السكان الشيعية.

بالمقابل، فإن التشيع الاثني عشري قد نافسته في سوريا الوسطى والجنوبية الاسماعيلية من جهة والنصيرية من جهة أخرى. دون أن ننسى الدرزية التي أطلقها الحاكم والذي نجح في كسب الداخل اللبناني والشمال الفلسطيني.

يمكن أن نرسم الخارطة الدينية لسوريا الفاطمية بشكل هلال اثني عشري يشمل الجزيرة، الجزء الأكبر من سوريا الشمالية، المنطقة الساحلية للبنان وسوريا. وهلال آخر درزي - اسماعيلي وسُني، يشمل سوريا الداخلية وفلسطين. وبين الهالين تمتد مناطق تحتلها اقلية نصيرية ونصرانية.



خاتمة

بعد هذه المحاولة لدراسة تاريخ التشيع، وبالأخص التشيع الاثنى عشري في لبنان وسوريا والجزيرة، نتوصل إلى استنتاج بعض الخلاصات نعرض أهمها باختصار:

إن كلمة شيعة من حيث الاشارة إلى مُحازبي علي بدأت تُستعمل بعد اغتيال عثمان. وفيما يخص بعض الأحداث المتفرقة كانت مرتبطة باسم علي. لكن الكلمة وحدها بدأت تُستعمل بعد موت معاوية. يجب أن نتظر نهاية الأمويين كي تبدأ كلمتا شيعة وسُنة بأخذ أبعادهما الخاصة. إن ولادة الشيعة كفرقة سياسية يكمن أن نضعها بعد قتل الحسين. لكن يجب انتظار أكثر من قرنين حتى يجد التشيع الاثنا عشري أُطره ضمن أئمة الاثنى عشر وفقهائه. إن قاعدة التشيع هي عربية. لكن هذه القاعدة لن تتأخر لتشمل الفرس. أثناء كل فترتنا وفي منطقتنا، حافظ التشيع على طابعه العربي. ألا يفسر هذا الصراع بين الشيعة الفرس (البويهيين) و شيعة الجزيرة الذين يأتي الحمّدانويون على رأسهم، أن دعم

غالبية اليمانيين، ويمانيي سوريا بالخصوص، لمختلف أنواع التشيع (قرمطي، اسماعيلي، اثنا عشري) أثناء هذه الفترة التي درسناها، تُثبت أن الشيعة لم يكونوا فقط عرباً بل يمانيين بغالبيتهم. هذا التعميم له استثناءان:

كلب (يمانيون معادون للشيعة) أثناء الفترة الأموية، وكلاب (قيسيون شيعة) التي رسم موضعها الجغرافي (سوريا الشمالية والجزيرة) والصراع مع كلب الخط البياني لوضعها السياسي - الديني.

إن سوريا الراشدية والأموية، من حيث أن طابعها النصراني بشكل عام لم يكن ملائماً لتسرّب الصراعات السياسية - الدينية. لكن أبا ذرّ أتى لزُرْع التملُّل في الأوساط الفقيرة. كان ذلك بداية التعاطف العلويّ في المنطقة. لكن الحكومة الأموية من خلال سفينانيتها السورية (supra ص ٦٣ - ٦٤) حافظت على سوريا بعيدة عن رياح الشرق، دون أن تستطيع تلافيتها في الجزيرة التي كانت أرضاً معادية للأموية، تغذيها عناصر شيعية عبر العراق. على هذه الأرض تحديداً حصل الشيعة على أول كيان سياسي لهم.

يمكن لنا أن نتساءل دائماً: ماذا أعطى التَّمْلُكُ الذي وَلَّده أبو ذر في هذه الفترة في بلاد الشام، وتسُرَّب عناصر عربية جديدة نحو لبنان الجنوبي وشمال فلسطين؟

كانت الفترة العباسية تحضيراً بكل معنى الكلمة لتشيع المنطقة (خوارج، اسماعيليون، زنادقة، وشيعة) من خلال العداء للعباسية عند السكان، ومن خلال الانتظار اليائس لعودة السفيناني، ومن خلال الحالة الاجتماعية والاقتصادية. كما من خلال السياسة القبلية العباسية الخاطئة. إنها المناطق المتاخمة التي عرفت هجرةً شيعيةً وتشيعاً. إنه بشكل ما نفس الهلال تقريباً الممثل للهلال الاثنى عشري للعصر الفاطمي (supra ص ٢١٦). جذبت فترة عدم الاستقرار في سوريا وعدم قدرة السوريين على حُكم انفسهم، إلى هذا البلد حكام مصر (الطولونيين والاخشيديين) الذي ساهموا مثل العباسيين من خلال سياستهم السياسية - القبليّة، بتحويل سوريا وبالأخص منطقة الجزيرة (الحمدانية) التي استفادت من الصراع بين القاهرة وبغداد.

أتى التشيع الاثنا عشري من قلب سوريا مستغلاً عدم استقرار الوضع وصبَّ من سوريا الشمالية في لبنان وفي

فلسطين متعرضاً لصعوبات كي يحكم. بينما أتى السبعيون الفاطميون من الخارج مع كل الطاقات ليحكموا ويفرضوا أنفسهم ويدعوا الى الى نشر الاسماعيلية. ولم يكن هكذا الحال بالنسبة للفرع الاخر للاسماعيلية (القرامطة).

لكن الوزن الشيعي على الساحة السورية بدأ بالظهور منذ بداية القرن الرابع للهجرة، مستغلاً عدم الاستقرار وطموحات الحكام العباسيين الانفصاليين (ابن رائق). أسس الكيان السياسي الشيعي الأول حمّداني، ليُعاد مرة أخرى بعد أكثر من قرن مستفيداً من نفس الظرف على يد العماريين في طرابلس. كانت سوريا الفاطمية أرض تجارب القوة الشيعية. فالمنافسة بين السبعين والاثني عشرين على صعيد السلطة برزت في سوريا الجنوبية (الجرّاحيون)، والوسطى (بنو عمار) والشمالية (الحمّدانيون والمرداسيون). بينما اظهرت الجزيرة حضوراً اثني عشرياً مهماً، وأثّرت على سياسة الامارات التي نمت فيها (المروانية، العُقيلية) بشكل واضح جداً، وإن يكن السلاجقة السُّنة قرييين جداً في بغداد.

ضمن هذا الجو من الصعوبات والمآسي انقضت اربعة

قرون ونصف من تاريخ التشيع في سوريا ولبنان والجزيرة. في نهاية هذه الفترة توصل التشيع الاثنا عشري الى إظهار حضوره السياسي - الديني بشكل مُجدد . ومع تحول الاثنى عشرين إلى الدفاع، تركوا الساحة لإسماعيلي الشرق النشطين أمام الوجه الآخر للسلاجقة السُّنة الشافعيين والاحناف.

لم تكن هذه الفترة السلجوقية قاسية على الاثنى عشرين الذين، لكونهم معتدلين، استفادوا من الصراع السلجوقي - الاسماعيلي، كما من الوجود الصليبي. فاستمروا بالضغط على الحُكّام السلاجقة، الذين لم يكونوا بمستوى فرض أنفسهم على الشعب، وتطبيق سياسة السلطان بشكل مُجدد^(١). يجب انتظار العصر الزنكي والايوبي والمملوكي حتى تبدأ المعارضة للتعددية الدينية بإعطاء نتائجها التي ظهرت في حلب وطرابلس وبالأخص في جبل لبنان (كسروان). كل ذلك كان مصعوبا بهجرة اثني عشرية نحو الداخل، وبانتقال السّاحة الاثنى عشرية نحو الأراضي الفارسية (الصفوية).

(١) بالنسبة لسياسة أقي منقر، انظر ابن شداد: اعلّاق (حلب) ص ٤٩ / شحنة: درر ص ٨٧ / ابن العديم II ص ٢٤٢



مكتبة البحث



أ- المراجع:

١. ابو الفدا (إسماعيل بن علي بن محمد): «المختصر في أخبار البشر» ٤ مجلدات، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة ١٩٠٧.
٢. أبو فراس: «ديوان أبو فراس»، قدّم له وشرحه سامي الدهان، ٣ مجلدات، المعهد الفرنسي في دمشق، بيروت ١٩٤٤.
٣. أبو مخنف (لوط بن يحيى): «في مقتل الامام ابي عبدالله الحسين»، النجف ١٩٥٦.
٤. البلاذري (أحمد بن يحيى): «أنساب الأشراف»، ٥ مجلدات القدس ١٩٣٦.
٥. «فتوح البلدان» النهضة المصرية ٢ مجلد القاهرة ١٩٥٧.
٦. ابن العديم الحلبي (كمال الدين عمر) زبدة الحلب في تاريخ حلب، ٣ مجلدات، نشره وقدم له سامي الدهان، المعهد الفرنسي في دمشق، بيروت ١٩٥١.
٧. ابن عساكر (الحافظ أبو القاسم): «تاريخ مدينة دمشق» تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق ١٩٥٤.
٨. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي): «الكامل في التاريخ» إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٤٨-١٣٥٣هـ. B دار صادر - دار بيروت، بيروت ١٩٦٥م/١٣٨٥هـ.
٩. ابن الفقيه (الحمداي): «كتاب البلدان»

10. Bibliotheca Geographorum Arabicorum. (B.G.A.)
11. Edit M.J. De Goeje, E.J. Brill-Leyde. 1302HL1885J.C
١٢. ابن حوقل: «CONFIGURATION» (صورة الأرض) مطبوع و مترجم الى الفرنسية مع فهرست وضعه J.H.Kramers و G.Wiet ٢ مجلد، منشورات Maisonneuve et Larousse باريس ١٩٦٤.
١٣. ابن العبري (غريغوريوس ابو الفرج بن هارون الطبيب الملطبي):
١٤. «تاريخ مختصر الدول» الطبعة الثانية. قدّم له الأب انطون صالحاني اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨.
١٥. ابن القلانسي (ابو يعلا حمزة): «ذيل تاريخ دمشق» مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.
١٦. ابن منقذ (أسامة): «كتاب الاعتبار» نشره فيليب حتي، جامعة برنستون، الولايات المتحدة الاميركية ١٩٣٠.
١٧. ابن النديم (محمد بن اسحق): «الفهرست» القاهرة بلا تاريخ.
١٨. ابن شداد (عز الدين محمد): «الأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة»:
١٩. فلسطين، الأردن ولبنان. طبعة علّق عليها وشرحها سامي الدهان. المعهد الفرنسي في دمشق، بيروت ١٩٦٣.
٢٠. وصف حلب، طبعة علّق عليها وشرحها Dominique Sourdel، المجلد الأول.
٢١. الجزء الأول، المعهد الفرنسي في دمشق بيروت ١٩٥٣.
٢٢. وصف دمشق، طبعة علّق عليها سامي الدهان، المعهد الفرنسي في دمشق، ط. بيروت ١٩٥٣.
٢٣. ابن الشحنة (مجد الدين محمد): كتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ترجمة وشرح J.Sauvaget مجموعة المعهد الفرنسي في

- دمشق، بيروت ١٩٣٣.
٢٤. ابن تغري بردي (جمال الدين ابو المحاسن): "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية ١٦ مجلد، القاهرة ١٩٢٩-١٩٧٢
٢٥. ابن طولون (شمس الدين محمد): «كتاب الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثنا عشر»، قدم له صلاح الدين المنجد، دار صادر، بيروت ١٩٥٨
٢٦. ابن يحيى (صالح): «تاريخ بيروت»، قدم له Francis Hors اليسوعي وكمال صليبي، دار المشرق، بيروت ١٩٦٩
٢٧. الإصطخري (ابراهيم بن محمد): «المسالك والممالك» دار الكلام، القاهرة ١٩٦١
٢٨. الكشي (محمد بن عمر) «رجال الكشي» مقدمة، ملاحظات وفهرست وضعها الحسيني، دار الأعلمي كربلاء، بلا تاريخ.
٢٩. المقدسي (شمس الدين محمد): «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ترجمة وشرحه liqueل المعهد الفرنسي في دمشق - بيروت ١٩٦٣
٣٠. المسعودي (علي بن الحسين): «مروج الذهب ومعادن الجوهر»
٣١. قدم له محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٨
٣٢. فهرست يوسف اسعد داغر مجلدان، ٤ أجزاء، دار الأندلس بيروت ١٩٦٥
٣٣. ناصر خسرو: سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠
٣٤. الطبري (محمد بن جرير): Chroniques de at - Tabati (تاريخ الطبري) ترجمة. ٣٥. M.Hermann Zotenberg ٤ مجلدات ط. باريس ٣٦.

١٩٥٨- Imperale .

٣٧. تاريخ الرسل والملوك: ٨ مجلدات، القاهرة ١٣٥٧ هـ

٣٨. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب):

٣٩. تاريخ اليعقوبي: مجلدان، دار صادر - دار بيروت، بيروت ١٩٦٠
(A)

٤٠. تاريخ اليعقوبي: نجف ١٣٥٨ هـ (B)

٤١. Les Pays (البلدان)، ترجمة Gaston Imprimerie de l'Institut

١٩٣٧ français d'archeology Orientale القاهرة.

٤٢. ياقوت (شهاب الدين بن عبد الله): معجم البلدان ٥ أجزاء. دار صادر
- بيروت، بيروت ١٩٥٧ الكتب.

الاعمال العربية:

١. أبو زهرة (محمد): تاريخ المذاهب الاسلامية. جزء ٢ دار الفكر العربي. القاهرة، بلا تاريخ.
٢. العقاد (أ.م.): فاطمة الزهراء والفاطميون، الهلال - القاهرة، بلا تاريخ.
٣. أمين (أحمد): - ضحى الإسلام: الطبعة الأولى ٣ أجزاء مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٦.
٤. فجر الإسلام: الطبعة التاسعة - النهضة المصرية القاهرة - ١٩٦٤
٥. ظهر الإسلام: الطبعة الثالثة - ٤ أجزاء - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٤.
٦. الأمين (حسن): الموسوعة الاسلامية الشيعية - مطبعة سليم - بيروت ١٩٧٠
٧. الأمين (كاظم): العرفان او نصف قرن من حياة مجلة عربية - اطروحة مطبوعة على الآلة الكاتبة باريس ١٩٦٦.
٨. الأمين (السيد محسن): أعيان الشيعة - الطبعة الرابعة - المجلد الأول - مطبعة الانصاف - بيروت ١٩٦٠.
٩. خطط جبل عامل الجزء الأول - الانصاف - بيروت ١٩٦٠.
١٠. الأميني (محمد هادي): عيد الغدير في أيام الفاطميين - النجف ١٩٦٢.
١١. الأسود (ابراهيم): كتاب ذخائر لبنان بعدا ١٨٩٦.
١٢. Brokelmann(Carl): تاريخ الشعوب الاسلامية الطبعة الرابعة - ترجمة فارس وبعليكي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٥.
١٣. بولس (جواد): تاريخ لبنان ترجمة جورج حاج، دار النهار،

- بيروت ١٩٧٢.
١٤. ضو (بطرس): تاريخ الموارد، جاز النهار بيروت ١٩٧٢.
١٥. الدليمي (محمد): إرشاد القلوب مجلدان بيروت ١٣٨١هـ.
١٦. الدبس (يوسف): تاريخ سوريا، المطبعة العمومية ٥ مجلدات و ٦ مجلدات بيروت ١٩٠٠-١٩٠٢.
١٧. دويهي (انطانيوس): تاريخ الأزمنة، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١.
١٨. الفقيه (محمد تقي): جبل عامل في التاريخ، مجلدان، بغداد ١٩٤٥.
١٩. Goldziher(I): العقيدة والشرعية في الإسلام، ترجمة محمد يوسف القاهرة ١٩٤٦.
٢٠. حسن (حسن إبراهيم): تاريخ الدولة الفاطمية، الطبعة الثالثة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.
٢١. حشي (سليم حسن): الاسماعيليون عبر التاريخ، ١، ١٩٦٩.
٢٢. حنّي (فيليب): - تاريخ العرب المطوّل، ترجمة جرجي وجبور، الطبعة الرابعة، مجلدان، دار الكشاف بيروت ١٩٦٥
٢٣. حسين (محمد كامل): طائفة الاسماعيلية الطبعة الأولى، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩
٢٤. حسين (طه): الفتنة الكبرى مجلدان، معارف، القاهرة ١٩٦٦.
٢٥. الحسيني (محمد باقر): تطور النقود العربية بغداد ١٩٦٩.
٢٦. كحالة (عمر رضا): معجم قبائل العرب ٣ مجلدات دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨.
٢٧. كاشف الغطاء (محمد حسين): أصل الشيعة وأصولها الطبعة التاسعة، دار البحار، بيروت ١٩٦٠.

٢٨. قازان (فؤاد): لبنان في التاريخ العربي، دار الفارابي بيروت ١٩٦٠.
٢٩. الكليني (محمد بن يعقوب): الكافي ٨ مجلدات، طهران ١٣٨١هـ.
٣٠. كرد علي (محمد): - غوطة دمشق، دمشق ١٩٤٩
خطط الشام ٦ مجلدات، دمشق ١٩٢٥-١٩٢٨.
- (H) lammens: تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار، مجلدان المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٤.
- Lortet (Louis): مشاهدات في لبنان. ترجمة كرم بستاني منشورات وزارة التربية، بيروت ١٩٥١.
٣١. المجلسي الاصفهاني (محمد باقر): بحار الأنوار. المطبعة الاسلامية الاجزاء ٤٦-٥٢ طهران ١٣٨٥هـ.
٣٢. مهدي موسوي (السيد محمد): أحسن الوديعه في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة، الطبعة الثانية، المطبعة الحيدرية النجف ١٩٦٨.
٣٣. مغنية (محمد جواد): مع الشيعة الامامية، بيروت ١٩٥٦.
٣٤. الشيعة والحاكمون، الاهلية، بيروت ١٩٦٦.
٣٥. الشيعة والتشيع، دار الكتاب اللبناني - بيروت، بلا تاريخ.
٣٦. «أهل البيت»، مقالة في دائرة معارف للبيستاني.
٣٧. «اثناعشرية»، مقالة في دائرة المعارف للبيستاني.
٣٨. محفوظ (حسين علي): تاريخ الشيعة، مطبعة النجاح، بغداد ١٩٥٧.
٣٩. مكّي (محمد كاظم): الحركة الفكرية والادبية في جبل عامل، الاندلس، بيروت ١٩٦٣.

٣٧٠ تاريخ الشيعة (في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى)

٤٠. المملوف (عيسى اسكندر): تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٦.
- Massignon (Louis): خطط الكوفة، ترجمة تقي المصعبي، صيدا ١٩٣٩.
٤١. Metz (Adam): الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، الطبعة الرابعة، مجلدان، ترجمة م. أبو ريضة، بيروت ١٩٦٧.
- مروة (علي): تاريخ جباع، دار الاندلس، بيروت ١٩٦٧.
٤٢. مرتضى (عبدالله): الثمار الشهية في تاريخ الاسماعيلية، المطبعة اللبنانية، بيروت ١٩١٩.
٤٣. نوبختي (الحسن بن موسى): فرق الشيعة، نجف، بلا تاريخ.
٤٤. رفيق (محمد بهجت): ولاية بيروت، مجلدان، إقبال وولاية ١٣٣٥-١٣٣٦ هـ.
٤٥. الصدر (السيد حسن): تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، نشر وطباعة عراقية، بلا تاريخ.
- الصدوق (محمد بن علي): علل الشرائع، نجف ١٩٦٣.
٤٦. صفا (محمد جابر): تاريخ جبل عامل، دار متن اللغة، بيروت بلا تاريخ.
- صليبي (كمال): تاريخ لبنان الحديث، الطبعة الثانية، نهار، بيروت ١٩٦٩.
٤٧. الشكعة (مصطفى): سيف الدولة الحمداني، دار الكلام، القاهرة ١٩٥٩.
- الشيبي (كامل مصطفى): الصلة بين التصوف والتشيع، بغداد ١٩٦٣.
٤٨. الشدياق (طنوس): كتاب اخبار الأعيان في جبل لبنان. مجلدان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠.

٤٩. الطباخ (شيخ راغب): إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٧ مجلدات، العلمية، حلب ١٩٢٣-١٩٢٦
٥٠. الطويل (محمد أمين غالب): تاريخ العلويين، الطبعة الثانية، الاندلس، بيروت، ١٩٦٦.
٥١. وجدي (محمد فريد): دائرة معارف القرن العشرين، الطبعة الثانية الجزء الخامس، القاهرة ١٩٢٤.
٥٢. wellhausen(Julius): - الخوارج والشيعة، ترجمة أ.ر. بدوي لجنة التأليف.....، القاهرة ١٩٥٨.
٥٣. الدولة العربية وسقوطها، ترجمة أ.هـ. أبو ريضة، القاهرة، دون تاريخ.
٥٤. زيدان (جورج): تاريخ التمدن الاسلامي، ٥ مجلدات، القاهرة .
٥٥. الزين (علي): مع التاريخ العاملي، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٢.
٥٦. الزين (محمد حسين): الشيعة في التاريخ، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٣٨.
٥٧. الزركلي (خير الدين): الأعلام (قاموس سِير).

ج- الأعمال الفرنسية والانكليزية والألمانية.

C-Les Ouvrages francais, anqlais et allemands.

Amedroz (H.F): The Marwanid Dynasty of Mayyafarikin in the Tenth and Eleventh centuries.

The journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, 1903.

Bouron (N): Les Druzes, histoire du Liban et de la montagne Haouranaise, Berger et levrault, Paris, 1930.

Buhl (Fr.): art. Tarabulus, Encyclopedie de l'Islam, (E.I), T IV.

Cahen (Claude):

1. -Points de vue sur la revolution 'abbasside, Revue historique, Paris, 1963.

2. -La Syrie du Nord a l' époque des Croisades et la principaute' franque d'Antioche, P. Geuthner, Paris, 1940.

3. -Note sur les Origines de la communaute' syrienne des Nusairis, Extrait de la Revue des Etudes Islamiques, XXXVIII/2, p=243-49, Geuthner, Patis, 1970.

Introduction a'l'histoire de l' Orient Musulman.

4. -Initiation a'l'Islam (Element de bibliographie), avec J. Sauvget, Adrien Maisonneuve, Paris, 1961.

5. Canard (Marius): Histoire de la daynastie des Hamdanides de la Syrie du Nord et de la Djazira, P.U.F., Paris, 1953.

-art. Diyar Barkr, avec C. Cahen dans la nouvelle edition de l'Encyclope'die de l'Islam (E.I 2), T II.

- art. Fatimides, E.I. 2, T II.

-art. Djarrahides, E. I. 2, T II.

6. colloque de Strasbourg: Le Shi'isme imamite, P. U. F., Paris, 1970.
7. Fischer (A): art. Kais-'Ailan, E.T, T II.
8. Grousset(R): Histoire des Croisades et du royaume franc de Je'rusalem, 3 vol. Paris, 1934-36.
9. Hodgson (M.G.S): art. Duruz, E.I2, T II.
10. Honigmannn(E): art.Sur, E. I, T II.
11. Horovitz (M.Th.): Die Hamdaniden und die Schi'a Der Islam, Strasbourg, 1911.
12. Houtsma (M.Th.) art. Abo Dharr, E.I, T II.
13. Huart (Cl): art. I SMAILLIYYA, e.i, t ii.
-art.lthna'ashariyya, E.I, T II.
14. Ismail (Adel): Le Liban, histoire d'un peuple, Makshuf, Beyrouth, 1965.
15. Krenkow (F): art. Kinda, E.I, T II.
art. Kilab b. Rabi'a, E.I, T II.
16. Lammens (Henri):
-Etudes sur le reqne du Calife omayyade Mo'awia 1er. Imp. Cath. Beyrouth, 1908.
- Etudes sr le sie'cle des omayyades, Imp. Catholique, Beyrouth, 1930.
-Le Liban, notes archeologiques, historiques, ethnograpgiques et geographiques et 2'e'me edit., Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1914.
- Les Perses du Liban et l'Origine des Me'toualis, Melanges de L' U.S.J., Fasc. 2, t XIV, Imp. Bayrouth, 1929.
- Le Syrie, precis historique, 2t, Imp. Cath. 1921-38.,
- art. Lakhm, E.T, T III.
- art. Kalb b. Wabara, E.I, T II.
- art. Mu'awiya, E.T, T III.
-art. Lubnan, E.T, T III.
-art. Sham, E.T, T IV
- art. Kuda'a, E.I, T II.

17. Laoust (Henri): Les Schismes dans L'Islam, Payot, Paris, 1965.
18. Levi Della Vida (G): art. Numaier, E.I, T III.
19. Macdonald (D.B): art. al-Mahdi, E.I, T III.
20. Massignon (L): art. Karmates, E.T, T II.
Art. Nusairi, E.I, T III.
21. Nouss(Izzat): La Syrie ou Pays de Shame; Etude de geographie historique, These dadactylographiee, Paris, 1951.
22. Pearson: Index Islamicus, T1, Cambridge, 1962.
23. Quatremerre(Etienne-Marc):Memoires geographiques et historiques sur L'Egypte, et sur quelques contrées voisines, recueillies et extraites des manuscrits coptes, arabes etc..., 2 vol, Bibliotheque Imperiale Paris, 1811.
24. Robson(J): art. Abu Dharr, E.I 2, T T.
25. Rondot(Pierre): Les Institutions politiques au Liban. Des communautés traditionnelles & l'état moderne, Paris, 1947.
26. Samne(Georges): La Syrie, Edit. Bossard, Paris, 1920.
27. Sauvaget(J):
- Initiation a l'Islam, Introduction a l'histoire de l'Orient Musulman, Elements de bibliographie. Edit, refondue et complétée par Cl. Cahen, Adrien Maisonneuve, Paris, 1961.
- art. Halab, E.I 2, T TTT.
- Alep. 2 vol, Geuthner, Paris, 1941.
- Deux ganchuaires ch'ites d'Alep, Ex-trait de la revue Syria 1928, Geuthner Paris, 1928.
28. Sauvaget(J) et Weulersse(J):
- Damas et la Syria du Sud, Edit., Des fossées, Paris, 1936.

29. Schleifer(J), Montgomery Watt(W):
- art. Hamadan, E. I 2, T III.
30. Shaban(M.A): The "Abbassid Revolution,
Cambridge, at the University press, 1970.
31. Sobernheim (M):
- art. Muslim b. Kuraish, E.I, T III.
- art. Salih b. Mirdas, E.I, T T7.
- art, Ibn'Ammar, E, I, T TT.
32. Strothmann (R): art. Shi'.a, E.I, T IV.
- art. Al- Zaidiyya, E.I, T IV.
33. VanVloten (Gerlof): Recherche sur la domination
Arabe, le chiitisme et les Croyances messianiques_
sous le Califat des omayyades Amsterdam, Miller, 1894.
34. Veccia Vaglieri (L): art. Ghadr Khumm. E. I 2, T JT.
35. Wiet (G): art. Banu 'Ammar, E. I 2, T T.
36. Zettersteen(K.V): art. 'Okailides. E.I, T
- art. Marwanides, E.I, T III.

د- دوائر المعارف

إن المقالات المستخدمة من الموسوعات المذكورة قد ذكرت
وُحِدَتْ بحسب أسماء مؤلفيها:

— Encyclopedie de l'Islam طبعان Brill et Maissnneuve paris
— Leyden.

— دائرة معارف يستاني (موسوعة البستاني، بيروت)

— دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مطبعة سليم، بيروت ١٩٧٠

— دائرة معارف القرن العشرين، القاهرة.

— الدوريات

كما بالنسبة للموسوعات، قد يبدو من غير المفيد تكرار الأرقام
والصفحات المعتمدة في هذه الدوريات لأننا ذكرناها بالتحديد أثناء
الدراسة.

العرفان.

المشرق.

١. Der Islam.
٢. Syria .
٣. The Journal of the Royal Asiatic Society of
Great Britain and Ireland.
٤. Revue Historique
٥. Revue des Etudes Islamiques